OSMANİYE
8207
2625

ÜOSMAN
2201
2625

منهاج العابدين للامام الغزالي

١٩

~~منهاج العارفين~~

منهاج العابدين

في التصوف

من تملكات عبد الفقير
أحمد أفندي زاده
... الحسني
...

ق
١٢٥
١
١٢٦

العقبة الاولى عقبة العلم ٥	العقبة الثانية عقبة التوبة ١١	توبة النصوح ١١
مقدمات التوبة ١٢	العقبة الثالثة عقبة العوائق ١٦	الزهد ١٧
حكم الزهد ١٧	العائق الثاني الخلق ١٩	الزام الخاصة ١٩
العزلة ٢٠	ترك التزاور ٢١	زيارة اخوان ٢٥
العائق الثالث الشيطان ٢٦	اصل الخواطر ٢٨	العائق الرابع النفس ٣١
التقوى ٣٣	العين ٣٧	اللسان ٣٧
حفظ الوقت ٣٩	القلب ٤٠	طول الامل ٤٣
الحسد ٤٥	استعجال ٤٥	الكبر ٤٦

البطن ٤٩	التواضع ٤٩	فضول الحلال ٥٠
قبول جوائز السلاطين ٥٢	صلات اهل السوق ٥٣	حكم الورع ٥٣
المباح ثلاثة اقسام ٥٤	الدنيا ٥٦	الشيطان ٥٧
خلق	النفس ٥٧	القلب ٦١
العقبة الرابعة عقبة العوارض ٦٣	التوكل ٦٥	الرزق ٦٧
حد التوكل ٦٧	اهل زيد الرزق بالطلب ٦٩	تفويض ٧١
القضاء ٧٤	المصائب والصبر عليه ٧٥	الصبر اربعة ٨٤
العقبة الخامسة عقبة البواعث ٨٧	الخوف والرجاء ٨٧	مقدمات الخوف ٨٩

مقدمات الرجاء اربعة ٩٠	بلعم باعورا ٩٢	القبر وما بعد الموت ٩٦
الجنة والنار ٩٧	العقبة السادسة عقبة القوادح ١٠٠	حقيقة الاخلاص والريا ١٠١
قراءة سورة الواقعة ١٠٤	مذهب اهل التصوف ١٠٤	العجب ١٠٤
الملك الذي من شانه ان يخدمه الملوك ١٠٩	حديث المفضل ١١٤	العقبة السابعة عقبة الحمد والشكر ١١٨
موضع الشكر ١٢٠	النعمة انما يعطى من يعرف قدرها ١٢١	حطام الدنيا ١٢٤
احب كلمة على الله تعالى ١٢٥	اصحاب الكهف ١٢٨	اقل ما يطلبه العبد شيئان ١٣٠

NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı . N-O
Yeni Kayıt No 3201
Eski Kayıt No 2625
Tasnif No.
4665

هذا وقف ظل الله المخصص والنور اللامع المشخص السلطان
ابن السلطان السلطان ابو الفتح عثمان خان
ابن السلطان مصطفى خان ○ وفقه الله في حمل
جمهور الانام وجعل الطافه سابغة على العباد
بالسلام وانا الداعي لدولته الحاج
ابراهيم حنيف المفتش باوقاف الحرمين
المحترمين
غفر له

[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثني الشيخ الفقيه الصالح الزاهد عبد الملك بن عبد الله رضي الله عنه
قال أملا علي الشيخ الأجل الإمام الزاهد الموفق حجة الإسلام زين
الدين شرف الأئمة أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رفع الله تعالى
درجته في الجنة هذا الكتاب وهو آخر كتاب صنفه ولم يمله إلا على
الخواص من أصحابه وهو الحمد لله الملك الحكيم الجواد الكريم العزيز الرحيم
الذي فطر السموات والأرض بقدرته ودبر الأمر في الدارين
بحكمته وما خلق الجن والإنس إلا لعبادته فالطريق واضح للقاصدين
والدليل لائح للناظرين ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
وهو أعلم بالمهتدين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله
الأبرار الطيبين الطاهرين وسلم وعظم إلى يوم الدين اعلموا
إخواني أسعدكم الله وإيانا بمرضاته أن العبادة ثمرة العلم وفائدة
العمر وحاصل العبد وبضاعة الأولياء وطريق الأقوياء وقسم الأعزة
ومقصد ذوي الهمة وشعار الكرام وحرفة الرجال واختيار أولي
الأبصار وهي سبيل السعادة ومنهاج الجنة قال الله تعالى وأنا ربكم

فاعبدون

1

فاعبدون وقال الله تعالى إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم
مشكورا ثم إنا نظرنا فيها وتأملنا طريقها من مبادئها إلى
مقاصدها التي هي أماني سالكيها فإذا هي طريق وعر وسبيل
صعب كثيرة العقبات شديدة المشقات بعيدة المسافات
عظيمة الآفات كثيرة العوائق والموانع خفية المهالك والقواطع
غزيرة الأعداء والقطاع عزيزة الأشياع والأتباع وهكذا
يجب أن تكون لأنها طريق الجنة فيصير هذا تصديقا لما
قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا إن الجنة حفت بالمكاره وإن
النار حفت بالشهوات وقد قال صلى الله عليه وسلم ألا
وإن الجنة حزن بربوة ألا وإن النار سهل بسهوة ثم مع
ذلك كله فإن العبد ضعيف والزمان صعب وأمر الدين
متراجع والفراغ قليل والشغل كثير والعمر قصير وفي العمل تقصير
والناقد بصير والأجل قريب والسفر بعيد والطاعة هي الزاد
فلا بد منها وهي فائتة فلا مرد لها فمن ظفر بها فقد فاز وسعد
أبد الآبدين ومن فاته ذلك فقد خسر مع الخاسرين وهلك
مع الهالكين فصار لهذا الخطب إذا والله معضلا والخطر عظيما
ولذلك عز من يقصد هذا الطريق وقل ثم عز من القاصدين
من يسلكه ثم عز من السالكين من يصل إلى المقصود ويظفر بالمطلوب
وهم الذين اصطفاهم الله عز وجل لمعرفته ومحبته وسددهم بتوفيقه

وعصمته ثم اوصلهم بفضله الى رضوانه وجنته فنسأله جل ذكره
ان يجعلكم وايانا من اولئك الفائزين برحمته ثم ولما وجدنا
هذا الطريق بهذه الصفة نظرنا فامعنا النظر في كيفية قطعها
وما يحتاج اليه العبد من الاهبة والعدة والآلة والحيلة من علم
وعمل عسى ان يقطعها بحسن توفيق الله في سلامة ولا ينقطع في
عقباتها المهلكة فيهلك مع الهالكين والعياذ بالله فصنفنا في
قطع هذا الطريق وسلوكها كتبا كاحياء علوم الدين والقربة
الى الله عز وجل وغير ذلك فاحتوت على دقائق من العلوم عسرت
على افهام العامة فقدحوا فيها وخاضوا فيما لم يستحسنوه منها فاي
كلام افصح من كلام رب العالمين وقد قالوا فيه اساطير الاولين
الم تسمع لقول زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
رضوان الله عليهم اجمعين حيث يقول انى لاكتم من علمي جواهره
كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقد تقدم في هذا ابو حسن الى
الحسين ووصى قبله الحسنا يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي
انت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح
ما يأتونه حسنا واقتضت الحال عند ذوي الدين النظر الى
كافة خلق الله تعالى بعين الرحمة وترك المماراة فابتهلت
الى من بيده الخلق والامر ان يوفقني لتصنيف كتاب يقع عليه
الاجماع ويحصل بقرائته الانتفاع فاجابني الى ذلك الذي يجيب

المضطر

المضطر اذا دعاه واطلعني بفضله على اسرار ذلك والهمني
فيه ترتيبا عجيبا لم اذكره في المصنفات التي تقدمت في اسرار
معاملات الدين وهو الذي انا له واصف فاقول وبالله
التوفيق ان اول ما ينبه العبد للعبادة ويحركه لسلوك طريقها
خطرة سماوية من الله تعالى وتوفيق خاص الهي وهو المعنى بقوله
تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واشار
اليه صاحب الشرع صلوات الله عليه فقال ان النور اذا دخل في
القلب انفسح وانشرح وقيل يا رسول الله فهل لذلك من
علامة يعرف بها فقال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار
الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت فاذا خطر
بقلب العبد اول كل شيء فيقول اني اجد لي منعما بضروب من
النعم كالحيوة والقدرة والعقل والنطق وسائر المعاني الشريفة
واللذات وما ينصرف عني من ضروب المضار والآفات وان
لهذه النعم منعما يطالبني بشكره وخدمته وان اغفلت ذلك
فيزيل عني نعمته ويذيقني بأسه ونقمته وقد بعث الي رسولا
ايده بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة عن مقدور البشر
واخبرني بان لي ربا جل ذكره قادرا عالما حيا مريدا متكلما يامر
وينهى قادرا على ان يعاقبني ان عصيته ويثيبني ان اطعته
عالما باسراري وما يختلج بافكاري وقد وعد واوعد وامر بالتزام

قوانين الشرع فيقع في قلبه انه ممكن اذ لا استحالة له
في العقل باول البديهة فيخاف على نفسه عند ذلك ويقع في
خاطره الفزع الذي ينبه العبد ويلزمه الحجة ويقطع عنه المعذرة
ويزعجه الى النظر والاستدلال فيهتاج العبد عند ذلك ويقلق
وينظر في طريق الخلاص وحصول الامان له مما وقع بقلبه او سمع
باذنه فلم يجد فيه سبيلا سوى النظر بعقله في الدلايل والاستدلال
بالصنعة على الصانع ليحصل له العلم اليقيني بما هو غيب ويعلم
ان له ربا كلفه وامره ونهاه فهذه اول عقبة استقبلته في
طريق العبادة وهي عقبة العلم والمعرفة ليكون من الامر على بصيرة
فياخذ في قطعها من غير بد بحسن النظر في الدلايل ووفور التامل
والتعلم والسوال من علما الاخرة الذين هم ادلا الطريق وسرج
الامة وقادة الايمة والاستفادة منهم واستمداد الدعا الصالح
منهم للتوفيق والاعانة الى ان يقطعها بتوفيق الله سبحانه وتعالى
فيحصل له العلم واليقين بالغيب وهو ان له ربا واحدا لا شريك
له هو الذي خلقه وانعم عليه بكل هذه النعم وانه كلفه بشكره
وامره بخدمته وطاعته بظاهره وباطنه وحذره الكفر وضروب
المعاصي وحكم له بالثواب الخالد ان اطاعه وبالعقاب الخالد
ان عصاه وتولى عنه فعند ذلك تبعثه هذه المعرفة واليقين
بالغيب على التشمر بالخدمة والاقبال على العبادة لهذا السيد المنعم

الذي

الذي طلبه فوجده وعرفه بعدما جهله ولكنه لا يدري كيف
يعبده وماذا يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه بعد حصول
هذه المعرفة بالله سبحانه وتعالى وما يلزمه من الفرايض الشرعية
ظاهرا وباطنا فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرايض انبعث
لياخذ في العبادة ويشتغل بها فنظر فاذا هو صاحب جنايات
وذنوب وهذا حال الاكثر من الناس فيقول كيف اقبل
على العبادة وانا مصر على المعصية متلطخ بها فيجب اولا
ان اتوب اليه ليغفر لي ذنوبي ويخلصني من اسرها واتطهر
من اقذارها فاصلح للخدمة وبساط القربة فتستقبله ههنا
عقبة التوبة فيحتاج لا محالة الى قطعها ليصل الى ما هو المقصود
منها فياخذ في ذلك باقامة التوبة بحقوقها وشرايطها
الى ان يقطعها فلما حصلت له التوبة الصادقة وفرغ من
هذه العقبة حن الى العبادة لياخذ فيها فنظر فاذا حوله
عوايق محدقة به كل واحدة منها تعوقه عما قصده من العبادة
بضرب من التعويق فتامل فاذا هي اربع الدنيا والخلق
والشيطان والنفس فاحتاج لا محالة الى دفع هذه العوايق
وازاحتها والا فلا يتاتى له امره من العبادة فاستقبلته ههنا
عقبة العوايق فيحتاج الى قطعها باربعة امور التجرد عن الدنيا
والتفرد عن الناس والمحاربة مع الشيطان والنفس فاما

النفس فاشدها اذ لا يمكنه التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة
ويقمعها كالشيطان اذ هي المطية والآلة ولا مطمع ايضاً
في موافقتها على ما يقصده العبد من العبادة والاقبال عليها
اذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباعها له فاحتاج اذاً الى
ان يلجمها بلجام التقوى لتبقى له فلا تنقطع وتنقاد له فلا تطغى
فيستعملها في المصالح والمراشد ويمنعها عن المهالك والمفاسد
فيأخذ اذاً في قطع هذه العقبة ويستعين بالله جل ذكره على ذلك
فلما فرغ من قطعها رجع الى قصد العبادة فاذا عوارض تعترضه
فتشغله عن الاقبال على مقصوده من العبادة فتصده عن التفرغ
لذلك كما ينبغي فتأمل فاذا هي اربعة الرزق تطالبه النفس
به وتقول له لا بد لي من رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا
وتفردت عن الخلق ايضاً فمن اين يكون قوامي ورزقي
والثاني الاخطار من كل شيء يخافه او يرجوه او يريده او يكرهه
ولا يدري صلاحه في ذلك او فساده فان عواقب الامور
مبهمة فيشتغل قلبه بها فانه ربما يقع في فساد او مهلكة الثالث
الشدائد والمصائب تنصب عليه من كل جانب لا سيما وقد
انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضادة النفس
فكم من غصة يتجرعها وكم من شدة يستقبله وكم من هم وحزن
تعترضه وكم من مصيبة تتلقاه الرابع انواع القضاء من الله

سبحانه وتعالى بالحلو والمر ترد عليه حالاً فحالاً والنفس تسارع
الى السخط وتبادر الى الفتنة فاستقبلته ههنا عقبة العوارض
الاربعة فاحتاج الى قطعها باربعة اشياء التوكل على الله سبحانه
وتعالى في مواضع الرزق والتفويض اليه في مواضع الخطر والصبر
عند نزول الشدائد والرضا عند نزول القضاء فاخذ في
قطع هذه العقبة باذن الله تعالى وحسن توفيقه فلما فرغ
من قطعها وعاد الى قصد العبادة فنظر فاذا النفس فاترة
كسلانة لا تنشط ولا تنبعث لخير كما يحق وينبغي وانما ميلها
ابداً الى غفلة ودعة وراحة وبطالة بل الى شر وفضول و
بلية وجهالة فاحتاج معها ههنا الى سائق يسوقها الى الخير
والطاعة وينشطها له وزاجر يزجرها عن الشر والمعصية
وينفرها عنه وهما الرجاء والخوف فالرجاء في عظيم ثواب
الله سبحانه وتعالى وحسن ما وعد من انواع الكرامة وتذكر ذلك
سائق يسوقها فيبعثها على الطاعة ويحركها لذلك وينشطها
والخوف من اليم عقاب الله عز وجل وصعوبة ما اوعد
من انواع العقوبة والاهانة زاجر يزجرها عن المعصية و
يجنبها وينفرها عن ذلك فهذه عقبة البواعث استقبلته
ههنا فاحتاج الى قطعها بهذين الذكرين فاخذ فيها بحسن
توفيق الله تعالى عز وجل فقطعها بتوفيق الله فلما فرغ منها رجع

الى الاقبال على العبادة فلم ير عائقا ولا شاغلا ووجد باعثا
وداعيا فينبسط في العبادة فاقامها وعانقها بتمام الشوق
والرغبة فاداها فنظر فاذا تبدو لهذه العبادة التي احتمل
فيها كل ذلك آفتان عظيمتان وهما الرياء والعجب تارة
يرائي بطاعته الناس فيفسدها واخرى يمتنع عن ذلك ويلوم
نفسه فيه فيعجب بنفسه فيحبط العبادة عليه ويبطلها فاستقبلته
ههنا عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة
ونحوها ليسلم له ما يعمل من خير فاخذ في قطع هذه العقبة باذن
الله تعالى بجد واحتياط وتيقظ بحسن عصمة الجبار تعالى وتأييده
فلما فرغ من هذه كلها حصلت له العبادة كما يحق وينبغي و
سلمت من كل آفة ولكنه نظر فاذا هو غريق في بحار منن الله
تعالى واياديه من كثرة ما انعم عليه من امداد التوفيق والعصمة
وانواع التأييد والحراسة وخاف ان يكون منه اغفال
للشكر فيقع في الكفران فينحط عن تلك المنزلة الرفيعة التي
هي منزلة الصالحين الخالصين لله تعالى وتزول عنه تلك
النعم الكريمة من ضروب الطاف الله تعالى وحسن نظره اليه
فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر فاخذ في قطعها بما امكنه
من كثرة الحمد والشكر على كثير نعمه فلما فرغ من قطع هذه العقبة
ونزل فاذا هو بمقصوده ومبتغاه بين يديه فلم يبق الا قليلا

حتى

حتى وقع في سهل الفضل وصحراء الشوق وعرصات المحبة
ثم يقع في رياض الرضوان وبساتين الانس الى بساط
الانبساط ومرتبة التقريب ومجلس المناجاة ونيل الخلع
والكرامات فهو يتنعم في هذه الحالة ويتقلب في طيبها ايام
بقائه وبقية عمره بشخص في الدنيا وقلب في العقبى ينتظر
البريد يوما فيوما حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر الدنيا
ويحن الى الموت ويستكمل الشوق الى الملأ الاعلى فاذا هو
برسل رب العالمين اليه يردون عليه بالروح والريحان
والبشرى والرضوان من عند رب راض غير غضبان
فينقلونه في طيبة النفس وتمام البشر والانس من هذه الدار
الفانية المضنية الى الحضرة الالهية ومستقر رياض الجنة فيرى
في نفسه الضعيفة الفقيرة نعيما مقيما وملكا عظيما ويلقى
هنالك من سيده الرحيم المفضل الكريم جل ذكره من اللطف
والعطف والترحيب والتقريب والانعام والاكرام
ما لا يحيط به وصف الواصفين ونعت الناعتين فهو
كل يوم في زيادة الى ابد الابدين فيا لها من سعادة عظيمة
ويا لها من دولة عالية ويا له من عبد مسعود وامر مغبوط
وشان محمود وطوبى له وحسن مآب فنسأل الله البر
الرحيم سبحانه وتعالى ان يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظيمة

والمنة الجسيمة وما ذلك على الله بعزيز وان لا يجعلنا من الذين لا نصيب لهم من هذا الامر الا وصف وسماع وعلم وتمنٍ بلا انتفاع وان لا يجعل ما تعلمناه من العلم حجة علينا يوم القيمة وان يوفقنا جميعا للعمل بذلك والقيام به كما يحب ويرضى انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين فهذا هو الترتيب الذي الهمني مولاي في طريق العبادة فاعلم الان ان الحاصل من الجملة سبع عقبات الاولى عقبة العلم الثانية عقبة التوبة الثالثة عقبة العوائق الرابعة عقبة العوارض الخامسة عقبة البواعث السادسة عقبة القوادح السابعة عقبة الحمد والشكر وبتمامها يتم كتاب منهاج العابدين الى الجنة ونحن الان نتتبع هذه العقبات بشرح موجز اللفظ مشتمل على النكت المقصودة من هذا الشان كل منها في باب احد ان شاء الله تعالى والله سبحانه ولي التوفيق والتسديد بمنه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العقبة الاولى وهي عقبة العلم فاقول وبالله التوفيق يا طالب الخلاص والعبادة عليك اولا وفقك الله بالعلم فانه القطب وعليه المدار واعلم ان العلم والعبادة جوهران لاجلهما كان كل ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين ووعظ الواعظين ونظر الناظرين بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت الرسل بل لاجلهما خلقت السموات والارض

وما فيهن

وما فيهن من الخلق وتامل ايتين من كتاب الله عز وجل احديهما قال جل ذكره الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وكفى بهذه الاية دليلا على شرف العلم لا سيما علم التوحيد والاية الثانية قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكفى بهذه الاية دليلا على شرف العبادة ولزوم الاقبال عليها فاعظم بامرين هما المقصودان من خلق الدارين فحق للعبد ان لا يشتغل الا بهما ولا يتعب الا لهما ولا ينظر الا فيهما فاعلم ان ما سواهما من الامور باطل لا خير فيه ولغو لا حاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من امتي وقال صلى الله عليه وسلم نظرة على العالم احب الي من عبادة سنة صيامها وقيامها وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اشراف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال هم علماء امتي فبان لك ان العلم اشرف جوهرا من العبادة ولكن لا بد للعبد من العبادة مع العلم والا كان علمه هباء منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة الثمرة من ثمارها فالشرف للشجرة اذ هي الاصل

لكن الانتفاع انما يحصل بثمرتها فاذاً لابد للعبد من ان يكون له
من كلا الامرين حظ ونصيب ولهذا قال الحسن البصري رضي الله
عنه اطلبوا هذا العلم طلباً لا يضر بالعبادة واطلبوا هذه العبادة
طلباً لا يضر بالعلم فلما استقر انه لابد للعبد منهما جميعاً فالعلم
اولى بالتقديم لا محالة لانه الاصل والدليل ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم العلم امام العمل والعمل تابعه وانما صار العلم
اصلا متبوعا ولزمك تقديمه على العبادة لامرين احدهما لتحصل
لك العبادة وتسلم فانك اولاً يجب ان تعرف المعبود
ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه باسمائه وصفات ذاته
وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما تعتقد في صفاته شيئاً
والعياذ بالله مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا
وقد شرحنا ما في ذلك من الخطر العظيم في بيان معنى سوء الخاتمة
في كتاب الخوف من جملة كتاب احياء العلوم ثم يجب ان
تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية على ما امرت
به لتفعل ذلك وما يلزمك تركه من المناهي لتترك ذلك
والا فكيف تقوم بطاعة لا تعرفها ما هي وكيف هي وكيف يجب
ان تفعل وكيف تجتنب معاصي لا تعلم انها معاص حتى لا تقع
نفسك فيها فالعبادات الشرعية كالطهارة والصلوة
والصوم وغيرها يجب ان تعلمها باحكامها وشرائطها حتى تقيمها

وربما

وربما انت مقيم على شيء سنين وازمانا مما يفسد عليك
طهارتك وصلواتك ويخرجهما عن كونهما واقعين على وفاق
السنة وانت لا تشعر بذلك وربما يعرض لك مشكل ولا تجد
من تسأله عن ذلك وانت ما تعلمته ثم مدار هذا الشان ايضا
على العبادات الباطنة التي هي مساعي القلب يجب ان تعلمها
من التوكل والتفويض والرضا والصبر والتوبة والاخلاص
وغير ذلك مما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ويجب ان تعلم
مناهيها التي هي اضداد هذه الامور كالسخط والامل والرياء والكبر
لتجتنب ذلك فان هذه فرائض نص الله تعالى على الامر بها والنهي
عن اضدادها في كتابه العزيز على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
كما قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين • واشكروا
لله ان كنتم اياه تعبدون • واصبروا ان الله مع الصابرين •
واصبر وما صبرك الا بالله وقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اي اخلص
اليه اخلاصا ونحو ذلك من الآيات كما نص على الامر بالصلوة
والصوم فما لك اقبلت على الصلوة والصوم وتركت هذه
الفرائض والامر بها من رب واحد في كتاب واحد بل غفلت
عنها فلا تعرف شيئا منها اغرك بغوي من اصبح بعاجل حظه
مشعوفا حتى صير المعروف منكرا والمنكر معروفا ومن اهمل
العلوم التي سماها الله في كتابه نورا وحكمة وهدى واقبل على ما

يكتسب الحرام ويكون مصيدة للحطام اما تخاف ايها
المسترشد ان تكون مضيعا لشيء من هذه الواجبات بل
لاكثرها وتشتغل بصلوة التطوع وصوم النفل فتكون في لا شيء
وربما انت مصر على معصية من هذه المعاصي التي تستوجب
بها النار وتترك مباحا من طعام او شراب او نوم تبتغي به
قربة الى الله تعالى فتكون في لا شيء واشد من ذلك كله انك
اي من ذلك الجهل
تكون في امن الامل والامل معصية محضة فتظنه نية خير
لجهلك بالفرق بينهما وتقاربهما في بعض الوجوه وكذلك
تكون في جزع وسخط فتظنه تضرعا وابتهالا الى الله عز وجل
وتكون في رياء محض وتحسبه حمد الله سبحانه وتعالى او دعوة
للناس الى الخير فتاخذ تعد على الله سبحانه المعاصي بالطاعات
وتحتسب الثواب العظيم في مواضع العقوبات فتكون في
غرور عظيم وغفلة قبيحة فهذه والله مصيبة فضيعة للعاملين
من غير علم ثم مع ذلك كله ان للاعمال الظاهرة علايق
من المساعي الباطنة تصلحها وتفسدها كالاخلاص والرياء
والعجب وذكر المنة وغيره فمن لم يعلم هذه المساعي الباطنة
ووجه تاثيرها في العبادات الظاهرة وكيفية الاحتراز منها
وحفظ العمل عنها فقل ما يسلم له عمل الظاهر ايضا فتفوته
طاعات الظاهر والباطن فلا يبقى بيده الا الشقاء والكد

هذا

هذا هو الخسران المبين ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان نوما على علم خير من صلوة على جهل فان العامل
بغير علم يفسد اكثر مما يصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صفة العلم انه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء والعلم
عند الله تعالى ان احد شقوته ان لا يتعلم العلم ثم يشقى ويتعب
في العبادات على خبط فما يكون له من ذلك الا العناء نعوذ
بالله من علم وعمل لا ينفع ولهذا عظمت عناية العلماء الزهاد
العاملين رضي الله عنهم بالعلم خاصة من بين ابناء الناس فان
مدار امر العبودية وملاك العبادة والخدمة لله تعالى على علم
وهكذا يكون نظر اولي الابصار واهل التاييد والتوفيق
فاذا تبين لك بهذه الجملة ان الطاعة لا تصلح للعبد ولا تسلم
له الا بالعلم فيلزم اذا تقديمه في شان العبادة واما الخصلة
الثانية التي توجب تقديم العلم ان العلم النافع يثمر خشية الله
تعالى ومهابته قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وذلك
انه من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه
وحرمته فصار العلم يثمر الطاعة كلها ويحجز عن المعصية كلها
بتوفيق الله وليس وراء هذين مقصد للعبد في عبادة الله
سبحانه فعليك بالعلم ارشدك الله يا سالك طريق الاخرة
اول كل شيء والله ولي التوفيق بفضله ورحمته لعلك ان

تقول فقد ورد في الخبر عن صاحب الشرع صلوات الله عليه
وسلامه انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة
فما العلم الذي طلبه فرض لازم وما الحد الذي لا بد للعبد
من تحصيله في امر العبادة فاعلم ان العلوم التي طلبها فرض
في الجملة ثلثة علم التوحيد وعلم السر اعني به ما يتعلق بالقلب
ومساعيه وعلم الشريعة واما حد ما يجب من كل واحد منها
فالذي يتعين فرضه من علم التوحيد مقدار ما يعرف به اصول
الدين وهو ان لك الها عالما قادرا حيا مريدا متكلما سميعا
بصيرا واحدا لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها
عن دلالات الحدث متوحدا بالقدم على كل محدث وان
محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الصادق فيما جاء به
عن الله سبحانه وفيما ورد على لسانه من امور الاخرة ثم مسائل
في شعار السنة يجب معرفتها واياك ان تبتدع في دين الله
تعالى ما لم يأت به كتاب ولا اثر فتكون مع الله تعالى على اعظم
خطر وجميع ادلة التوحيد موجود اصلها في كتاب الله سبحانه
وقد ذكرها شيوخنا رضي الله عنهم في كتبهم التي صنفوها في اصول
الديانات وعلى الجملة كل ما لا تأمن الهلاك مع جهله فطلب
علمه فرض ولا يسوغ لك تركه فهذه هذه وبالله التوفيق واما
الذي يتعين فرضه من علم السر فمعرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل

كرما نازع العلانية

لك

لك تعظيم الله سبحانه والاخلاص له والنية وسلامة العمل وجميع
ذلك يأتي في كتابنا هذا ان شاء الله تعالى واما من علم الشريعة
فكل ما يتعين عليك فرض فعله وجب عليك معرفته لتؤديه
كالطهارة والصلوة والصيام واما الحج والزكوة والجهاد
ان تعين عليك وجب عليك علمها لتؤديها والا فلا
فهذا حد ما يلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة ويتعين فرضه
بحيث لا بد لك من ذلك فان قلت فهل يفترض على الا
التعلم من علم التوحيد ما انقض به جميع ملل الكفر والزمهم حجة
الاسلام وانقض به جميع البدع والزمهم حجة السنة فاعلم
انه هذا فرض على الكفاية وانما يتعين عليك ما تصحح به اعتقادك
في اصول الدين لا غير وكذلك لا يتعين عليك معرفة فروع
علم التوحيد ودقائقه والاتيان على جميع مسائله نعم ان وردت
عليك شبهة في اصول الدين تخاف ان تقدح في اعتقادك
فيتعين عليك حل تلك الشبهة من الكلام المقنع واياك
والمماراة والمجادلة فانها داء محض لا دواء له فاحترز منه
جهدك فان من ارتداه فلم يفلح الا ان يتغمده الله برحمته ولطفه
ثم اعلم انه اذا كان في كل قطر داع من دعاة اهل السنة يحل الشبهة
ويرد على اهل البدع ويستقل بهذا العلم ويصفي قلوب اهل
الحق عن وساوس المبتدعة فقد سقط الفرض عن من سواه وكذلك

بما امكن صح

لا يلزمك من معرفة دقائق علم السر وجميع شرح عجائب القلب
الا ما يفسد عليك عبادتك فيجب عليك معرفته لتجتنبه وما
يلزمك فعله كالاخلاص والحمد والشكر والتوكل ونحو ذلك فيلزمك
معرفته لتؤديه واما ما سواه فلا وكذلك لا يلزمك معرفة سائر
ابواب الفقه من البيوع والاجارة والنكاح والطلاق والجنايات
وانما كل ذلك فرض على سبيل الكفاية فان قلت فهذا القدر من
علم التوحيد هل يحصل بنظر الانسان من غير معلم فاعلم ان الاستاذ
فاتح ومسهل والتحصيل معه اسهل واروح والله تعالى بفضله يمن
على من يشاء من عباده فيكون هو معلمهم سبحانه ثم اعلم ان هذه العقبة
التي هي عقبة العلم عقبة كؤود ولكن بها ينال المطلوب والمقصود
ونفعها كثير وقطعها شديد وخطرها عظيم كم من عدل عنها فضل وكم
من سلكها فزل وكم من تائه فيها متحير وكم من حسير منقطع وكم
من سالك قطعها في مدة يسيرة وآخر متردد فيها سبعين
سنة والامر كله بيد الله عز وجل اما نفعه فعلى ما ذكرناه من شدة
حاجة العبد اليه وبناء امر العبادة كله عليه لا سيما علم التوحيد
وعلم السر فلقد روي ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام
فقال يا داود تعلم العلم النافع قال الهي ما العلم النافع قال
ان تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء
فهذا الذي يقربك الي وعن علي كرم الله وجهه انه قال ما يسرني

ان لو

ان لو مت طفلا وادخلت الجنة ولم اكبر فاعرف ربي فان اعلم
الناس بالله اشدهم خشية واكثرهم عبادة واحسنهم في الله عز وجل
نصيحة واما شدتها فابذل نفسك في الاخلاص في طلب العلم
ولكن الطلب طلب دراية لا طلب رواية واعلم ان الخطر
عظيم فمن طلب العلم ليصرف به وجوه الناس اليه ويجالس به الامراء
ويباهي به النظراء او يتصيد به الحطام فتجارته بائرة وصفقته خاسرة
قال ابو يزيد البسطامي رحمه الله عملت في المجاهدة ثلثين سنة فما وجدت
شيئا اشد علي من العلم وخطره واياك ان يزين لك الشيطان فيقول
اذا كان قد ورد هذا الخطر العظيم في العلم فتركه اولى فلا تظنن ذلك
فلقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اطلعت ليلة
المعراج على النار فرأيت اكثر اهلها الفقراء قالوا يا رسول الله
من المال قال لا من العلم فمن لم يتعلم العلم لا يتأتى له احكام العبادة
والقيام بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله تعالى عبادة ملائكة السماء بغير
علم كان من الخاسرين فتشمر في طلب العلم بالبحث والتلقين والتدريس
وتجنب الكسل والملال والا فانت في خطر الضلال والعياذ بالله
ثم جملة الامر انك اذا نظرت في دلائل صنع الله تعالى وامعنت
النظر علمت ان لك الها قادرا حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما
منزها عن حدوث الكلام والعلم والارادة مقدسا عن كل
نقص وآفة لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه تعالى

قال لا بل من العلم

مايجوز على المخلوقين المحدودين لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه
شيء من خلقه ولا تتضمنه الاماكن والجهات ولا تحله الحوادث
والآفات ونظرت في معجزات الرسول صلوات الله وسلامه
واعلام نبوته وعلمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامينه
على وحيه وما كان السلف الصالح يعتقدونه من ان الله تعالى
يرى في الآخرة لانه موجود وليس في جهة محدودة وهو غير محدود
وان القرآن كلام الله غير مخلوق ليس بحروف متقطعة ولا اصوات
مختلفة اذ لو كان كذلك لكان من جملة المخلوقات وانه لا يكون
في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله تعالى
وقدره وارادته ومشيته فمنه الخير والشر ومنه النفع والضر
والايمان والكفر وانه لا وجب على الله تعالى لاحد من خلقه من
اثابه فبفضله ومن عاقبه فبعدله وما ورد على لسان صاحب الشرع
صلوات الله عليه وسلامه من امور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب
القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط فهذه اصول درج
السلف رضوان الله عليهم على اعتقادها والتمسك بها ووقع عليها
الاجماع قبل تنوع البدع وظهور الاهواء نعوذ بالله من الابتداع في
الدين واتباع الهوى بغير دليل ثم نظرت في اعمال القلب والمواجب
الباطنة والمناهي التي تاتي في هذا الكتاب ليحصل لك علمه ثم
تعرف جملة ما تحتاج الى استعماله كالطهارة والصلوة والصوم ونحوه

فلقد

فلقد اديت فرض الله تعالى عليك الذي تعبدك به في باب
العلم ولقد صرت من علماء امة محمد صلى الله عليه وسلم الراسخين
في العلم ان انت عملت بعلمك واقبلت على عمارة معادك
وكنت عبدا عالما عاملا لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد
ولا غافل ولك الشرف العظيم ولعلمك القيمة الكبيرة والثواب
الجزيل وكنت قد قطعت هذه العقبة وخلفتها وراءك
وقضيت حقها باذن الله تعالى والله تعالى مسؤول ان يمدك وايانا
بحسن توفيقه وتيسيره انه ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم **العقبة الثانية وهي عقبة التوبة** ثم عليك
يا طالب العبادة وفقك الله بالتوبة وذلك لامرين احدهما
ليحصل لك توفيق الطاعة فان شؤم الذنوب يورث الحرمان
ويعقب الخذلان وان قيد الذنوب يمنع من المشي الى طاعة الله تعالى
والمسارعة الى خدمته وان ثقل الذنوب يمنع من الخفة للخيرات
والنشاط في الطاعات وان الاصرار على الذنوب مما يسود
القلوب فتجدها في ظلمة وقساوة ولا خلوص فيها ولا صفاوة
ولا لذة ولا حلاوة وان لم يرحم الله تعالى فيجر صاحبها الى الكفر والشقاوة
ويا عجبا كيف يوفق للطاعة من هو في شؤم معصية وقساوة و
كيف يدعى الى الخدمة من هو مصر على المعصية والجفوة وكيف يقرب
للمناجاة من هو متلطخ بالاقذار والنجاسات ففي الخبر الصادق

عقبة التوبة

المصدوق رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كذب العبد
تنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح هذا اللسان لذكر
الله عز وجل فلا جرم لا يكاد يجد المصر على العصيان توفيقا ولا تخف
اركانه لعبادة ربه فان اتفق فبكد لا حلاوة معه ولا صفوة وكل
ذلك بشؤم الذنوب وترك التوبة ولقد صدق من قال اذا لم تقو
على قيام الليل وصيام النهار فاعلم بانك مكبول قد كبلتك خطيئتك
فهذه هذه والثاني من الامرين انما يلزمك التوبة لتقبل عنك عبادتك
فان رب الدين لا يقبل الهدية وذلك ان التوبة عن المعاصي وارضاء
الخصوم فرض لازم وعامة العبادة التي تقصدها نفل فكيف
يقبل منك تبرعك والدين عليك حال لم تقضه وكيف تترك
لاجله الحلال والمباح وانت مصر على فعل المحظور والحرام وكيف
تناجيه وتدعوه وتثني عليه وهو والعياذ بالله عليك غضبان
فهذا ظاهر حال العصاة المصرين على المعصية والله المستعان فان
قلت فما معنى التوبة النصوح وحدها وما ينبغي للعبد ان يفعله حتى
يخرج من الذنوب كلها فاقول اما التوبة فانها اسم لمعنى من مساعي القلب
وهي عند التحصيل في قول العلماء رضي الله عنهم تنزيه القلب عن
الذنوب قال شيخنا رضي الله عنه في حد التوبة انه ترك اختيار ذنب
سبق مثله عنه منزلة لا صورة تعظيما لله سبحانه وحذرا من سخطه فلها
اذا اربع شرائط احدها ترك اختيار الذنب وهو ان يوطن قلبه

ويجرد

ويجرد عزمه على انه لا يعود الى الذنب البتة فاما ان ترك الذنب
وفي نفسه انه ربما يعود اليه او لا يعزم على ذلك بل يتردد فانه
ربما يقع له العود فانه ممتنع عن الذنوب غير تائب عنه والثاني
ان يتوب عن ذنب قد سبق عنه مثله اذ لو لم يسبق عنه مثله لكان
متقيا غير تائب الا ترى انه يصح القول بان النبي صلى الله عليه وسلم
كان متقيا عن الكفر ولا يصح القول بانه هو تائب عن الكفر اذ لم يسبق
عنه كفر بحال وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان تائبا عن الكفر
لما سبق عنه ذلك والثالث ان الذي سبق يكون مثل ما يترك
اختياره في المنزلة والدرجة لا في الصورة الا ترى ان الشيخ الهرم
الفاني الذي قد سبق عنه الزنا وقطع الطريق اذا اراد ان يتوب
عن ذلك تمكنه التوبة لا محالة اذ لم يغلق عنه بابها ولا يمكنه ترك
اختيار الزنا وقطع الطريق اذ هو لا يقدر الساعة على فعل
ذلك ولا يقدر على تركه فلا يصح وصفه بانه تارك له ممتنع عنه وهو
عاجز عنه غير متمكن لكنه يقدر على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق
في المنزلة والدرجة كالقذف والكذب والغيبة والنميمة اذ
جميع ذلك معاص وان كان الاثم يتفاوت في حق كل واحدة
بقدرها لكن جميع هذه المعاصي الفرعية كلها بمنزلة واحدة وهي دون
منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون الكفر فلذلك صح منه التوبة عن
الزنا وقطع الطريق وسائر ما مضى من الذنوب التي هو عاجز عن

امثالها اليوم في الصورة والرابعة ان يكون ترك اختياره
لذلك تعظيما لله سبحانه وتعالى وحذرا من سخطه والم عقابه مجردا لا لغرض
دنيوية او رهبة من الناس او طلب ثناء او صيت او ضعف في
النفس او فقر او غير ذلك فهذه شرائط التوبة واركانها واذا
حصلت واستكملت فهي توبة حقيقية صادقة واما مقدمات
التوبة فثلث احدها ذكر غاية قبح الذنوب والثانية ذكر شدة عقوبة
الله تعالى والم سخطه وغضبه الذي لا طاقة لك به والثالثة ذكر
ضعفك وقلة حيلتك في ذلك فان من لم يحتمل حر شمس ولطمة شرطي
وقرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات
كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار في دار الغضب
والبوار نعوذ بالله من سخطه وعذابه فاذا واظبت على هذه الاركان
وداومتها اناء الليل والنهار فانها ستحملك على التوبة النصوح من الذنوب
والله الموفق بفضله فان قيل اليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم
الندم توبة ولم يذكر مما ذكرتم من شرائطها وشددتم شيا يقال له
اعلم اولا ان الندم غير مقدور للعبد الا ترى انه تقع الندامة عن امور
في قلبه وهو يريد ان لا يكون ذلك والتوبة مقدورة للعبد مامور بها
ثم انا قد علمنا انه لو ندم على الذنوب لما ذهب بذلك جاهه عند
الناس او ماله في النفقة فيها فان ذلك لا يكون توبة بلا ريب
فعلمت بذلك ان في الخبر معنى لم تفهم من ظاهره وهو ان الندم لتعظيم

الله سبحانه

الله سبحانه وتعالى وخوف عقابه مما يبعث على التوبة النصوح
فان ذلك من صفات التائبين وحالهم فانه اذا ذكر الاذكار
الثلثة التي هي مقدمات التوبة يندم وتحمله الندامة على
ترك اختيار الذنب وتبقى ندامته في قلبه في المستقبل فتحمله
على الابتهال والتضرع فلما كان ذلك من اسباب التوبة و
صفات التائب سماه باسم التوبة فافهم ذلك موفقا ان
شاء الله تعالى فان قلت كيف يمكن للانسان ان يصير
بحيث ان لا يقع منه ذنب البتة من صغير او كبير كيف والانبياء
صلوات الله عليهم الذين هم اشرف خلق الله قد اختلف
اهل العلم هل نالوا هذه الدرجة ام لا فاعلم ان هذا امر ممكن غير
مستحيل والله يختص برحمته من يشاء ثم من شرط التوبة ان لا تتعمد
ذنبا فاما ان وقع منه سهوا وخطأ فهو معفو عنه بفضل الله تعالى
وهذا هين على من وفقه الله تعالى فان قلت انما يمنعني من التوبة
اني اعلم من نفسي اني اعود الى الذنب ولا اثبت على التوبة فلا فائدة
في ذلك فاعلم ان هذا من غرور الشيطان ومن اين لك هذا العلم
فعسى ان تموت تائبا قبل ان تعود الى الذنب واما الخوف
من العود فعليك العزم والصدق في ذلك وعليه الاتمام فان
اتم فذاك من فضله وان لم يتم فقد غفرت ذنوبك السالفة
كلها وتخلصت منها وتطهرت وليس عليك الا هذا الحديث الذي

الحمد لله الآن وهذا هو الربح العظيم والفائدة الكبرى ولا يمنعك
خوف العود عن التوبة فإنك من التوبة أبدا بين إحدى الحسنيين والله
ولي التوفيق والهداية فهذه هذه وأما الخروج عن الذنوب والتخلص
منها فاعلم أن الذنوب في الجملة ثلثة أقسام أحدها ترك واجبات
الله تعالى عليك من صلوة أو صيام أو زكوة أو كفارة أو غيرها فتقضي
ما أمكنك منها والثاني ذنوب بينك وبين الله تعالى كشرب
الخمر وضرب المزامير وأكل الربا ونحو ذلك فتندم على ذلك وتوطن
قلبك على ترك العود إلى مثلها أبدا والثالث ذنوب بينك
وبين العباد وهذا أشكل وأصعب وهي أقسام قد يكون في المال
وفي النفس وفي العرض وفي الحرمة وفي الدين فما كان في المال
فيجب أن ترده عليه إن أمكنك فإن عجزت عن ذلك لعدم وفقر
فتستحل منه وإن عجزت عن ذلك لغيبة الرجل أو موته وأمكنك
التصدق عنه فافعل وإن لم يمكن فعليك بتكثير حسناتك والرجوع
إلى الله تعالى بالتضرع والابتهال أن يرضيه عنك يوم القيمة وأما
ما كان في النفس فتمكنه من القصاص أو أوليائه حتى يقتص منك
أو يجعلك في حل فإن عجزت فالرجوع إلى الله سبحانه والابتهال إليه
أن يرضيه عنك يوم القيمة وأما العرض فإن اغتبته أو بهته
أو شتمته فحقك أن تكذب نفسك بين يدي من فعلت ذلك
عنده وأن تستحل من صاحبه إن أمكنك هذا إن لم تخش زيادة غيظ

أو تهيج

أو تهييج فتنة في إظهار ذلك أو تجديده فإن خشيت ذلك فالرجوع
إلى الله تعالى ليرضيه عنك والاستغفار الكثير لصاحبه وأما الحرمة
بأن خنته في أهله أو ولده ونحوه فلا وجه للاستحلال والإظهار لأنه
يولد فتنة وغيظا بل تتضرع إلى الله تعالى ليرضيه عنك ويجعل له خيرا
كثيرا في مقابلته فإن أمنت الفتنة والهيج فهو نادر فتستحل منه وأما
في الدين بأن كفرته أو بدعته أو ضللته فهو أصعب الأمر فتحتاج
إلى أن تكذب نفسك بين يدي من قلت ذلك له وأن تستحل
من صاحبك إن أمكنك وإلا فالابتهال إلى الله تعالى جدا والندم على
ذلك ليرضيه عنك وجملة الأمر فما أمكنك من إرضاء الخصوم عملت
وما لم يمكن راجعت الله تعالى سبحانه بالتضرع والتصدق ليرضيه عنك
فيكون ذلك في مشيئة الله تعالى يوم القيمة والرجاء منه بفضله العظيم
وإحسانه العميم أنه إذا علم الصدق من قلب العبد فإنه يرضي خصماءه
من خزانة فضله ولا حكم فاعط هذه حقها راشدا فهذه هذه فإذا أتيت
عملت ما وصفناه وبرأت القلب عن اختيار مثلها في المستقبل
فقد خرجت من الذنوب كلها وإن حصلت منك تبرئة القلب
ولم يحصل منك قضاء الفوائت وإرضاء الخصوم فالتبعات
لازمة وسائر الذنوب مغفورة ولهذا الباب شرح يطول
ولا يحتمله هذا المختصر وانظر كتاب التوبة من كتب إحياء علوم الدين
أولا وكتاب القربة إلى الله تعالى ثانيا وكتاب الغاية القصوى

ثالثا تجد فوائد كثيرة وشرحا جما والذي ذكرناه ههنا هو الاصل
الذي لا بد منه وبالله التوفيق **فصل** ثم اعلم يقينا ان هذه العقبة
عقبة صعبة امرها مهم وضررها عظيم فلقد بلغنا عن الاستاذ ابي اسحق
الاسفرائني رحمه الله وكان من الراسخين في العلم العاملين انه قال دعوت
الله تعالى ثلثين سنة ان يرزقني توبة نصوحا ثم تعجبت في نفسي وقلت
سبحان الله حاجة دعوت الله تعالى فيها ثلثين سنة فما قضيت الى
الان فرايت فيما يرى النائم كان قائلا يقول لي اتعجب من ذلك
اتدري ماذا تسال الله سبحانه انما تسال الله تعالى ان يحبك اما سمعت
قوله جل جلاله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين اهذه حاجة
هينة فانظر الى هولاء الائمة واهتمامهم ومواظبتهم على صلاح قلوبهم
والتزود لمعادهم واما الضرر المخوف فان اول الذنب قسوة
واخره والعياذ بالله شوم وشقوة فاياك ان تنسى امر ابليس وبلعم
بن باعوراء كان مبدا امرهما ذنبا واخره كفرا فهلكا مع الهالكين ابد
الابدين فعليك رحمك الله بالتيقظ والجهد عسى ان تقلع من قلبك
عرق هذا الاصرار وتخلص رقبتك من هذه الاوزار ولا تامن قساوة
القلب من الذنوب وتامل حالك فلقد قال بعض الصالحين
ان سواد القلب من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا تجد للذنوب
مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة منجعا ولا تستحقرن الذنوب
فتحسب نفسك تائبا وانت مصر على الكبائر فلقد بلغنا عن كهمس

بن الحسن

بن الحسن انه قال اذنبت ذنبا انا ابكي عليه منذ اربعين سنة قيل
ما هو يا ابا عبد الله قال زارني اخ لي في الله فاشتريت له سمكا فاكل
ثم قمت الى حائط جاري فاخذت منه قطعة طين فغسل بها يده
فناقش نفسك وحاسبها وسارع الى التوبة وبادر فان الاجل
مكتوم والدنيا غرور وتضرع الى الله سبحانه وابتهل واذكر
حال ابينا ادم عليه السلام الذي خلقه الله تعالى بيده وحمله على
اعناق الملائكة الى جنته لم يذنب الا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل
حتى روي ان الله تعالى قال له يا ادم اي جار كنت لك قال
نعم الجار يا رب قال يا ادم اخرج من جواري وضع عن راسك
تاج كرامتي فانه لا يجاورني من عصاني حتى انه فيما يروى بكى
على ذنبه مائتي سنة حتى قبل توبته وغفر ذنبه الواحد هذا حاله
مع نبيه وصفيه عليه السلام في ذنب واحد فكيف حال الغير
في ذنوب لا تحصى وهذا تضرع التائب وابتهاله فكيف
بالمصر المتعسف ولقد احسن من قال ٭ يخاف على نفسه من يتوب ٭
فكيف ترى حال من لا يتوب ٭ وان تبت ثم نقضت التوبة
وعدت الى الذنب ثانيا فعد الى التوبة مبادرا وقل لنفسك
لعلي اموت قبل ان اعود الى الذنب هذه المرة وكذلك ثانيا
وثالثا ورابعا وكما اتخذت الذنب والعود اليه حرفة فاتخذ
التوبة والعود اليه حرفة ولا تكن في التوبة اعجز منك في الذنب

ولا تيأس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فانه
ولا انه الخير اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم خياركم كل مفتن تواب
اي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع الى الله سبحانه بالندامة
والاستغفار وتذكر قوله سبحانه ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما فهذه هذه وبالله التوفيق **فصل** وجملة الامر انك
اذا ابتدأت فبرأت قلبك عن الذنوب كلها بان توطنه على ان لا تعود
الى الذنب ابدا البتة ليكن ما كان منك على وجه علم الله سبحانه
صدق عزمك من قلب نقي وترضي الخصوم بما امكنك وتقضي الفوائت
بما تقدر عليه وترجع في الباقي الى الله سبحانه بالابتهال والتضرع ليكفيك
ذلك ثم تذهب فتغتسل وتغسل ثيابك وتصلي اربع ركعات
كما يجب وتضع وجهك بالارض في مكان خال لا يراك فيها احد
الا الله سبحانه ثم تجعل التراب على راسك وتمرغ وجهك الذي هو
هو اعز اعضائك في التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت
عال تذكر ذنوبك واحدا واحدا ما امكنك وتلوم نفسك العاصية
عليها وتوبخها وتقول اما تستحيين يا نفس اما آن لك ان تتوبي
ألك طاقة لعذاب الله تعالى ألك حاجة لسخط الله سبحانه وتذكر
من هذا كثيرا وتبكي ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم سبحانه وتقول
الهي عبدك الآبق رجع الى بابك عبدك العاصي رجع الى الصلح
عبدك المذنب اتاك بالعذر فاعف عني بجودك وتقبلني بفضلك

وانظر

وانظر الي برحمتك اللهم اغفر لي ما سلف من الذنوب واعصمني
فيما بقي من الاجل من الذنوب فان الخير كله بيدك وانت بنا
رؤف رحيم ثم تدعو دعاء الشدة وهو يا مجلي عظائم الامور يا منتهى
همم المهمومين يا من اذا اراد امرا فانما يقول له كن فيكون احاطت
بنا ذنوبنا وانت المذخور لها يا مذخورا لكل شدة كنت ادخرتك
لهذه الساعة فتب علي انك انت التواب الرحيم ثم اكثر
من البكاء والتذلل وقل يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا تغلطه المسائل
يا من لا يبرمه الحاح الملحين اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك
برحمتك يا ارحم الراحمين انك على كل شيء قدير ثم تصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم وعلى آله وتستغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين
والمسلمات وترجع الى طاعة الله تعالى فتكون قد تبت توبة نصوحا
وقد خرجت من الذنوب طاهرا كيوم ولدتك امك واحبك
الله سبحانه ولك من الاجر والثواب وعليك من البركة والرحمة ما
لا يحيط به وصف الواصفين وحصل لك الامن والخلاص ونجوت من
غضبه وغصة المعاصي وبليتها في الدنيا والآخرة وكنت قد قطعت
هذه العقبة باذن الله سبحانه وتعالى والله ولي الهداية بمنه وفضله
العقبة الثالثة وهي عقبة العوائق ثم عليك يا طالب العبادة
وفقك الله بدفع العوائق حتى تستقيم عبادتك وقد ذكرنا انها
اربعة احدها الدنيا ودفعها انما هو بالتجرد عنها والزهد فيها وانما

عقبة العوائق

لزمك هذا التجرد والزهد لامرين احدهما ليستقيم العبادة
وتكثر فان الرغبة في الدنيا تشغلك اما ظاهرك بالطلب
او باطنك بالارادة وحديث النفس وكلاهما يمنع عن العبادة
فان النفس واحدة والقلب واحد فاذا اشتغل بشيء انقطع عن
ضده وان مثل الدنيا والاخرة كمثل ضرتين ان ارضيت احديهما
اسخطت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب بقدر ما تميل
الى احدهما اعرضت عن الاخر اما شغلها في الظاهر فقد روينا
عن ابي الدردا رضي الله عنه انه قال حاولت ان اجمع بين العبادة
والتجارة فلم يجتمعا فاقبلت على العبادة وتركت التجارة و
عن عمر رضي الله عنه انه قال لو كانتا تجتمعان لاحد غيري لاجتمعتا لي
لما اعطاني الله تعالى من القوة واللين فاذا كان الحديث كذلك
فاضر بالغاية واما شغلها للقلب وهو الباطن لمكان الارادة
فما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من احب دنياه
اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى
فبان لك انه اذا اشتغل ظاهرك بالدنيا وباطنك بارادتها فلا
تتيسر لك العبادة حقها واما اذا زهدت فيها وتفرغت بظاهرك
وباطنك تتيسر لك العبادة بل تعاونك اعضاؤك ولقد روي
عن سلمان الفارسي رضي الله عنه انه قال ان العبد اذا زهد في الدنيا
استنار قلبه بالحكمة وتعاونت اعضاؤه بالعبادة فهذه هذه النكتة

من الامرين

الزهد

من الامرين انه يكثر قيمة عملك ويعظم قدره وشرفه ولقد قال
صلى الله عليه وسلم ركعتان من رجل زاهد قلبه خير واحب الى الله تعالى
من عبادة المتعبدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا فاذا كانت العبادة
تكثر وتشرف بذلك فحق لمن طلب العبادة ان يزهد في الدنيا
ويتجرد عنها فان قلت فما معنى الزهد في الدنيا وحقيقة ذلك
فاعلم ان الزهد عند علمائنا رضي الله عنهم زهدان زهد مقدور
للعبد وزهد غير مقدور فالذي هو مقدور ثلثة اشيا ترك طلب
المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك ارادتها واختيارها
واما الزهد الذي هو غير مقدور للعبد فهو برودة الشيء على
قلب الزاهد ثم الزهد الذي هو مقدور للعبد مقدمات للزهد
الذي هو غير مقدور فاذا اتى به العبد بان لا يطلب ما ليس عنده
من الدنيا ويفرق ما عنده منها ويترك بالقلب ارادتها واختيارها
لآفاتها اورثته تلك برودة الدنيا على قلبه لاجل الله وعظيم ثوابه
وهذا عندي هو الزهد الحقيقي ثم اعلم ان اصعب الامور الثلثة
انما هو ترك الارادة بالقلب اذ كم تارك لها بظاهره محب مريد
لها بباطنه وهو في مكافحة ومقاساة في نفسه شديدة فالشان
كله في هذه الم تسمع قوله سبحانه وتعالى عز من قائل تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا اعلق الحكم على نفي
الارادة دون الطلب والفعل للمراد وقوله سبحانه عز من قائل من

كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقوله تعالى من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء الآية وقوله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها
سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا أما ترى الإشارة
كلها إلى الإرادة فأمرها المهم إذا لكن العبد إذا واظب واستقام
على الأولين أعني الترك والتفريق فمأمول من فضل الله سبحانه
أن يوفقه لدفع هذه الإرادة والاختيار عن قلبه فإنه المتفضل
الكريم عز وجل ثم الذي يبعث على الترك والتفريق ويهون
عليك ذلك ذكر آفات الدنيا وعيوبها وقد أكثر الناس القول
في ذلك فمنه قول بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها
وسرعة فنائها وخسة شركائها قال الشيخ الإمام رحمه الله ولكن
يجيء من هذا رائحة الرغبة لأن من شكا وأن أحد حب وصاله
ومن ترك شيئا لمكان الشركاء فيه أخذه لو انفرد به فالقول البالغ
فيه ما قاله شيخنا رضي الله عنه أن الدنيا عدوة الله عز وجل وأنت
محبها ومن أحب أحدا أبغض عدوه قال ولأنها في أصلها دنسة جيفة
ألا ترى أن آخرها إلى القذر والفساد والتلاشي والاضمحلال لكنها
جيفة صبغت بطيب وطليت بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون
وزهد فيها العاقلون فإن قيل فما حكم الزهد في الدنيا أهو فرض
أو نفل فاعلم أن الزهد يقع عندنا في الحلال والحرام فهو في الحرام

فرض

فرض وفي الحلال نفل ثم منزلة هذا الحرام لمستقيمي الطاعة بمنزلة الميتة ح
المستقذرة لا يقدم عليها إلا عند الضرورة بمقدار دفع الضرر
وأما الزهد في الحلال فإنما يكون في منزلة الأبدال عندهم الحلال
بمنزلة الميتة لا يتناولون منها إلا قدرا لا بد منه والحرام عندهم
بمنزلة النار لا يخطر ببالهم قصد تناولها بحال فهذا معنى البرودة
على القلب بأن ينقطع همته عنها ويستقذرها ويستنكرها جدا
فلا يبقى لها في قلبه اختيار ولا إرادة فإن قلت كيف يمكن
أن تصير الدنيا في شهواتها ولذاتها العجيبة المطلوبة عند الإنسان
بمنزلة النار أو بمنزلة الجيفة المستحيلة والبنية بنتنا والطبع المستقذرة ح
طبعا فاعلم أن من وفق التوفيق الخاص وعلم آفاتها وقذرها
في أصلها فتصير عنده كذلك وإنما يتعجب من هذا الراغبون العميان
عن عيب الدنيا وآفاتها المغترون بظاهرها وزينتها وسأضرب
لك مثلا لذلك فاعلم أن هذا يمثل بإنسان صنع خبيصا أنظف
من السكر وغيره ثم طرح فيه قطعة سم قاتل وأبصر ذلك رجل
ولم يبصره آخر ووضع الخبيص بين أيديهما فتراه فرحا فالرجل
الذي أبصر ما جعل فيه من السم يكون زاهدا في ذلك الخبيص لا يخطر
بباله أن يتناول منه بحال البتة ويكون ذلك عنده بمنزلة النار
بل أصعب لمكان ما يعلم من آفاته ولا يغتر بظاهره وزينته وأما
الرجل الآخر الذي لم يبصر ما جعل فيه اغتر بظاهره المزخرف وحرص

عليه ولم يصبر عنه واخذ يتعجب من صاحبه الزاهد فيه وربما يسفهه
في ذلك فهذا مثل حرام الدنيا مع البصراء المستقيمين والجهال
الراغبين فان لم يطرح فيه السم ويزرق فيه او يخلط ثم ضمخه وزينه
فالرجل الذي شاهد منه ذلك الفعل يكون مستقذرا لذلك
الخبيص نافرا عنه لا يكاد يقدم عليه الا عند الضرورة وشدة
الحاجة اليه والذي لم يشهد ذلك فهو جاهل لما فيه مغتر بظاهره
حريص عليه مكب معجب محب فهذا مثل حلال الدنيا مع الفريقين
اهل البصيرة والاستقامة واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال
الرجلين مع تساويهما في الطبع والبنية لبصارة وعلم كان لاحدهما
وجهل وخفاء كان للآخر فلو علم الراغب وابصر ما علمه الزاهد
لكان زاهدا ولو جهل الزاهد وعمي عما عمي عنه الراغب كان
راغبا مثله فعلمت بذلك ان هذا التميز لمكان البصائر دون
الطبائع وهذا اصل مفيد وكلام بين سديد اعترف به من
عقل وانصف والله ولي الهداية والتوفيق بفضله فان قيل
فلا بد لنا من قدر من الدنيا ليكون قواما لنا فكيف نزهد فيها فاعلم
ان الزهد في الفضول مما لا يحتاج اليه في قوام البنية فالمقصود
القوام والقوة حتى يعبد الله تعالى سبحانه لا الاكل والشرب والتلذذ
والله تعالى ان شاء اقامها بشيء وسبب وان شاء اقامها بغير سبب
كالملائكة ثم ان كان بشيء ان شاء فبشيء حاصل عندك او بطلبك

وكسبك وان شاء بشيء غيره بسببه لك من حيث لا تحتسب من
غير طلب منك وكسب كما قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا لا تحتاج بحالة الى الطلب
والارادة وان لم تقو على ذلك وطلبت واردت فانو بذلك
القوة على عبادة الله سبحانه وتعالى دون الشهوة واللذة فانك
اذا نويت ذلك كان الطلب والارادة منك خيرا وطلبا للآخرة
بالحقيقة لا للدنيا ولا يقدح في زهدك وتجردك فاعلم هذه الجملة
راشدا وبالله التوفيق **العائق الثاني الخلق** ثم عليك وفقك
الله واياك للطاعة بالتفرد عن الخلق وذلك لامرين احدهما انهم
يشغلونك عن عبادة الله عز وجل على ما حكي عن بعضهم انه قال مررت
بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فاردت ان اكلمه فقال
لي ذكر الله اشهى الي من كلامك فقلت انت وحدك فقال معي
ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت
اين الطريق فاشار بيده الى السماء فقام وتركني فالخلق اذا اشغلوك
عن العبادة بل يمنعونك منها بل يوقعونك في الشر والهلاك على
ما قال حاتم الاصم رحمه الله عليه طلبت من هذا الخلق خمسة اشياء
فلم اجد ما طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني
عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا مني ان فعلت فلم
يفعلوا فقلت لا تمنعوني عنها اذا امتنعوا فقلت لا تدعوني الى ما لا

الله سبحانه وتعالى ولا تعادوني عليها ان لم انا نعلم فلم يفعلوا فتركتهم
واشتغلت بمحاسبة نفسي واعلم ايها الاخ في الدين ان نبيك
محمدا صلى الله عليه وسلم وصف زمان العزلة وبين نعته ونعت
اهله وامر فيه بالتفرد وكان لا محالة اعلم بالمصالح وانصح لنا منا
لانفسنا فان وجدت زمانك على ما وصف وبين فامتثل امره صلى
الله عليه وسلم كان اعرف بما يصلح لك في زمانك ولا تتعلل بالعلل
الكاذبة ولا تخادع نفسك والا فانت هالك ولا عذر لك ولو صف
الذي ذكرناه منها ما هو في الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما انه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ ذكر الفتنة فقال اذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخانت
اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه قلت ما اصنع يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك جعلني الله فداك قال الزم بيتك
واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر
الخاصة ودع عنك امر العامة وذكر في خبر آخر انه قال عليه السلام
ذاك ايام الهرج قيل وما ايام الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه
وذكر ابن مسعود رضي الله عنه في خبر آخر للحارث بن عميرة انه قال
له انه يوشك ان عمرك فسياتي عليك زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه
كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه قائد العلم قال ومتى ذلك
قال اذا اميتت الصلوة وقبلت الرشا وباع الدين بعرض

بسبب

بسبب من الدنيا فالنجا ويحك ثم النجا قلت وجميع ما ذكر في هذه
الاخبار تراه بعينك في زمانك واهله فانظر لنفسك ثم ان
السلف الصالح رضوان الله عليهم اجمعين اجمعوا على التحذير من
زمانهم واهله واثروا العزلة وامروا بذلك وتواصوا بها ولا شك
انهم كانوا ابصر وانصح فان الزمان لم يصر بعدهم خيرا مما كان
بل اشر وامر وهو ما ذكر عن يوسف بن اسباط انه قال سمعت
الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة في
هذا الزمان قلت وانا ولئن حلت في زمانه ففي زماننا هذا وجبت
وافترضت وعن سفيان ايضا انه كتب الى عباد الخواص اما
بعد فانك في زمان كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي الله
عنهم يتعوذون بالله من ان يدركوه فيما بلغنا ولهم من العلم ما ليس
لنا فكيف بنا حين ادركناه على قلة علم وقلة صبر وقلة اعوان
على الخير وكدر من الدنيا وفساد من الناس فان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال في العزلة راحة من خلاط السوء وفي مثل هذا
قيل هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول
ابن مسعود ان دام هذا ولم يحدث له غيره لم يبك ميت
ولم يفرح بمولود ولقد وجدت عن سفيان بن عيينة انه قال
قلت للثوري اوصني قال اقلل من معرفة الناس قلت يرحمك الله

اليس قد جاء في الخبر اكثروا من معرفة الناس فان لكل مؤمن شفاعة
قال احسبك رايت قط ما تكره الا ممن تعرف قلت اجل ثم مات
فرايته بعد موته في منامي فقلت يا ابا عبد الله اوصني قال اقلل
من معرفة الناس ما استطعت فان التخلص منهم شديد وقد قيل في معنى
هذا الخبر نظما . فما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي . افتش عن هذا الورى
والكشف . وما ان عرفت الناس الا ذممتهم . جزى الله خيرا كل من
لست اعرف . قال الفضيل رحمه الله تعالى هذا زمان احفظ
لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر
وقال الثوري هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والرضا بالقوت
الى ان تموت وعن داود الطائي انه قال لبعض اصحابه صم عن الدنيا
واجعل فطرك الاخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وعن ابي عبيد
ما رايت حكيما قط الا قال لي في عقب كلامه ان احببت ان لا تعرف
فانت من الله على بال وحال والاخبار في هذا الباب اكثر من
ان يحتمله هذا الكتاب وقد صنفنا فيه كتابا مفردا وسميناه كتاب
اخلاق الابرار والنجاة من الاشرار فقف عليه ما ترى العجب
العجاب وللعاقل اشارة والله ولي التوفيق والهداية بفضله
واما الخصلة الثانية التي تقتضي التوقي من الناس في هذا الزمان
ان الناس يفسدون عليك ما يحصل لك من العبادة ان لم يعصم
الله تعالى بسبب ما يوقعون من قبلهم من دواعي الريا والتزين ولقد صدق

يحيى

ترك التزاور

يحيى بن معاذ حيث قال رؤية الناس بساط الريا وهؤلاء
الزهاد قد خافوا على انفسهم من هذا المعنى حتى تركوا الملاقات
والتزاور ولقد ذكر ان هرم بن حيان قال لاويس القرني
رحمه الله يا اويس صلنا بالزيارة واللقا وقال اويس قد وصلتك
بما هو انفع لك منهما وهو الدعاء بظهر الغيب لان الزيارة
واللقا يعرض فيهما التزين والريا وقيل لسليمان الخواص قدم
ابراهيم بن ادهم افلا تاتيه فقال لان القى شيطانا ماردا احب
الي من لقائه فاستنكروا ذلك من قوله فقال اني اذا لقيته اخاف
ان اتزين له فاذا لقيت شيطانا امتنع منه ولقد لقي شيخ
الامام بعض العارفين فتذاكرا مليا ثم دعيا في اخر حديثهما وقال
شيخي للعارف ما اظنني جلست مجلسا انا له ارجى من مجلسي هذا
وقال له العارف لكني ما جلست مجلسا انا له اخوف مني من مجلسي
هذا الست تعمد الى احسن حديثك وعلومك فتحدثني بها وتظهرها
بين يدي وانا كذلك وقد وقع الريا فبكى شيخ الامام مليا ثم
غشي عليه وكان بعد ذلك يتمثل بهذه الابيات . يا ويلتي من موقف
ما به اخوف من ان يعدل الحاكم . ابارز الله بعصيانه وليس لي من
دونه راحم . يا رب عفوا منك عن مذنب . اسرف الا انه
نادم . فهذا حال اهل الزهد والرياضة في ملاقاتهم فكيف حال
اهل الرغبة والبطالة بل حال اهل الشر والجهالة واعلم ان الزمان

امام الحرمين رحمه الله عليه

قد اصبح في فساد عظيم واصبح الناس في شر كبير فانهم يشغلونك
عن عبادة الله حتى لا يكاد يحصل لك منها شيء ثم يفسدون
عليك ما حصل لك حتى لا يكاد يسلم لك شيء فلزمتك العزلة
والتفرد عن الناس والاستعاذة بالله تعالى من شر هذا الزمان واهله
والله تعالى الحافظ بفضله ورحمته فان قيل فما حكم العزلة والتفرد
عن الناس فبين لنا حال طبقات الخلق فيها والحد الذي يجب
منها فاعلم رحمك الله وايانا ان الناس في هذا الباب رجلان
رجل لا حاجة للخلق اليه في علم وبيان حكم فالاولى بهذا الرجل التفرد
عن الناس فلا يخالطهم الا في جمعة او جماعة او عيد او حج او مجلس
علم بالسنة او حاجة في معيشة لا بد له من ذلك والا فيتوارى يتخفه
ويلزم كنه لا يَعرف ولا يُعرف فاما ان احب هذا الرجل ان
ينقطع عن الناس فلا يخالطهم في امر من الامور البتة من دين ودنيا
وجمعة وجماعة وغيرها لما يرى له في ذلك من مصلحة وفراغ فانه
لا يسعه ذلك الا باحد امرين اما ان يصير الى موضع لا تلزمه هنالك
هذه الفروض كرؤوس الجبال وبطون الاودية ونحوها ولعل
هذا احد الوجوه التي دعت العباد الى تلك المواضع البعيدة
عن الناس واما ان يتيقن بالحقيقة ان الضرر الذي يلحقه في مخالطة
الناس بسبب هذه الفروض اعظم من تركها فيكون له عذر في ذلك
ولقد رأيت انا بمكة حرسها الله بعض المشايخ المتفردين من اهل

العلم

العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعة مع قربه منه وسلامة حاله
فحاورته في ذلك يوما في حال ترددي اليه فذكر من عذره ما اشرنا
اليه وهو ان ما يجده من الثواب لا يفي بما يلحقه من الآثام والتبعات
في الخروج الى المسجد ولقاء الناس قلت انا وجملة الامر فلا عتب
على المعذور والله تعالى اولى بالعذر وهو عليم بذات الصدور ولكن
الطريق العدل فيه هو الاول بان يشارك الناس في الجماعة والجمعة
وضروب الخيرات ويباينهم فيما سوى ذلك فان احب الطريق
الثاني بان ينقطع عن الناس بمرة فسبيله الخروج الى موضع لا يتوجه
عليه هذه الفروض ثم ان الطريق الثالث ان يكون مع الناس
في مصر واحد لا يحضر جمعة ولا جماعة بعذر يراه في ذلك من وزر
او تبعة عليه فانه يحتاج الى نظر دقيق وعوارض عظيمة حتى يسقط
عنه ذلك وفيه خطر من الغلط فالاولى ان يسلم ويحفظ له والله ولي
الهداية بفضله واما الرجل الثاني فرجل يكون قدوة في العلم بحيث
يحتاج الناس اليه في امر دينهم لبيان حق او رد على مبتدع او
دعوة الى خير بفعل او بقول او نحو ذلك فلا يسع هذا الرجل الاعتزال
عن الناس بل ينصب نفسه ناصحا بينهم لخلق الله ذابا عن دين
الله مبينا لاحكام الله فلقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله هذا
اذا كان بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز له ايضا فلقد حكى ان الاستاذ

اذ قال

ابا بكر بن فورك رحمه الله قصد ان ينفرد لعبادة الله عن الخلق
فبينما هو في بعض الجبال اذ سمع صوتاً ينادي يا ابا بكر اذا
صرت من حجج الله على خلقه تركت عباد الله فرجع وكان هذا
سبب صحبته للخلق وذكر لي مأمون بن احمد رحمه الله ان
الاستاذ ابا اسحق رحمه الله قال لعباد جبل لبنان يا اكلة
الحشيش تركتم امة محمد صلى الله عليه وسلم في ايدي المبتدعة و
اشتغلتم ههنا باكل الحشيش قالوا له انا لا نقوى على صحبة
الناس وانما اعطاك الله قوة فيلزمك ذلك فصنف بعد
ذلك كتابه الجامع الجلي والخفي وكان لهم رضي الله عنهم مع
غزارة علمهم العمل الجم والنظر الدقيق في سلوك طريق الاخرة
فاعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه في باب الدين يحتاج
في صحبة الخلق الى امرين شديدين احدهما صبر طويل وحلم
عظيم ونظر لطيف واستعانة بالله دائمة والثاني ان يكون
في هذا المعنى منفرداً عنهم وان كان بالشخص معهم وان كلموه
كلمهم وان زاروه عظمهم على قدرهم وشكرهم وان سكتوا عنه
واعرضوا استغنم ذلك منهم وان كانوا في خير وحق ساعدهم
وان صاروا الى لغو وشر خالفهم وهاجرهم بل رد عليهم وزجرهم
ان رجا قبولهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات والعيادات
وقضاء الحاجات التي ترفع اليه ما امكنه ولا يطالبهم بالمكافات

ولا يرجو

ولا يرجو ذلك منهم ولا يريهم من نفسه استيحاشاً لذلك ويباسطهم
بالبذل اذا قدر وينقبض عنهم في الاخذ ان اعطى ويحتمل منهم
الاذى ويظهر لهم البشر ويتجمل لهم بظاهره ويكتم حاجاته
عنهم ويقاسيها ويعالجها في سره وباطنه ثم يحتاج مع ذلك
الى ان ينظر لنفسه خاصة ويجعل لها حظاً من العبادة الخالصة
كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان نمت الليل لاضيعن
نفسي وان نمت النهار لاضيعن الرعية فكيف لي بالنوم
بين هاتين وفي هذا المعنى عرض لي ابيات من الشعر فان كنت
في هدي الائمة راغبا ۝ فوطن على ان تمتلك الوقايع بنفس
وقور عند كل كريهة ۝ وقلب صبور وهو في الصدر مايع ۝
لسانك مخزون وطرفك مطرق ۝ وسرك مكتوم لدى الرب
ذايع ۝ وذكرك معمور وبابك مغلق ۝ وثغرك بسام وبطنك
جايع ۝ وقلبك مجروح وسوقك كاسد ۝ وفضلك مدفون
وصونك شايع ۝ وفي كل يوم انت جارع غصة ۝ من الدهر والاخوان
والقلب طايع ۝ نهارك شغل الناس من غير منة ۝ وليلك
شوق غاب عنه الطلايع ۝ فدونك هذا الليل خذه ذريعة ۝
ليوم عبوس عرفيه الذرايع ۝ نعم فالنفس معهم والقلب ما لا بعد
عنهم وذلك لعمري امر شديد وعيش نكد وفيه يقول الشيخ رحمه الله
في وصيته يا بني عش مع اهل زمانك ولا تقتد بهم ثم قال

ما اشد هذا العيش مع الاحياء والاقتداء بالاموات وعن
ابن مسعود رضي الله عنه خالط الناس وزايلهم ودينك لا تكلمنه
فهذه نكتة مقنعة ثم اقول اذا ماج الفتن بعضها في بعض
وتراجع الامر وولي الناس غير امر الدين مدبرين لا يقبلون
في مؤمن الّا ولا ذمة ولا يطلبون عالماً ولا يتبعون مفيداً او
لا يعنيهم امر دينهم البتة ونرى الفتنة تعم العامة وتدب بين الخاصة
فللعالم العذر في العزلة والتفرد ودفن العلم واخفائه ما ذكرناه
هو هذا الزمان النكد الصعب والله المستعان وعليه التكلان
فهذا حكم العزلة والتفرد عن الناس فافهم فان الغلط فيه عظيم
وضرره كثير والله التوفيق فان قيل اليس النبي عليه السلام يقول
عليكم بالجماعة فان يدي الله على الجماعة وان الشيطان ذئب الانسان
يأخذ الشاذة والناجية والقاصية وقال ان الشيطان مع الفذ
وهو من الاثنين ابعد فاعلم ان هذه وردت وورد ايضا
الزم بيتك وعليك بالخاصة وامر بالعزلة والتفرد في الزمان
السوء ولا تناقض في قوله صلى الله عليه وسلم ولا بد من الجمع بين
الحديثين بحول الله وتوفيقه فاقول قوله صلى الله عليه وسلم
عليكم بالجماعة يحتمل ثلثة اوجه احدها انه يعني به في الدين والحكم انه
لا يجتمع هذه الامة على ضلالة فخرق الاجماع والحكم بخلاف ما عليه
جمهور الامة والشذوذ عنهم باطل وضلال واما ان يعتزل عنهم

لصلاح

لصلاح في دينه فليس هذا من ذلك في شيء والثاني عليكم بالجماعة
بان لا تنقطعوا عنهم في جمعهم وجماعاتهم ونحوها فان فيها قوة الدين
وجمال الاسلام وغيظ الكفار والملحدين ولا يخلو ذلك من بركات
ونظر من الله بالرحمة وكذلك نقول ان حق المتفرد ان يشارك
الناس في الجموع العامة في الخير وان يجانبهم في الصحبة والمخالطة
في سائر الامور لما فيها من ضروب الآفات والثالث ان
ذلك في غير زمان الفتنة للرجل الضعيف في امر الدين واما
الرجل البصير القوي في امر الله تعالى اذا راى زمان الفتنة الذي
حذر النبي صلى الله عليه وسلم الامة منه وامرهم بالعزلة فيه فالعزلة
اولى له في الخلطة من الفساد والآفة وان لا ينقطع من جموع الاسلام
والخيرات العامة وان اراد ان يتفرد عن الناس بمرة فليسكن
بشاهق جبل او بطن فلاة لصلاح يراه في دينه ثم قلت ولا ارى
مثل هذا الرجل اين ما كان الا ويمكنه الله تعالى من حضور الجماعات
والجمعات وسائر جموع الاسلام فيحضر لئلا يفوته الحظ منها ايضا
فان جموع الاسلام من الله بمكان وان تغير الناس وفسدوا وكذا
سمعنا من حال الابدال انهم يحضرون جموع الاسلام اين ما كانت
ويسيرون في الارض حيث ما يشاؤا وان الارض لهم قدم
واحد وفي الاخبار ان الارض تطوى لهم وينادون بالتحيات
ويتحفون في انواع البر والكرامات فهنيئا لهم بما لطف الله واحسن

الله عز اسمه غفلوا عن النظر في خلاص نفسه واغاثة الطالب الذي
لم يصل الى المقصود كامثالنا ولقد عرض لي في صفة حالي ابيات
من الشعر وهي، طفق الطالبون في نصل الوصل، وفاز الاحباب
بالاحباب، وبقينا مذبذبين حيارى، بين حد الوصال والاجتناب
نرتجي القرب بالبعاد وهذا، نفس حال المحال للالباب، فاسقنا
منك شربة تذهب الغم، وتهدي الى طريق الصواب، يا طبيب
السقام يا مرهم الجرح، ويا منقذي من الاوصاب، ولنقبض
عنان الجنان ونرجع الى المقصود من شان العزلة وقد خرجنا عن
شرط الباب، فان قيل اليس قد قال صلى الله عليه وسلم رهبانية
امتي الجلوس في المسجد وفيه زجر عن التفرد فاعلم ان ذلك
في غير زمن الفتنة كما ذكرناه وايضا فانه يجلس في المسجد
ولا يخالط الناس ولا يداخلهم فيكون بالشخص معهم وفي هذا المعنى
منفردا وهذا هو المعنى في العزلة والتفرد الذي نحن في شرحه
لا التفرد بالشخص والمكان فافهم ذلك يرحمك الله وفيه يقول
ابراهيم بن ادهم كن واحدا جامعيا ومن ربك ذا انس ومن
الناس وحشيا فان قيل فما تقول في مدارس علماء الاخرة وربطات
الصوفية سالكي طريق الاخرة والكون فيها فاعلم ان ذلك
الطريقة المثلى في هذا الشان لعامة اهل العلم والاجتهاد وذلك
انها جمعت المعنيين والفائدتين اللتين احدهما العزلة عن

الناس

الناس والتفرد عنهم بالصحبة والمخالطة والمزاحمة في امورهم
والثانية المشاركة معهم في جمعهم وجماعتهم وتكثير شعائر الاسلام
لتحصل السلامة التي هي للمتفردين والخير الكثير الذي هو لعامة
المسلمين مع ما للناس فيهم من العدة والبركة والنصيحة فصار
الكون فيها اعدل طريق واحسن حال واسلم سبيل ولهذا الشان
اقام اكثر العارفين بين الناس لنفعهم لعباد الله في باب الدين
وقلة اذاهم ومشاهدة الخلق لادابهم وحسن رسومهم ليقتدوا
بهم وان لسان الحال افصح من لسان المقال فصار ذلك احسن
تدبير في امر الدين للعلم والعبادة واحكم رأي فان قيل فما حال
المريدين مع المجتهدين والمرتاضين الصحبة لهم ام يعتزلهم فاعلم انهم
اذا كانوا ثابتين على رسومهم الاولية وسيرهم الموروثة عن
سلفهم فهم اجل اخوان في الله عز وجل واصحاب واعوان على عبادة
الله سبحانه فلا يسعك عزلة عنهم وتفردا انما مثلهم مثل ما تسمع
من زهاد لبنان وغيرهم انه منهم جماعة يتعاونون على البر والتقوى
ويتواصون بالحق والصبر واما اذا تغيروا وتركوا رسومهم و
طريقهم الموروثة من اسلافهم الصالحين فحكم هذا المجتهد المرتاض
معهم كحكمه مع سائر الناس يلزم زاويته ويكف لسانه ويشاركهم
في خيراتهم ويجانبهم في سائر احوالهم وآفاتهم فيكون هو في عزلة
من اهل العزلة متفردا عن المتفردين فان قلت فان اختار هذا

المجتهد المرتاض ان يخرج من بينهم الى مكان آخر لصلاح يراه في نفسه
ويجتنب آفة تدخل عليه في صحبتهم فاعلم ان هذه المدارس والرباطات
بمنزلة حصن يتحصن بها المجتهدون عن القطاع والسراق وان
الخارج بمنزلة الصحراء تدور فيه فرسان الشياطين عسكرا عسكرا
فتسلبه او يتأسره فكيف حاله اذا خرج الى الصحراء وتمكن العدو
منه من كل جانب يعمل به ما شاء فاذا ليس لهذا الضعيف الا
لزوم الحصن واما الرجل القوي البصير الذي لا يغلبه الاعداء
واستوى عنده الحصن والصحراء فلا عليه اذا خرج غير ان الكون في
الحصن احوط على كل حال اذ لا يؤمن من الفلتات والاتفاقات
السوء واذا كان الامر بهذه الجملة فالكون مع رجال الله والصبر
على مشقة الصحبة اولى للمرتاض وطالب الخير بكل حال وان لا مانع
للقوي البالغ مبلغ الاستقامة عن التفرد منهم فاعلم هذه الجملة
وتأملها تغتنم وتسلم ان شاء الله عز وجل فان قيل فما تقول
في زيارة الاخوان في الله عز وجل ومواصلة الاصحاب بالتلاقي
والتذكر فاعلم ان زيارة الاخوان في الله تعالى من جواهر عبادة
الله تعالى وفيها الزلفة الكريمة الى الله عز وجل مع ما فيها من
ضروب الفوائد وصلاح القلب ولكن بشرطين احدهما ان لا يخرج
في ذلك الى الاكثار والافراط قال النبي عليه السلام لابي هريرة
رضي الله عنه يا ابا هريرة زر غبا تزدد حبا والثاني ان يحفظ حق

ذلك

ذلك بالتجنب عن الرياء والتزين وقول اللغو والغيبة ونحو
ذلك فيعود عليك وعلى اخيك الوبال فلقد حكي ان الفضيل
وسفيان رحمهما الله تذاكرا فبكيا فقال سفيان يا ابا علي ارجو انا
ما جلسنا مجلسا ارجى لنا من هذا فقال الفضيل ما جلست
مجلسا اخوف علي من هذا قال وكيف يا ابا علي قال الست
تعمدت الى احسن حديثك فحدثتني به وانا عمدت الى احسن ما عندي
فحدثتك به فتزينت لي وتزينت لك فبكى سفيان فيجب
ان يكون مجالستك الاخوان وملاقاتهم على مقدار قصد في احتياط
ونظر لطيف ولا يقدح ذلك في عزلتك وتفردك عن
الناس ولا يعود عليك وعلى اخيك بضرر وآفة بل يجر كثير نفع
عظيم والله الموفق فان قلت فما يعينني على العزلة عن الناس
والتفرد ويهون علي ذلك فاعلم ان الذي يهون ذلك عليك
ثلثة امور احدها استغراق اوقاتك في العبادة فان في العبادة
شغلا فان الاستيناس بالناس من علامة الافلاس فاذا رايت
نفسك تطلع الى كلام الناس وملاقاتهم من غير حاجة وضرورة
فاعلم ان ذلك فضول ساقه الفراغ والبطر ولقد احسن من
قال في هذا المعنى ان الفراغ الى سلامك قادني ولربما عمل الفضول
الفارغ فاذا اعتنقت العبادة حقها وجدت حلاوة المناجات
واستانست بكتاب الله سبحانه واشتغلت عن الخلق واستوحشت

عن صحبتهم وكلامهم وفي الخبر ان موسى عليه السلام كان اذا رجع
عن المناجات يستوحش عن الناس وكان يجعل اصبعه في اذنيه
لئلا يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده في النفور والوحشة في ذلك
الوقت كاصوات الحمير وعليك بما قاله شيخنا رضي الله عنه اتخذ
الله صاحبا وذر الناس جانبا والثاني قطع الطمع عنهم بمرة
فيهون عليك امرهم لانهم لا ترجو نفعهم ولا تخاف ضره فوجوده
وعدمه سوا والثالث تبصر آفاتهم وتتذكر ذلك وتكرره على
قلبك فان هذه الاذكار الثلاثة اذا لزمتها طردتك عن صحبة
الخلق الى باب الله تعالى والتفرد لعبادته وخشيته اليك والزمتك
بابه وبالله التوفيق والعصمة العائق الثالث الشيطان ثم عليك
يا اخي بمحاربة الشيطان وقهره وذلك لخصلتين احدهما انه عدو
ولا مطمع فيه لمصالحة وابقاء عليه بل لا يقنعه الا هلاكك اصلا
فلا وجه اذاً للامن من مثل هذا العدو والغفلة عنه وتأمل ايتين
من كتاب الله سبحانه احدهما قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم
ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين والثانية ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا وهذا اقصى التحذير وغايته والخصلة الثانية
انه مجبول على عداوتك ومنتصب ابداً لمحاربتك فهو آناء الليل
واطراف النهار يرميك بسهامه وانت غافل فكيف يكون الحال
ثم وقعت معك نكتة اخرى وهي انك في عبادة الله تعالى ودعوة الخلق

الى باب

الى باب الله سبحانه بفعلك وقولك وهذا ضد صنيع الشيطان وهمته
ومراده وحرفته فصرت كانك قمت وشددت وسطك
لتغايظ الشيطان ولتكابده وتناقضه فهو لا محالة يشد وسطه
ليعاديك ويقابلك ويماكرك حتى يفسد عليك شأنك بل حتى
يهلكك رأسا اولا يأمن من جانبك بعد فانه الذي يسعى ويقصد
بالهلاك لانه لا يغايظه ولا يناقضه بل يصادقه ويوافقه كالكفار
واهل الضلالة واهل الرغبة في بعض الاحوال فكيف قصده
لمن قام بمغايظته وتجرد لمناقضته فله اذاً مع سائر الناس
عداوة عامة ومعك ايها المجتهد في العبادة والعلم عداوة خاصة
وان امرك له مهم ومعه عليك اعوان اشدها عليك نفسك
وهواك وله اسباب ومداخل وابواب انت عنها غافل و
لقد صدق يحيى بن معاذ الرازي حيث قال الشيطان فارغ وانت
مشغول والشيطان يراك وانت لا تراه وانت تنساه وهو لا ينساك
ومن نفسك للشيطان عليك عون فاذاً لا بد من محاربته وقهره
والا فلا تأمن من الفساد والهلاك فان قلت فباي شيء احارب
الشيطان وباي شيء اقهره فادفعه فاعلم ان لاهل هذه الصناعة
في هذه المسئلة طريقين احدهما ما قال بعضهم ان التدبير في دفع
الشيطان الاستعاذة بالله سبحانه لا غير فان الشيطان كلب سلطه
الله عليك فان اشتغلت في محاربته ومعالجته تعبت وضاع

عليك وفتنك وربما يظفر بك فيعوقك ويجرحك فان الرجوع
الى رب الكلب ليصرفه عنك اولى والثانى ما قال آخرون ان
الطريق المجاهدة والقيام عليه بالدفع والرد والمخالفة والذى
عندى ان الطريق العدل الجامع فى امره ان تجمع بين الطريقين فتستعيذ
بالله اولا من شره كما امرنا وهو الكافى شره ثم ان رأيناه يتغلب
علينا علمنا انه ابتلاء من الله تعالى ليرى صدق مجاهدتنا وقوتنا فى
امر الله تعالى وصبرنا كما انه يسلط علينا الكفار مع قدرته على كفاية
امرهم وشرهم ليكون لنا حظ من الجهاد والصبر والتمحيص والشهادة
كما قال الله وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء وقال الله
تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقال الله
تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين فكذلك هذا ثم ان محاربته وقهره فيما قال علماؤنا رضى الله
عنهم فى ثلثة اشياء احدها ان تعرف وتتعلم مكايده وحيله ولا يجاسر
ح عليك كاللص اذا علم ان صاحب الدار قد احس به فر والثانى
ان تستخف بدعوته فلا تعلق قلبك بذلك وتتبعه فانه بمنزلة الكلب
النابح ان اقبلت عليه ولع بك ولج وان اعرضت عنه سكت
والثالث ان تديم ذكر الله تعالى بلسانك وقلبك ولقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ذكر الله تعالى فى جنب الشيطان كالاكلة
فى جنب ابن آدم فان قلت فكيف نعلم كيده وكيف الطريق

الى معرفة

الى معرفة ذلك فاعلم اولا ان له وساوس وهى بمنزلة السهام
التى ترميها وذلك انما يتبين لك بمعرفة الخواطر واقسامها والثانى
ان له حيلا بمنزلة الشبكات التى ينصبها وذلك يتبين بمعرفة المكايد
واوضاعها ومجاريها ولقد ذكر علماؤنا رضى الله عنهم ابوابا فى
الخواطر وقد صنفنا كتابا سميناه تلبيس ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل
الاكثار ولكنا نذكر ان شاء الله من كل واحد منها اصلا كافيا اذا
اعتصمت به **فاما اصل الخواطر** فاعلم ان الله وكل بقلب ابن
آدم ملكا يدعو الى الخير يقال له الملهم ولدعوته الهام وسلط فى
مقابلته شيطانا يدعو الانسان الى الشر يقال له الوسواس ولدعوته
وسوسة فالملهم لا يدعو الا الى الخير والوسواس لا يدعو الا الى الشر
فى قول اكثر علمائنا رضى الله عنهم وقد حكى عن شيخنا رحمه الله ان الشيطان
ربما يدعو الى الخير وقصده فى ذلك الشر بان يدعوه الى المفضول ليمنعه
عن الفاضل او يدعوه الى خير ليجره الى شر عظيم لا يفى خيره بذلك
الشر من عجب او غيره فهذان داعيان قائمان على قلبه يدعوانه وهو
يسمع قلبه يحس بذلك على ما روى فى الاخبار انه اذا ولد لابن
آدم مولود قرن الله سبحانه به ملكا وقرن الشيطان به شيطانا
فالشيطان جاثم على اذن قلب ابن آدم الايسر والملك جاثم
على اذن قلبه الايمن فهما يدعوانه وقال النبى صلى الله عليه وسلم
للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة يعنى نزلة بالدعوة من قولهم

لم بالميزان والكم به اذ انزل به ثم ركب الله تعالى في بنية الانسان
طبيعة مائلة الى الشهوات ونيل اللذات كيف كانت من حسن
او قبيح وذلك هوى النفس الصارفة الى الآفات فهذه ثلثة
دعاة ثم اعلم بعد هذه المقدمة ان الخواطر هي آثار تحدث في قلب
العبد تبعثه على الافعال والتروك وتدعوه اليها وسميت خواطر
لاضطرابها من خطرات الرمح ونحوه وحدوثها جميعا في قلب العبد
بالحقيقة من الله سبحانه لكنها اربعة اقسام منها ما يحدثه الله سبحانه
في القلب ابتداء فيقال له خاطر فقط وقسم يحدثه موافقا للطبع
فيقال له هوى النفس وينسب اليه وقسم يحدثه عقيب دعوة
الملهم فينسب اليه فيقال له الهام وقسم يحدثه عقيب دعوة
الشيطان فينسب اليه فيقال له الوسوسة وتنسب اليه بانها
خواطر من الشيطان وانما هي في الحقيقة حادثة عند دعوته فهو
كالسبب في ذلك ولكنه ينسب اليه فهذه اربعة اقسام من الخواطر
ثم اعلم بعد هذا التقسيم ان الخاطر الذي من قبل الله تعالى ابتداء قد
يكون بخير اكراما والزاما للحجة وقد يكون بشر امتحانا وتغليظا
للمحنة والخاطر الذي يكون من قبل الملهم لا يكون الا بخير اذ هو ناصح
مرشد لم يرسل الا لذلك والخاطر الذي يكون من قبل الشيطان لا يكون
الا بشر اغواء واستذلالا وربما يكون بالخير مكرا واستدراجا والذي
يكون من قبل هوى النفس يكون بالشر وبما لا خير فيه تمنيا وتعسفا

ولقد

ولقد وجدت عن بعض السلف ان هوى النفس ايضا قد يدعو
الى خير والمقصود منه شر كالشيطان وهذه انواعها ثم بعد هذه
انك محتاج الى معرفة ثلثة فصول لا بد لك منها البتة وفيها
المقصود احدها الفرق بين خاطر الخير وخاطر الشر في الجملة والثاني
الفرق بين خاطر شر ابتدائي او شيطاني او هوائي وبماذا يفرق
بينها فان لكل واحد منها دافعا من نوع آخر والثالث الفرق بين خاطر
خير ابتدائي او الهامي او شيطاني او هوائي لتتبع ما يكون من الله
تعالى او من الملهم وتجتنب ما يكون من الشيطان وكذلك الهوى على قول
من يقول به واما الفصل الاول قال علماؤنا رضي الله عنهم اذا
اردت ان تعرف خاطر الخير من خاطر الشر وتفرق بينهما فزنه
باحد الموازين الاربعة فيتبين لك حاله فالاول ان تعرض الامر
الذي خطر ببالك على الشرع فان وافق جنسه فهو خير وان كان
بالضد من رخصة او شبهة فهو شر فان لم يتبين لك بهذا الميزان فاعرضه
على الاقتداء فان كان في فعله اقتداء بالصالحين فهو خير وان كان بالضد
اتباعا للطالحين فهو شر وان لم يستبن لك بهذا الميزان فاعرضه
على النفس والهوى فانظر ان كان مما تنفر عنه النفس نفرة طبع لا نفرة
خشية وترهيب فاعلم انه خير وان كان مما تميل اليه النفس ميل طبع
وجبلة لا ميل رجاء الى الله وترغيب فهو شر اذ النفس امارة بالسوء
لا تميل باصلها الى خير فباحد هذه الموازين اذا نظرت وامعنت

الشيطان يستبين لك خاطر الخير من خاطر الشر والله تعالى ولي الهداية
بفضله انه جواد كريم رحيم **واما الفصل الثاني** اذا اردت
ان تفرق بين خاطر شر يكون من قبل الشيطان وبين خاطر شر يكون
من قبل الهوى او من قبل الله تعالى ابتداء فانظر فيه من ثلثة اوجه
احدها ان وجدته مصمما راتبا على حالة واحدة فهو من الله عز وجل
او من هوى النفس وان وجدته مترددا مضطربا فاعلم انه من الشيطان
وكان بعض العارفين رحمه الله يقول مثل هوى النفس مثل النمر اذا
حارب لا ينصرف الا بجمع بالغ وقهر ظاهر او مثل المحارب الذي
يقاتل تدينا لا يكاد يرجع حتى يقتل ومثل الشيطان مثل الذئب
اذا طردته من جانب دخل من جانب آخر والثاني انك ان وجدته عقيب
ذنب احدثته فهو من الله تعالى اهانة وعقوبة بشؤم ذلك
الذنب قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
قال شيخنا الامام رحمه الله هكذا تؤدي الذنوب الى قسوة القلب
اولها خاطر ثم تؤدي الى القسوة والرين وان كان هذا الخاطر مبتدأ
لا عقيب ذنب كان منك فاعلم انه من قبل الشيطان هذا في الاكثر لانه
يبتدئ بدعوة الشر ويطلب الاغواء بكل حال والثالث ان
وجدته لا يضعف ولا يقل بذكر الله ولا يزول فهو من الهوى فان وجدته
يضعف ويقل بذكر الله فهو من الشيطان كما ذكر في تفسير قوله تعالى
من شر الوسواس الخناس ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم اذا

ذكر الله

ذكر الله تعالى خنس واذا غفل وسوس **واما الفصل الثالث**
اذا اردت ان تفرق بين خاطر خير يكون من الله تعالى او من
الملك فانظر في ذلك من ثلثة اوجه احدها ان كان قويا
مصمما فهو من الله تعالى وان كان مترددا فهو من الملك اذ هو
بمنزلة ناصح يدخل معك من كل وجه ويعرض عليك كل نصح رجاء
اجابتك ورغبتك في الخير والثاني ان كان عقيب اجتهاد منك
وطاعة فهو من الله تعالى قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى وان كان مبتدأ فهو من
الملك في الاغلب والثالث ان كان في الاصول والاعمال
الباطنة فهو من الله سبحانه وان كان في الفروع والاعمال الظاهرة
فهو من الملك في الاكثر اذ الملك لا سبيل له الى معرفة باطن
العبد في قول اكثرهم واما خاطر الخير الذي يكون من قبل الشيطان
استدراجا الى شر يربي عليه ولقد قال شيخنا رضي الله عنه الطريق ان
وجدت نفسك في ذلك الفعل الذي خطر بقلبك مع نشاط
لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع امن لا مع خوف ومع
عمى العاقبة لا مع بصيرة فاعلم انه من الشيطان فاجتنبه فان وجدت
نفسك على ضد ذلك مع خشية لا مع نشاط ومع تأن لا مع عجلة و
مع خوف لا مع امن ومع بصارة العاقبة لا مع عمى فاعلم انه من
الله تعالى او من الملك قلت انا وكان النشاط خفة في الان

للفعل من غير بصيرة وذكر ثواب بنشطه في ذلك واما الثاني
فمحمود الا في مواضع معلومة معدودة وذكر عن الحبر عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال العجلة من الشيطان الا في خمسة تزويج البكر
اذا ادركت وقضاء الدين اذا وجب وتجهيز الميت اذا مات
وقرى الضيف اذا نزل والتوبة من الذنب اذا اذنب
واما الخوف فيحتمل ان يكون في اتمامه واداته على وجهه وحقه و
قبول الله تعالى اياه واما بصارة العاقبة بان يتبصر ويتيقن
انه رشد وخير ويحتمل لرؤية الثواب في العقبى ورجائه فاعلم
ذلك موفقا بهذه الفصول الثلثة التي لزمتك معرفتها في الاصول
فصل الخواطر فارعها وامعن النظر فيها ما استطعت فانها من
العلوم اللطيفة والاسرار الشريفة في هذا الباب والله الموفق
بفضله واما فصل الحيل والمخادعة من الشيطان فمجرى ذلك
ومثاله ان مكايد الشيطان مع ابن ادم في الطاعة من سبعة اوجه
احدها ان ينهاه عنها فان عصمه الله تعالى ورده بان قال اني لمحتاج
الى ذلك جدا اذ لا بد من الزاد من هذه الدنيا الفانية للاخرة
التي لا انقضاء لها ثم يامره بالتسويف فان عصمه الله رده بان
قال ليس اجلي بيدي على اني ان سوفت عمل اليوم الى غد فعمل
الغد متى اعمله فان لكل يوم عملا ثم يامره بالعجلة فيقول له عجل
عجل لتتفرغ لكذا وكذا فان عصمه الله تعالى رده بان قال قليل العمل

مع التمام

مع التمام خير من كثيره مع النقصان ثم يامره باتمام العمل مراياة
للناس فان عصمه الله تعالى رده بان قال ما الذي اعمل مراياة
الناس افلا يكفيني رؤية الله تعالى ثم يريد ان يوقعه في العجب فيقول
ما اعظمك ما اعقلك وايقظك فان عصمه الله تعالى رده بان قال
المنة لله في ذلك دوني فهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي
قيمة عظيمة بفضله ولولا فضله فماذا كان قيمة هذا العمل في
جنب نعمة الله تعالى علي وجنب معصيتي له ثم ياتيه من وجه
سادس وهو اعظمها ولا يقف عليه الا كل متيقظ وهو ان
يقول اجتهد انت في السر فان الله تعالى سيظهره عليك وليس
كل عامل عمله واراد بذلك ضربا من الريا فان عصمه الله عز وجل
رده بان قال يا ملعون الى الان كنت تاتيني من وجه افساد عملي
والان تاتيني من وجه اخلاصه لتفسده انما انا عبد الله تعالى وهو
عظيما سيدي ان شاء اظهر وان شاء اخفى وان شاء جعلني خطيرا وان شاء
جعلني حقيرا وذلك اليه ما ابالي ان اظهر ذلك للناس او
ان المشية والارادة
لم يظهره فليس بايديهم شيء ثم ياتيه من وجه سابع ويقول لا حاجة
لك الى هذا العمل لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل
وان خلقت شقيا لم ينفعك فعله فان عصمه الله عز وجل رده
بان قال انما انا عبد وعلى العبد امتثال الامر للعبودية والرب
اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ولانه ينفعني العمل كيف

ما كنت لأني ان كنت سعيداً احتجت اليه لزيادة الثواب
وان كنت شقياً فانا محتاج اليه كيلا الوم نفسي على ان الله تعالى
لا يعاقبني على الطاعة بكل حال ولا يضرني على اني ان دخلت
النار وانا مطيع احب الي من ان ادخلها وانا عاص فكيف ووعده
حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعات بالثواب فمن لقي الله
تعالى على الايمان والطاعة لن يدخل النار البتة ودخل الجنة
لا لاستحقاقه بعمله الجنة ولكن لوعده الصادق تعالى ولهذا المعنى
اخبر الله تعالى عن السعداء اذ قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده فتيقظ
رحمك الله فان الامر كما ترى وتسمع وقس عليه سائر الاحوال
والافعال واستعن بالله تعالى واستعذ به فان الامر بيده ومنه التوفيق
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **العائق الرابع النفس**
ثم عليك عصمك الله وايانا بالحذر من هذه النفس الامارة بالسوء
فانها اضر الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء وعلاجها اعسر الاشياء
وداؤها اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء وانما ذلك لامرين
احدهما انها عدو من داخل واللص اذا كان من داخل البيت
عزت الحيلة فيه وعظم الضرر ولقد صدق القائل: نفسي الى
ما ضرني داعي ❊ تكثر اسقامي واوجاعي ❊ كيف احتيالي من عدوي ❊
اذا كان عدوي بين اضلاعي ❊ الثاني انها عدو محبوب والانسان
عمٍ عن عيب محبوبه لا يكاد يبصر عيبه كما قال القائل: وعين الرضا

عن كل

عن كل عيب كليلة ❊ ولكن عين السخط تبدي المساويا ❊
فاذا استحسن الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع على عيب
لها فهي في عداوتها واضرارها فما اوشك ما توقعه في فضيحة وهلاك
وهو لا يشعر الا ان يحفظ الله تعالى بفضله ويعين عليها برحمته
ثم اقول تأمل الرجل نكتة واحدة مقنعة وهي انك اذا نظرت
وجدت اصل كل فتنة وفضيحة وخزي وهلاك وذنب وآفة
وقع في خلق الله تعالى من اول الخلق الى يوم القيمة من قبل هذه النفس
اما بها وحدها او بمعونتها ومشاركتها ومساعدتها فاول المعصية
لله تعالى كان من ابليس وكان سببه بعد القضاء السابق هوى النفس
بكبرها وحسدها القته بعد عبادة ثمانين الف سنة فيما قيل في بحر
الضلال فغرق الى ابد الابدين اذ لم يكن هناك دنيا ولا خلق
ولا شيطان بل كانت النفس بكبرها وحسدها وحملت به ما عملت
ثم ذنب آدم وحواء طرحهما شهوة النفس في ذلك وحرصها على
البقاء والحيات حتى اغترا بقول ابليس وكان ذلك اذا بعون
النفس وشركها حتى سقط بذلك من جوار الله تعالى وقرار الفردوس
الى هذه الدنيا الحقيرة النكيدة الفانية المهلكة ولقي اولاده ما لقوا
من ذلك اليوم الى ابد الابدين ثم حديث قابيل وهابيل كان السبب
في امرهما الحسد والشح ثم حديث هاروت وماروت كان السبب في
الشهوة ثم هلم جراً الى يوم القيمة لا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة

اتيانها

سبب شهوة النفس في الاغترار بقول ابليس

شانهما

ولا فصلا الا ولا معصية الا واصلها النفس وهواها والا كان
الخلق في سلامة وخير واذا كان عدو بهذا الضرر كله فحق للعاقل ان
يهتم بامره والله تعالى ولي التوفيق والهداية بفضله فان قلت
فما الحيلة اذا لنا في هذا العدو وما التدبير في امره فبين لنا
ذلك فاعلم انا ذكرنا فيما تقدم ان امرها عسير صعب اذ لا يمكن
قهرها بمرة كسائر الاعدا اذ هي المطية والالة قيل ان اعرابيا
بالكلية
دعا لانسان بخير فقال كبت الله تعالى كل عدو لك الا نفسك
ولا يمكن اهمالها بمرة لمكان ضررها فتحتاج الى طريق بين الطريقين
نربيها ونقويها بقدر ما تحتمل فعل خير ونضعفها ونحبسها على حد
لا تتمادى في امرها في علاج شديد ونظر لطيف ثم قد ذكرنا
في امرها ان نلجمها بلجام التقوى والورع لتحصل فائدتين جميعا فانه
قيل ان هذه دابة جموح وبهيمة صعبة شكسة لا تنقاد للجام فما الحيلة
سيئة الخلق
فيها حتى يمكننا زمها فاعلم انك لصادق والحيلة تذليلها حتى تنقاد
للجام قال علماؤنا رضي الله عنهم انما تذلل النفس ويكسر هواها
بثلاثة اشيا احدها منع الشهوات فان الدابة الحرون تلين اذا
نقص من علفها والثاني حمل اثقال العبادات عليها فان الحمار اذا
زيد في حمله مع نقصان من علفه تذلل وانقاد والثالث الاستعانة
بالله تعالى والتضرع اليه بان يعينك والا فلا مخلص اما تسمع قول يوسف
عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فاذا واظبت

على هذه

مطلب التقوى

على هذه الامور الثلاثة انقادت لك النفس الجموح باذن الله تعالى
فجد بذلك ان تملكها وتلجمها وتامن من شرها فان قلت فبين
لنا ما هو التقوى حتى نعلمه فاعلم اولا ان التقوى كنز عزيز فلئن
ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس وخير كثير
ورزق كريم وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم فكان خيرات الدنيا
والاخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التي هي التقوى
وتامل ما في القران من ذكرها كم علق بها من خير وكم وعد عليها من
ثواب وكم اضاف اليها من سعادة وانا اعد لك من جملتها اثنتي
عشرة خصلة اولها المدحة والثناء في قوله تعالى وان تصبروا
من حقائق الامور
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور والثاني الحفظ والحراسة
من الاعدا قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا
والثالث التاييد والنصر قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا
وقال الله ان الله مع المتقين والرابع النجاة من الشدائد والرزق
من الحلال قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب والخامس اصلاح العمل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم والسادس
غفران الذنوب قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
واطيعوا يغفر لكم ذنوبكم والسابع محبة الله تعالى ان الله يحب
المتقين والثامن القبول قال الله تعالى انما يتقبل الله من

المتقين والتاسع الاكرام والاعزاز قال الله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقاكم والعاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى
الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة والحادي عشر النجاة من النار قال الله تعالى ثم ننجي
الذين اتقوا وقوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذي والثاني عشر
الخلود في الجنة قال الله تعالى اعدت للمتقين فهذا كل خير وسعادة
في الدارين تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك ايها الرجل منها
ثم الذي يختص به هذا الشان من بيان امر العبادة ثلثة اصول
احدها التوفيق والتاييد اولا وهو للمتقين كما قال الله تعالى
ان الله مع المتقين والثاني اصلاح العمل واتمام التقصير وهو
للمتقين كما قال الله تعالى يصلح لكم اعمالكم والثالث قبول العمل
وهو للمتقين كما قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ومدار
العبادة على هذه الامور الثلثة التوفيق اولا حتى تعمل ثم الاصلاح
للتقصير حتى يتم ثم القبول اذا تم وهذه الثلثة هي التي يتضرع
فيها العابدون الى الله عز وجل ويسئلون فيقولون ربنا وفقنا
لطاعتك واتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله ذلك كله على
التقوى واكرم بها التقي سال او لم يسال فعليك بهذه التقوى
ان اردت عبادة الله تعالى سبحانه بل ان اردت سعادة الدنيا
والعقبى ولقد صدق القائل من اتقى الله فذاك الذي سيق اليه

المتجر

المتجر الرابح والقائل من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك
الشقي ما يصنع العبد بعز الغنى والعز كل العز للمتقي وكتب
على بعض القبور ليس زاد سوى التقى فخذي منه او دعي ثم تامل
اصلا واحدا وهو هب انك قد تعبت جميع عمرك في العبادة
وجاهدت وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت اليس الشان
كله في القبول وقد علمت ان الله تعالى يقول انما يتقبل الله من
المتقين فرجع الامر كله الى التقوى ولذلك روي عن عائشة رضي
الله تعالى عنها انها قالت ما اعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء
من الدنيا ولا اعجبه احد الا ذو تقى وعن قتادة انه قال مكتوب في
التورية يا ابن ادم اتق الله ونم حيث شئت وبلغني عن عامر بن
عبد قيس انه بكى عند موته وكان يصلي كل يوم وليلة الف ركعة ثم يأوي
الى فراشه ويقول يا ماوى كل شر والله ما رضيتك لله عز وجل طرفة
عين وبكى يوما فقيل له ما يبكيك فقال قوله تعالى انما يتقبل الله
من المتقين ثم تامل نكتة اخرى وهي اصل الاصول وهي ما ذكر ان
بعض الصالحين قال لبعض اشياخه اوصني بوصية فقال اوصيكم
بوصية الله رب العالمين للاولين والاخرين قوله تعالى ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قلت انا
اليس الله سبحانه اعلم بصلاح العبد من كل احد وليس هو انصح له
وارحم واراف من كل احد ولو كانت في العالم خصلة هي اصلح للعبد

الى

واجمع للخير واعظم للاجر واجل في العبودية واعظم في القدر واولى
بالحال وانجح في المآل من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله
سبحانه امر بها عباده واوصى خواصه بذلك لكمال حكمته ورحمته
فلما اوصى بهذه الخصلة الواحدة وجمع الاولين والآخرين من عباده
في ذلك واقتصر عليها فعلمت انها الغاية التي لا متجاوز عنها و
لا مقتصر دونها وانه عز وجل قد جمع كل نصح ودلالة وارشاد و
تنبيه وتعليم وتأديب وتهذيب في هذه الوصية الواحدة كما
يليق بحكمته ورحمته وعلمت ان هذه الخصلة التي هي التقوى هي
الجامعة لخير الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة الى
اعلى الدرجات في العبودية وهذا اصل لا مزيد عليه وفيه كفاية
لمن ابصر النور واهتدى وعمل بذلك فاستغنى والله ولي الهداية
بفضله والتوفيق فان قلت لقد عظم قدر هذه الخصلة وجل
موقعها واشتدت الحاجة الى معرفتها فلا بد الآن من تفصيلها فاعلم
ان الامر كذلك فحق لها ان يجل قدرها ويلزم طلبها وتمس الحاجة
الى علمها ولكنك تعلم ان كل خطير وكبير يحتاج في اجتلابه الى طلب
كثير وتعب كبير وهمة عالية وجهد شديد فاذاً كما ان هذه الخصلة
خصلة عظيمة كبيرة فالمجاهدة في طلبها والقيام بحقها والعناية في
تحصيلها ايضاً لفعل كبير وشأن عظيم فان المكارم على حسب
المكاره وان اللذات على حسب المؤنات والله تعالى يقول والذين

جاهدوا

جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فان الله هو الرؤوف الرحيم
الذي بيده تيسير كل عسير فاستمع وتنبه وتفهم حد بيان
هذه الخصلة حتى تعلمها ثم تشمر للقيام بها واستعن بالله
عز وجل حتى تعمل بما تعلم فان الشأن كله في ذلك والله ولي
الهداية والتوفيق بفضله فنقول اعلم اولاً ان التقوى في
قول شيوخنا رحمهم الله هو تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق
عنك مثله حتى يحصل العبد من قوة العزم على تركها وقاية بينه و
بين المعاصي هكذا قال شيخنا رحمه الله وذلك ان اصل
لفظة التقوى في اللغة هو الوقوى بالواو وهو مصدر الوقاية
يقال وقى يقي وقاية ووقوى فابدلت عن الواو تاء كما هو
في الوكلان والتكلان ونحوهما وقيل تقوى فاذاً لما حصلت
وقاية بين العبد وبين المعاصي من قوة عزمه على تركها وتوطين
قلبه على ذلك فيوصف ح بانه متقٍ ويقال لذلك النية
والعزم والتوطين تقوى والتقوى في القرآن ينطلق على
ثلاثة اشياء احدها بمعنى الخشية والهيبة قال الله تعالى فاياي
فاتقون وقال واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله والثاني
بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله حق تقاته قال ابن عباس اطيعوا الله حق طاعته وقال
مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى وان يشكر

ان م

٢ التقوى تطلق على
ثلاثة اشياء

فلا يكفو والثالث بمعنى تبرئة القلب عن الذنوب وهذه
هي الحقيقة في التقوى دون الاولين الا ترى ان الله تعالى
يقول ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك
هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى فعلمت
ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تبرئة
القلب على ما ذكرنا ثم قالوا رحمهم الله تعالى منازل التقوى ثلثة
تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي
الفرعية ولقد ذكرها الله تعالى في اية واحدة وهي قوله تعالى
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا
ثم اتقوا واحسنوا والتقوى الاولى تقوى عن الشرك والايمان
في مقابلة التوحيد والتقوى الثانية عن البدعة والايمان الذي
ذكر معها اقرار بالسنة والجماعة والتقوى الثالثة عن المعاصي
الفرعية ولا اقرار في هذه المنزلة فقابلها بالاحسان وهو
الطاعة والاستقامة عليها فتكون منزلة الاستقامة على الطاعة فالاية
جمعت ذكر المنازل الثلاث منزلة الايمان ومنزلة السنة
ومنزلة استقامة الطاعة فهذه ما قاله العلماء في بيان معنى التقوى
قلت انا وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال وهو
ما روي في الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

وانما سمي

وانما سمي المتقون متقين لتركهم ما لا باس به حذرا عما به
باس واحببت ان اجمع بين ما قاله علماؤنا وبين ما جاء
في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيكون حدا جامعا ومعنى لغة
فاقول التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا في دينك
الا يرى انه يقال للمريض المحتمي انه يتقي اذا اجتنب كل
شيء يضره في بدنه من طعام او شراب او فاكهة او غيرها
ثم الذي تخاف منه الضرر في امر الدين قسمان محض الحرام
والمعصية وفضول الحلال لان الاشتغال بفضول الحلال
والانهماك فيه يستجر صاحبه الى الحرام ومحض العصيان وذلك
لشره النفس وطغيانها وتمرد الهوى وعصيانه فمن اراد
ان يامن الضرر في امر دينه اجتنب الخطر فامتنع عن فضول
الحلال حذرا ان يجره الى محض الحرام على ما قاله صلى الله عليه
وسلم يعني لتركهم ما لا باس به حذرا عما به باس يعني لتركهم
فضول الحلال حذرا عن الوقوع في الحرام فالتقوى البالغة
الجامعة اجتناب كل ما فيه ضرر لامر الدين وهو المعصية
والفضول هذا تفصيلها واما اذا اردنا تحديدها على
موضوع علم السر فنقول حد التقوى الجامع تبرئة القلب
عن شر لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير ذلك
وقاية بينك وبين كل شر ثم الشر ورضربان شر اصلي وهو

مطلب حد التقوى

ما نهي عنه تأديباً فهو فضول الحلال كالمباحات المأخوذة
بالشهوات فالأولى تقوى فرض يلزم بتركها عذاب النار
والثانية تقوى خير وأدب يلزم بتركها الحبس والحساب
والتعيير واللوم فمن أتى بالأولى فهو في الدرجة الأدنى من التقوى
فهي منزلة مستقيمي الطاعة ومن أتى بالأخرى فهو في الدرجة العليا
من التقوى وذلك منزلة مستقيمي المباح وإذا جمع العبد بينهما
باجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل معنى التقوى وقام
بحقها وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع الكامل الذي هو ملاك
أمر الدين وذلك منزلة الأدب على باب الله سبحانه فهذا معنى
التقوى وبيانها في الجملة فافهمه موفقاً إن شاء الله تعالى فإن قلت
ففصل لنا الآن هذا المعنى في النفس واستعماله فيها فإن
الحاجة جاءت من ههنا لنعلم كيف نلجم هذه النفس بهذا المعنى
الذي فصلت من حقيقة التقوى فأقول أجل إنما تفصيله
في هذه النفس أن تقوم عليها بقوة العزم وتمنعها عن كل معصية
وتصونها عن كل فضول فإذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت
الله تعالى في عينك وأذنك ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك
وجميع أركانك وألجمتها بلجام التقوى ولهذا الباب شرح
يطول وقد أشرنا إليه في إحياء علوم الدين وأما الذي لا بد منه
ههنا أن نقول من أراد أن يتقي الله تعالى فليراع الأعضاء الخمسة

فإنهن

فإنهن الأصول وهي العين والأذن واللسان والقلب
والبطن فيتحرس عليها بالصيانة لها عن كل ما يخاف عنه الضرر
في أمر الدين من معصية وحرام وفضول وإسراف من حلال
فإذا حصل صيانة هذه الأعضاء فمرجو أن يكفي سائر الأركان
ويكون قد قام بالتقوى الجامعة لجميع بدنه لله تعالى عز وجل
فدعت الحاجة إلى بيان خمسة فصول لهذه الأعضاء وتفصيل
ما يجري في حق كل واحد منها على قدر ما يليق بهذا الكتاب

فصل العين

الفصل الأول فصل العين عليك وفقك الله وإيانا
بحفظ العين فإنها سبب كل فتنة وآفة وأذكر في أمرها ثلاثة أصول
أحدها ما قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم
ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون
فاعلم أنك تأملت هذه الآية فإذا فيها مع قصرها ثلاثة معان
عزيزة تأديب وتنبيه وتهديد فأما التأديب فقوله تعالى
قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولا بد للعبد من امتثال
أمر السيد والتأدب بأدبه وإلا فيكون سيء الأدب يحجب
ولا يؤذن له في حضور المجلس والمثول بالحضرة فافهم هذه
النكتة وتأمل ما تحتها فإن فيها ما فيها وأما التنبيه فقوله تعالى
ذلك أزكى لهم ويطلق على معنيين والله أعلم أحدهما أن
ذلك أطهر لقلوبهم والزكوة الطهارة والتزكية التطهير والثاني

أن غض البصر

ذلك انما الخير بهم والكثرة والزكوة في الاصل النمو فنبه على ان
في غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعات والخير وذلك
انك ان لم تغض بصرك وارخيت عنانه تنظر الى ما لا يعنيك
فلا يخلو اما ان تقع عينك على حرام وان تعمدت فذنب وكبيرة
وربما يتعلق قلبك بذلك فتهلك ان لم يرحم الله تعالى فلقد روي
ان العبد لينظر النظرة ينغل بها قلبه كما ينغل الاديم في الدباغ
لا ينتفع به ابدا وان كان مباحا فربما يشتغل قلبك به فيخالجك
الوساوس والخواطر بسببه ولعلك لا تصل اليه فتبقى مشغول القلب
منقطعا عن الخير وان كنت لم تر ذلك فقد كنت مستريحا عن ذلك
كله وفي هذا المعنى ذكر عن عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه
انه قال اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة وكفى
بها لصاحبها فتنة وقال ذو النون نعم عون حاجب الشهوات
غض الابصار ولقد احسن القائل حيث يقول وانت اذا
ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر رايت
الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر فاذا
مهما كنت غاض البصر حافظا للعين لا تنظر الى ما لا يعنيك
ولا يهمك كنت نقي الصدر فارغ القلب مستريحا عن كثير من
الوساوس سالم النفس عن الآفات متزايدا في الخيرات فتنبه
لهذه النكتة الجامعة والله عز وجل الموفق بفضله واما التهديد

فقوله

فقوله تعالى ان الله خبير بما يصنعون وقال الله تعالى يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور وكفى بهذه تحذيرا لمن خاف مقام ربه
فهذا اصل واحد من كتاب الله تعالى والاصل الثاني ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النظر الى محاسن المرأة سهم
مسموم من سهام ابليس فمن تركها اذاقه الله طعم عبادة تسره
وان وجدان حلاوة العبادة ولذة المناجاة من العابدين
بمكان وهذا الشيء مجرب علمه وتحققه من عمل به انه اذا امتنع
عن النظر الى ما لا يعنيه يجد لذة للعبادات وحلاوة وللقلب
صفوة لم يجدها قبل ذلك والاصل الثالث ان تنظر الى كل عضو
من اعضائك يصلح لماذا وتنظر له ماذا فعلى حسب ذلك
تصونه وتحفظه فالرجل للمشي في رياض الجنة وقصورها واليد
لكاس الشراب وتناول الاثمار وكذلك في سائر الاعضاء
فالعين انما هي للنظر الى رب العالمين سبحانه وتعالى وليس
في الدارين كرامة اجل واكبر من ذلك فحقيق لشيء ينتظر
من جلاله مثل هذه الكرامة ان يصان ويحفظ ويوقر ويكرم فهذه
الاصول الثلثة اذا احسنت التامل فيها كفتك المؤنة في هذا
الفصل والله ولي التوفيق **الفصل الثاني في الاذن** فعليك
بصيانة سمعك عن الخنا والفضول وذلك لامرين احدهما
لما روي ان المستمع شريك المتكلم وفي ذلك يقول القائل

فصل الاذن

تحرم من الطرق اوساطها، وعدم عن الجانب المشتبه، وسمعك
صن عن سماع القبيح، كصون اللسان عن النطق به، فانك
عند استماع القبيح شريك لقائله فانتبه، والثاني ان
ذلك يهيج الخواطر والوسواس في القلب ثم من ذلك يبدو الاشتغال
في البدن فما يبقى للعبادة شئ ثم اعلم ان الكلام الذي يقع في
قلب الانسان وسمعه بمنزلة الطعام الذي يقع في جوفه فمنه
الضار ومنه النافع ومنه الغذاء ومنه السم بل ابقى الكلام
وتجرعه اكثر وابلغ فان الطعام يزول عن المعدة بنوم او غيره و
ربما اثره يبقى زمانا ثم يزول وله دواء بل اثره من جسم الانسان
واما الكلام الذي يقع في قلب الانسان ربما يبقى معه جميع
عمره ولا ينساه فان كان شيئا رديا فلا يزال يتعبه ويغيبه
ويرد بسببه خواطر في القلب ووساوس ويحتاج ان يعرض
عنها ويعدل بقلبه عن تذكرها ويستعيذ بالله من شرها ولا يامن
من ان يحمله على بلية ويحركه حتى يقع آخر الامر في آفة عظيمة بسبب
ذلك ولو كنت حفظت سمعك عما لا يعنيك كنت عن هذه
المؤن مستريحا فليتيقظ العاقل في ذلك وبالله التوفيق **الفصل**
الثالث اللسان ثم عليك بحفظ اللسان وضبطه وقيده فانه
اشد الاعضاء جماحا وطغيانا واكثرها فسادا وعدوانا ولقد
روينا عن سفيان بن عبد الله الثقفي انه قال قلت يا رسول الله ما اكثر

ما تخاف

ما تخاف علي فاخذ عليه السلام بلسان نفسه ثم قال هذا
وعن يونس بن عبيد انه قال اني وجدت نفسي تحتمل
مؤنة الصوم في الحر الشديد بالبصرة ولا تحتمل ترك كلمة
لا يعنيها فعليك اذا بالتحفظ جدا جدا وبذل المجهود وتذكر
خمسة اصول احدها ما روي ابو سعيد الخدري ان ابن ادم
اذا اصبح تكفر الاعضاء كلها للسان وتقول له اتق
الله ان تستقيم فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت
اعوججنا قلت والمعنى فيه والله اعلم ان نطق اللسان يؤثر
في اعضاء الانسان بالتوفيق والخذلان ويؤكد هذا المعنى ما
حكي عن مالك بن دينار انه قال اذا رايت قساوة في
قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم انك قد
تكلمت فيما لا يعنيك **والاصل الثاني** حفظ وقتك فان
اكثر ما يتكلم به الانسان من غير ذكر الله تعالى فعلى الاقل يكون
لغوا يضيع به الوقت وذكر ان حسان بن ابي سنان مر
على غرفة بنيت فقال مذكم بنيت هذه ثم اقبل على نفسه
وقال يا نفس المغرور تسألين عما لا يعنيك وعاقبها بصوم
سنة قلت فيا طوبى للمهتمين ويا ويح للغافلين الذين — بانفسهم
خلعوا العذار وارخوا العنان والله المستعان ولقد صدق
القائل وحسن حيث يقول اغتنم ركعتين في ظلمة الليل

اذا كنت خاليا مستريحا، واذا ما هممت بالنطق في
الباطل فاجعل مكانه تسبيحا، والاصل الثالث حفظ
الاعمال الصالحة فان من لم يصن لسانه واكثر الكلام يقع
لا محالة في غيبة الناس كما قيل من كثر لغطه كثر سقطه والغيبة
هي الصاعقة المهلكة للطاعات على ما قيل ان مثل من يغتاب
الناس مثل من نصب منجنيقا فهو يرمي به حسناته شرقا وغربا
يمينا وشمالا وبلغنا عن الحسن انه قيل له يا ابا سعيد ان فلانا
اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رطب وقال بلغني انك
اهديت الي حسناتك فاحببت ان اكافيك وذكرت الغيبة
عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت امي لانها — عبد الله م
احق بحسناتي وذكر انه فاتت حاتم الاصم ليلة القيام فعيرته
زوجته فقال ان اقواما صلوا بالليل البارحة فلما اصبحوا
نالوا مني فيكون صلاتهم يوم القيمة في ميزاني والاصل
الرابع السلامة من افات الدنيا على ما قال سفيان لا تكلم
بلسانك ما تكسر به اسنانك وقال اخر لا تبسطن لسانك
فيفسدن عليك شانك، وقيل احفظ لسانك لا تقل فتبتلا
ان البلاء موكل بالمنطق، ولابن مبارك احفظ لسانك ان
اللسان سريع الى المرء في قتله، وان اللسان دليل الفؤاد، يدل
الرجال على عقله، ولابن مطيع رحمه الله لسان المرء ليث في

كمين

كمين، اذا خلى عليه له اغارة، فصنه عن الخنا بلجام
صمت، يكن لك من بليته ستار، وفي المثل السائر،
رب كلمة تقول لصاحبها دعني نسأل الله تعالى التوفيق
برحمته والاصل الخامس ذكر افات الاخرة وعاقبتها و
اذكر فيه نكتة واحدة وهي انه لا يخلو اما ان تقول قولا
مباحا من فضول لا يعنيك فان كان محظورا ففيه عذاب
الله تعالى الذي لا طاقة لك به فقد روينا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ليلة اسري بي نظرت في النار
قوما ياكلون الجيف قلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء
الذين ياكلون لحوم الناس ولقد قال صلى الله تعالى عليه
وسلم لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القران وطلاب
العلم ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار
وعن ابي قلابة انه قال ان في الغيبة خراب القلب
من الهدى فنسأل الله تعالى العصمة عن ذلك بفضله هذا
الكلام في المحظور واما المباح ففيه اربعة امور احدها شغل
كرام الكاتبين بما لا خير فيه ولا فائدة وحق للمرء ان يستحي
منهما فلا يوذيهما قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد والثاني ارسال كتاب الى الله سبحانه من
اللغو والهذر فليحذر العبد من ذلك وليخش الله عز وجل وذكر

ان بعضهم نظر الى رجل يتكلم بالخنا فقال يا هذا ويحك انما تملي
كتابا الى ربك فانظر ما تملي والثالث قيامه بين يدي ملك
الجبار يوم القيمة على رؤس الاشهاد بين الشدايد والاهوال
عطشان عريانا جوعانا منقطعا عن الجنة محجوبا عن النعمة و
الرابع اللوم والتعيير لما ذا فعلت وانقطاع الحجة والحياء من
رب العزة وقد قيل اياك والفضول فان حسابه يطول
وكفى بهذه الاصول واعظا لمن اتعظ وقد بسطنا في كتاب
اسرار معاملات الدين ما فيه مقنع فانظر فيه تجد الشفا

الفصل الرابع القلب ثم عليك بحفظ القلب واصلاحه
وحسن النظر في ذلك وبذل المجهود فانه اعظم هذه الاعضاء
خطرا واكثرها اثرا وادقها امرا واشقها اصلاحا واصعبها
حالا واذكر فيه خمسة اصول مقنعة الاول قوله تعالى يعلم
خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله تعالى يعلم ما في قلوبكم
وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور وكم ذكره وكرر في القرآن
وكفى باطلاع العليم الخبير تحذيرا وتهديدا للخواص من العباد
لان المعاملة مع علام الغيوب خطيرة فانظر ماذا يعلم
من قلبك والاصل الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم وابشاركم وانما ينظر الى
قلوبكم فالقلب اذا موضع نظر رب العالمين فيا عجبا ممن

يهتم

يهتم بوجهه الذي هو موضع نظر الخلق فيغسله وينظفه من
الاقذار والادناس ويزينه بما امكنه لئلا يطلع مخلوق
فيه على عيب ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع نظر رب
العالمين فيطهره ويزينه ويطيبه كيلا يطلع الرب جل
ذكره على دنس فيه وشين وآفة وعيب بل يهمله
بفضائح واقذار وقبائح لو اطلع الخلق على واحد منها
لهجروه وتبرءوا منه وطردوه والله المستعان الاصل الثالث
ان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها له
تبع واذا صلح المتبوع صلح التابع واذا استقام الملك
استقامت الرعية يبين ذلك ما روي عن النبي عليه السلام
انه قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا
فسدت فسد الجسد الا وهي القلب واذا كان صلاح
الكل في ذلك وجب صرف العناية اليه والاصل الرابع ان القلب
خزانة كل جوهر للعبد نفيس وكل معنى خطير اولها العقل واجلها
معرفة الله تعالى التي هي سبب سعادة الدارين ثم البصائر التي
بها التقدم والوجاهة عند الله عز وجل ثم النية الخالصة في
الطاعات التي بها يتعلق ثواب الابد ثم انواع العلوم
والحكم التي هي شرف العبد وسائر الاخلاق الشريفة والخصال
التي بها يحصل تفاضل الرجال على ما فصلنا وشرحنا في كتاب

بخص

اسرار معاملات الدين وحق لمثل هذه الخزانة ان يحفظ
ويصان عن الآفات والادناس ويحرس ويحرز من السراق
والقطاع ويكرم ويجل بضروب الكرامات لئلا يلحق تلك
الجواهر العزيزة دنس ولا يظفر بها والعياذ بالله تعالى عدو
والاصل الخامس انك تاملت حاله فوجدت له خمسة احوال
ليست لغيره من اعضاء بني آدم احدها ان العدو قاصد اليه
مقبل عليه ملازم له فان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم و
هو منزل الالهام والوسوسة يتوغانه بالدعوتين ابدا الملك
والشيطان والثاني ان الشغل به اكبر فان الهوى والعقل كلاهما
فيه فهو معترك العسكرين الهوى وجنوده والعقل وجنوده
فهو ابدا بين تجاذبهما وتلاقيهما وتناقضهما وحق بالشيء ان
يحرس ويحصن ولا يغفل عنه والثالث ان العوارض له اكثر
فان الخواطر كالسهام لا تزال تقع فيه كالمطر لا يزال يمطر عليه
ليلا ونهارا لا تنقطع ولا انت تقدر على منعها فتمتنع وليس
بمنزلة العين التي بين جفنين تغمض وتستريح او تكون في
موضع خال او ليل مظلم فتكفي رؤيتها او اللسان الذي هو
من وراء الحجابين الاسنان والشفتين وانت القادر على منعه
وتسكينه بل القلب غرض للخواطر لا تقدر على منعها والتحفظ
عنها بحال ولا هي تنقطع عنك بوقت ثم النفس متسارعة الى

اتباعها والامتناع عن ذلك في مجهود الطاقة امر شديد بذو
محنة عظيمة والرابع ان علاجه عليك عسير اذ هو غيب
عنك فلا تكاد تشعر حتى تدب فيه آفة وتحدث له حالة
فتحتاج الى ان تبحث عن ذلك ثم البحث بطول الجهد ودقيق
النظر وكثرة الرياضة والخامس ان الآفات اليه اسرع
فهو الى الانقلاب اقرب فلقد قيل ان القلب اسرع انقلابا
من القدر في غليانها ولذلك قيل ما سمي القلب الا من تقلبه
والرأي يضرب بالانسان اطوارا ثم ان زل القلب والعياذ
بالله فزلله عظيم ووقوعه صعب واقطع اذ اداه قسوة وميل
الى غير الله سبحانه ومنتهاه ختم ونكرة بالله عز وجل اما تسمع قوله
تعالى حكاية عن ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين كان الكبر
بقلبه فحمله على الاباء والكفر بظاهره اما تسمع قوله تعالى ولكنه
اخلد الى الارض واتبع هواه فكان الميل واتباع الهوى بقلبه
فحمله ذلك على الذنب المشؤوم بنفسه اما تسمع قوله تعالى و
نقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم
في طغيانهم يعمهون ولهذا المعنى ايها الرجل خاف عباد الله تعالى
الخواص على قلوبهم وبكوا عليها وصرفوا عنايتهم اليها قال الله
سبحانه في وصفهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار
جعلنا الله واياكم من المعتبرين بالعبر المهتمين لمواضع الخط

الموفقين لاصلاحها بحسن النظر انه ارحم الراحمين فان قيل
ان امر هذا القلب لمهم جدا فاخبرنا عن المعاني التي تصلحه وعن الافات
التي تعترضه فتفسده حتى ان نتوفق لاجتنابها وفي العمل بذلك يقال
له اعلم ان تفصيل هذه المعاني لطويل لا يحتمله هذا الكتاب وانما
علماء الاخرة عنوا باستخراج ذلك وتصنيفه في هذه النكتة لا غير
وقد ذكروا فيما يحتاج اليه من ذلك نحوا من تسعين خصلة محمودة
وفي اضدادها المذمومة ثم من الافعال والمساعي الواجبة والمحظورة
ونحو ذلك في سائر تفاصيلها ولعمري ان من اهمه امر دينه وانتبه
من رقدة الغافلين فحظ لنفسه فلا يكون تحصيل جميع ذلك والعمل به
كثيرا اذا وفقه الله تعالى وقد ذكرنا نبذة منها في شرح عجائب
القلب من كتاب احياء علوم الدين واتبعنا شرح جميعها بتفاصيلها
وكيفية علاجها في كتاب اسرار معاملات الدين وهو كتاب
مستقل بنفسه عظيم الفائدة فلا ينتفع به الا فحول العلماء الراسخين
في علم الاخرة وموضوع هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدي والقوي
والضعيف فقط نا في الاصول التي لابد من ذكرها في علاج القلب
والحاجة اليها ماسة ولا غنية عنها البتة في شان العبادة فوجدناها
اربعة امور وهي مداحض العابدين وآفات المجتهدين وهي
فتن القلوب وبليات النفوس تعوق وتشين وتفسد
وتتلف واربعة في مقابلتها فيها قوام العباد ونظام العبادة

وصلاح

وصلاح القلوب فالافات الاربع الامل والاستعجال والحسد
والكبر والمناقب الاربع قصر الامل والتاني في الامور
والنصيحة للخلق والتواضع والخشوع فهذه هي الاصول في صلاح
القلوب وفسادها والنكتة التي عليها المدار فليبذل المجهود
في التحرز من هذه الافات والتحصيل لهذه المناقب تكفى المؤنة
وتظفر بالمقصود ان شاء الله تعالى وسنخبرك عن هذه الافات
بكلمات وجيزة مقنعة اما طول الامل فانه العائق عن كل خير
وطاعة الجالب لكل شر وفتنة وانه الداء العضال الذي يوقع
الخلق في انواع البليات فاعلم انك اذا طال املك هاج
لك منه اربعة اشياء احدها ترك الطاعة والكسل فيها تقول
سوف افعل والايام بين يدي ولا يفوتني ذلك ولقد صدق
داود الطائي رحمه الله حيث قال من خاف الوعيد قرب عليه
البعيد ومن طال امله ساء عمله وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه
الله الامل قاطع عن كل خير والطمع مانع من كل حق والصبر صائر
الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر والثاني ترك التوبة
وتسويفها تقول سوف اتوب وفي الايام سعة وانا شاب
وسني قليل والتوبة بين يدي وانا قادر عليها متى رمتها و
ربما يغتاله الحمام على الاصرار فاختطفه الاجل قبل اصلاح العمل
والثالث الحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الاخرة تقول

طول امل

جمع مال

اخاف الفقر في الكبر وربما ضعف عن الاكتساب ولا بد لي من
شيء فاضل ادخره لمرض او هرم او فقر هذا ونحوه مما يحرك
الى الرغبة في الدنيا والحرص عليها والاهتمام للرزق تقول
ايش آكل وايش البس وهذا الشتاء وهذا الصيف ومالي
شيء ولعل العمر يطول فاحتاج والحاجة مع الشيب شديدة
ولا بد من قوة وغنية عن الناس هذه وامثالها تحرك الى طلب
الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والمنع لما عندك منها واقل ما
في الباب انه يشغل قلبك ويضيع عليك وقتك ويكثر همك و
غمك بلا فائدة ولا طائل على ما روي عن ابي ذر رحمه الله قال قتلني
هم يوم لم ادركه قيل وكيف ذلك يا ابا ذر قال ان املي جاوز
اجلي والرابع القسوة في القلب والنسيان للاخرة لانك
اذا املت العيش الطويل لا تذكر الموت والقبر كما قال
علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه اخوف ما اخاف عليكم
اثنان طول الامل واتباع الهوى الا وان طول الامل ينسي
الاخرة واتباع الهوى يصد عن الحق فاذا اقصر فكرك ومعظم
قلبك في حديث الدنيا واسباب العيش في صحبة الخلق ونحو
ذلك فيقسو القلب من ذلك وانما رقة القلب وصفوته بذكر
الموت والقبر والثواب والعقاب في احوال الاخرة فاذا
لم يكن شيء من ذلك فمن اين يكون لقلبك رقة وصفوة قال الله

فقال

فطال عليهم الامد فقست قلوبهم فانك اذا طولت
املك قلت طاعتك وتاخرت توبتك وكثرت معصيتك
واشتد حرصك وقسا قلبك وعظمت غفلتك عن الاخرة فذهب
والعياذ بالله ان لم يرحم الله اخرتك فاي حال اسوأ من ذلك
واي آفة اعظم من هذه وكل هذا بسبب طول الامل واما ان
قصرت املك وقربت من نفسك موتك وتذكرت حال
اقرانك واخوانك الذين فاجأهم الموت في وقت لم
يحتسبوا ولعل حالك مثل حالهم فاحذري يا نفس الغرور
واذكري ما قال عون بن عبد الله كم من مستقبل يوما لا يكمله
ومنتظر غدا لا يبلغه لو رايتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل
وغروره اما سمعت قول عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام
الدنيا ثلثة ايام امس مضى ما بيدك منه شيء وغد لا تدري
اتدركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنمه ثم قول ابي ذر رضي
الله عنه الدنيا ثلث ساعات ساعة مضت وساعة انت
فيها وساعة لا تدري اتدركها ام لا فلست تملك بالحقيقة
الا ساعة واحدة اذ الموت من ساعة الى ساعة ثم قول شيخنا
رحمه الله الدنيا ثلثة انفاس نفس مضى عملت فيه ما عملت
ونفس لا تدري اتدركه ام لا اذ كم من متنفس نفسا فجاءه
الموت قبل النفس الاخر فلست تملك الا نفسا واحدا لا

يوماً ولا ساعة فبادر في هذا النفس الواحد الى الطاعة
قبل ان يفوت والى التوبة فلعلك في النفس الثاني تموت
ولا تهتم بالنفس بالرزق فلعلك لا تبقين لتحتاج اليه فيكون
وقتك ضايعاً والتهم فضلاً وما عسى ان يتم الانسان يوم
واحداً او ساعة واحدة او نفس واحداً اما تذكرين ما قال
النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة اما تعجبون من اسامة المشتري
بصبر شهر ان اسامة لطويل الامل والله ما وضعت قدماً
فظننت اني ارفعها ولا لقمت لقمة فظننت اني اسيغها
حتى يدركني الموت والذي نفسي بيده انما توعدون لآت
وما انتم بمعجزين فاذا انت ايها الرجل ان تذكرت هذه الاذكار
وواظبت على ذلك بالاعادة والتكرار فقد املك باذن الله تعالى
فحينئذ ترى نفسك تبادر الى الطاعات وتعجل توبتك فتسقط عنك
معصيتك وتزهد في الدنيا وطلبها فيخف حسابك وتبعتك
ويقع قلبك في تذكر الآخرة واهوالها وما هو الا نفس الى
نفس تصير اليها وتعاينها واحداً فواحداً فتزول عنك القسوة
وتبدو لك الرقة والصفوة وتستشعر عند ذلك الخوف من الله
تعالى والخشية فيستقيم لك امر عبادتك ويقوى الرجاء في ان
تسعد في عاقبتك وتظفر بالمراد في آخرتك وكل ذلك بعد
فضل الله بسبب هذه الخصلة التي هي قصر الامل ولقد حكي ان

زرارة بن اوفى رحمه الله قيل له بعد موته في النوم اي الاعمال
ابلغ فيما عندكم قال الرضا وقصر الامل فانظر لنفسك ايها
الاخ وابذل المجهود في هذا الاصل الكبير فانه الاهم والاعظم
في صلاح القلب والنفس والله تعالى ولي التوفيق بفضله
ورحمته واما الحسد فانه المفسد للطاعات الباعث على الخطيئات
وانه الداء العضال الذي يبتلى به الكثير من القراء والعلماء فضلاً
من العامة والجهال حتى اهلكهم واوردهم النار اما تسمع قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار بستة الامراء
بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة
واهل الرساتيق بالجهل والعلماء بالحسد واذا بلية بلغ شومها الى
ان اورث العلماء النار لحقيق ان يحذر منها واعلم ان الحسد
يهيج خمسة اشياء احدها افساد الطاعات قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب
والثاني فعل المعاصي والشرور على ما قال وهب بن منبه رحمه الله
للحاسد ثلاث علامات يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب
ويشمت بالمصيبة اذا نزلت قلت انا وحسبك ان الله تعالى
امر بالاستعاذة من شر الحاسد وقال ومن شر حاسد اذا حسد
كما امر بالاستعاذة من شر الشيطان والساحر فانظر كم له من الشر
والفتنة حتى انزله منزلة الشيطان والساحر حتى ان لا تستعان

كل العداوة قد ترجى اماتتها
الا عداوة من عاداك من حسد

عليه ولا استعاذ الا بالله رب العالمين والثالث التعب
والهم من غير فايدة بل مع كل وزر ومعصية كما قال ابن السماك
لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من الحاسد نفس دائم وعقل هايم وغم
لازم والرابع عمى القلب حتى لايكاد يفهم حكما من احكام الله
تعالى ولقد قال سفيان الثوري عليك بطول الصمت تملك الورع
ولاتكن حريصا على الدنيا تكن حافظا ولاتكن طعانا تنجو من السن
الناس ولاتكن حاسدا تكن سريع الفهم والخامس الحرمان والخذلان
ولايكاد يظفر بمراد وينصر على عدو كما قال حاتم الاصم الطعين غير
دين والعايب غير عابد والنمام غير مامون والحسود غير منصور
قدت الحسود كيف يظفر بمراده ومراده زوال نعم الله تعالى عن عباده
المسلمين وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله المومنون ولقد
احسن ابو يعقوب فيما قال اللهم صبرنا على تمام النعم على عبادك
وحسن احوالهم وان داء الحسد عليك الطاعة ويكثر شرك ومعصيتك
ويمنع راحة النفس وفهم القلب والنصرة على الاعداء والظفر
بالمطلوب فاتق داء يكون او دواه منه فعليك بمعالجة نفسك
من ذلك والله ولي التوفيق واما الاستعجال والترك فانه الخصلة
المفوتة للمقاصد الموقعة في المعاصي وانما منها تبدو افات اربع
احديها ان يقصد العابد منزلة في الخير والاستقامة ويجتهد وربما
يستعجل في نيلها وليس ذلك بوقتها فاما ان يفتر ويياس ويترك

الاجتهاد

الاجتهاد فيحرم تلك المنزلة واما ان يغلو في الجهد واتعاب
النفس فينقطع عن تلك المنزلة فهو بين افراط وتفريط
وكلاهما نتيجة الاستعجال ولقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان ديننا هذا متين فاوغل فيه برفق فان المنبت
لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وفي المثل السائر ان لم يستعجل نصل
وقال القائل قد يدرك المتاني بعض حاجاته وقد يكون بعض
المستعجل الزلل والثانية ان تكون للعابد حاجة فيدعو الله تعالى
فيها فلا يجدها فيفتر وييأس فيترك الدعاء فيحرم حاجته ومقصوده
والثالثة ان يظلمه انسان فيغيظه فيعجل في الدعاء عليه فيهلك
مسلم بسببه فربما يتجاوز عن الحد فيقع في معصية وهلاك قال الله
سبحانه ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان
عجولا والرابعة ان اصل العبادة وملاكها الورع والورع اصله
النظر البالغ في كل شي والبحث التام عن كل شي هو بصدده
من اكل وشرب ولبس وكلام وفعل فاذا كان الرجل مستعجلا
في الامور غير متان متثبت متبين لم يقع منه توقف ونظر
في الامور كما يجب ويتسارع الى كل كلام فيقع في الزلل والى اكل
كل طعام فيقع في الحرام والشبهة وكذلك في كل امر فيفوته الورع
واي خير في عبادة بلا ورع واذا كان في خصلة الانقطاع عن
منازل الخير وحرمان الحاجات وهلاك المسلمين وهلاكه من خطر

ويكثر الدعاء ويجد فربما يستعجل الاجابة فيقع فيها

فوت الورع الذي هو راس المال فحق للانسان ان يهتم
لها بازالته واصلاح النفس بعدها والله ولي التوفيق بمنه
وفضله واما الكبر فانه الخصلة المهلكة الا تسمع
قوله تعالى ابى واستكبر وكان من الكافرين وليست هذه
الخصلة بمنزلة ساير الخصال التي تقدح في عمل وتضر بنوع و
انما تضر بالاصل وتقدح في الدين والاعتقاد اذا قويت
وغلبت لا تتدارك والعياذ بالله ثم اقل ما يهيج منها على صاحبها
اربع افات احدها حرمان الحق وعمى القلب عن معرفة ايات
الله وفهم احكامه قال الله تعالى ساصرف عن اياتي الذين
يتكبرون في الارض بغير الحق وقال الله تعالى كذلك يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار الثانية المقت والبغض من الله تعالى
قال الله عز وجل انه لا يحب المستكبرين وروى ان موسى صلى
الله على نبينا وعليه قال يا رب من ابغض خلقك اليك قال
من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصفق عينه وبخلت يده وساء
خلقه والثالثة الخزي والنكال في الدنيا قال حاتم رحمه الله اجتنب
الموت على ثلاثة على الكبر والحرص والخيلاء فان المتكبر لا يخرجه
الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من ارذل اهله وخدامه والحريص
لا يخرجه الله من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة ولا يجد مساغا
والمختال لا يخرجه الله تعالى حتى يمرغه ببوله وقذره وقيل من تكبر بغير

حق

حق اورثه الله تعالى ذلا بحق والرابعة النار والعذاب
في العقبى على ما روى ان الله تعالى يقول الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري ومن نازعني في واحد منهما ادخلته نار جهنم والمعنى
ان العظمة والكبرياء من الصفات التي تختص بي ولا ينبغي
لاحد غيري كما ان رداء الانسان وازاره يختص به لا يشارك
فيه وان خصلة تفوتك معرفة الحق وفهم ايات الله تعالى
واحكامه الذي هو اصل الامر كله ثم تثمر لك المقت من الله
سبحانه وتعالى والخزي في الدنيا والنار في الاخرة لا ينبغي
لعاقل ان يغفل عن نفسه فلا يصلحها بازالتها بالحذر والتحرز
والاستعاذة بالله عز وجل من ذلك وهو ولي التوفيق والعصمة
بمنه فهذا البعض ما حضرنا في هذه الخصال الاربع من الافات
وحسب العاقل واحدة منها فضلا عن الكل اذا اهمه امر
قلبه وحامى على امر دينه والله الموفق فان قلت فاذا كان
الامر بهذه المنزلة من افات هذه الخصال ولزوم التحفظ منها
فلا بد من معرفة حقيقتها وحدها فبين لنا ذلك لنعرف كيف
الطريق الى التحفظ عنها فاعلم ان في كل واحدة منها كلاما
كثيرا قد اشبعنا القول في كتاب الاحياء والاسرار ونحن نذكر
ههنا ما لا بد من ذكره ولا يقع الغنى عنه فنقول وبالله التوفيق
الامل
اما الامل قال اكثر علمائنا رحمهم الله انه ارادة الحياة للوقت

المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثناء
بمشية الله تعالى وعلمه في الذكر او بشرط الصلاح في الارادة
فاذا ذكرت حياتك باني اعيش بعد نفس ثان او ساعة
ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانت امل وذلك منك
معصية اذ هو حكم على الغيب فان قيدته بالمشية والعلم من
الله فقلت اعيش ان شاء الله او ان علم الله اني اعيش فقد
خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل وكذلك ان
اردت حياتك للوقت الثاني فانت امل فان قيدت قطعا
ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت
بقصر الامل من حيث ترك الحكم فيه فعليك بترك الحكم في
ذكر البقاء وارادته والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه
التوطين على ذلك والتثبيت للقلب عليه فافهمه راشدا
ان شاء الله تعالى ثم الامل ضربان امل العامة وامل الخاصة
فامل العامة ان يريد الحيوة والبقاء لجمع الدنيا والتمتع بها
وهذه معصية محضة وضدها قصر الامل قال الله تعالى
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فامل
الخاصة ان يريد البقاء لاتمام عمل خير فيه خطر وهو ما لا يستيقن
الصلاح له فيه فانه ربما يكون خير معين لا يكون للعبد فيه
او في اتمامه صلاح بان يقع بسببه في افة لا يقوم بها هذا

[illegible]

الخير

الخير فاذا ليس للعبد اذ ابتدا في صلوة او صوم او غيره
ان يحكم بانه يتمه اذ هو غيب ولا ان يقصد ذلك قطعا لانه ربما
لا يكون له فيه صلاح بل يقيد ذلك بالاستثناء او بشرط الصلاح
فيتخلص من عيب الامل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وضد
هذا الامل فيما قال العلماء النية وانما قالوا ذلك على ضرب
من الاتساع لان الناوي بالنية المحمودة يكون ممتنعا من الامل
فهذا حكم الامل والنية المحمودة اذ قد مست الحاجة للامرين
مع انها الاصل الاصيل قالوا رحمهم الله في حدها الجامع التام
ان النية الصحيحة المحمودة ارادة اخذ عمل مبتدا به قبل ساير الاعمال
بالحكم مع ارادة اتمامه بالتفويض والاستثناء فان قيل فلم
جاز الحكم في الابتداء ووجب التفويض والاستثناء في الاتمام يقال
له لفقد الخطر في الابتداء اذ هو ليس بشيء متراخ عنك ولثبوت
الخطر في الاتمام اذ هو يقع في وقت متراخ ففيه الخطران
خطر الوصول لا تدري هل تصل الى ذلك ام لا وخطر الفساد
لا تدري هل في ذلك صلاح ام لا فاذا وجب الاستثناء لخطر
الوصول والتفويض لخطر الفساد فاذا حصلت الارادة
على هذه الشروط تكون حينئذ نية محمودة مخرجة عن حد الامل وافته
فتامل جدا فهذه هذه واعلم ان حصن قصر الامل ذكر الموت

وحصن حصينه ذكر فجاءة الموت واخذه على غرة وغفلة
وبغتة وهو في غرور وفتور فاحتفظ بهذه الجملة وحصلها
موفقا فان الحاجة اليها ماسة ودع عنك تضييع الوقت
في القيل والقال وملاحيات الرجال والله الموفق بفضله
واما الحسد فهو ارادة زوال نعم الله تعالى عن اخيك المسلم
مما له فيه صلاح فان لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك
مثلها فهو غبطة وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد
الا في اثنين الخبر اي لا غبطة الا في ذلك فعبر عن الغبطة
بالحسد اتساعا لتقاربهما فان لم يكن فيه صلاح فاردت
زوالها عنه فذلك غيرة فهذا الفرق بين هذه الخصال واما
ضد الحسد فالنصيحة وهي ارادة بقاء نعمة الله تعالى عز وجل على
اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان قيل كيف نعلم ان له فيها
صلاحا او فسادا فتنصحه او تحسده فاعلم انه قد يقوم لنا غالب
الظن بذلك وغلبة الظن مما تجري مجرى العلم في هذه المواضع
ثم ان اشتبه عليك فلا ترد زوال نعمة احد من المسلمين او بقاءها
الا مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح لتتخلص من حكم الحسد
وتحصل لك فائدة النصيحة واما حصن النصيحة المانع عن
الحسد فهو ذكر ما اوجب الله من موالات المسلمين وحصن هذا
الحصن ذكر ما عظم الله من حق المؤمنين ورفع قدره وما له

عند الله

العجلة

عند الله سبحانه من الكرامات العظيمة في العقبى وما لك
فيه من الفوائد الجليلة في الدنيا من التعاون والتظاهر
والجماعات والجمعة ثم ترجو من شفاعته في الآخرة فهذه ونحوها
مما يبعث على النصح لكل مسلم ويجنبك ان تحسده في نعمة
اعطاه الله اياها والله سبحانه ولي التوفيق بفضله واما
العجلة فانها المعنى الراتب في القلب الباعث على الاقدام
على الامر باول خاطر دون التوقف فيه والاستطلاع منه
بل الاستعجال في اتباعه والعمل به وضدها الاناة وهو المعنى
الراتب في القلب الباعث على الاحتياط في الامور
والنظر فيها والتأني في اتباعها والعمل بها واما التوقف
فضده التعسف قال شيخنا رحمه الله الفرق بين التوقف
والتأني ان التوقف قبل الدخول في الامر حتى يستبين له
رشده والتأني بعد الدخول فيه حتى يؤدي لكل جزء منه حقه
ثم مقدمات الاناة ذكر وجوه الخطر في الامور التي تعرض
للانسان وضروب الآفات المخوفة فيها وذكر ما في النظر
والتثبت من السلامة وما في التعسف والاستعجال من الندامة
والملامة فهذه وامثالها مما يبعث على التأني والتوقف
في الامور ويمنع من الاستعجال والتعسف والله ولي العصمة برحمته
واما الكبر فاعلم انه خاطر في دفع الناس واستعظامها والتكبر

في رفع النفس

اتباعه والتواضع خاطر فى وضع النفس واحتقارها و
التواضع اتباعه ولكل واحد منهما عامى وخاصى والتواضع
العامى هو الاكتفا بالدون من الملبس والمسكن والمركب
والتكبر فى مقابلته الترفع عن ذلك والتواضع الخاصى هو
تمرين النفس على قبول الحق ممن كان وضيعا او شريفاً
والتكبر فى مقابلته الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة وخطيئة
عظيمة ثم حسن التواضع العامى ان تذكر مبداك ومنتهاك
وما انت عليه فى الحال من ضروب الافات والاقذار كما
قال بعضهم اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت
فيما بينهما حامل عذرة وحسن التواضع الخاصى هو ذكر عقوبة
العادل عن الحق المتمادى فى الباطل فهذه جملة كافية لمن استبصر

الفصل الخامس فى البطن وحفظه ثم عليك بحفظ البطن
وصلاحه فانه اشق الاعضاء اصلاحاً على المجتهد واكثرها مؤنة
وشغلاً واعتياضاً واعظمها ضراراً واثراً لانه المنبع والمعدن
ومنه تهيج الامور فى الاعضاء من قوة وضعف وعفة وجماح
ونحوه فعليك اذاً بصيانته عن الحرام والشبهة اولاً ثم عن
فضول الحلال ثانياً ان كان لك همة فى عبادة الله تعالى فاما
الحرام والشبهة فانما يلزمك البحث عنه لثلثة امور اولها حذراً
من نار جهنم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى

ظلماً

ظلما انما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً وقال
النبى صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به
والثانى ان آكل الحرام والشبهة مطرود ولا يوفق للعبادة اذ
لا يصلح لخدمة الله تعالى الا كل طاهر مطهر الست ترى الله
تعالى منع الجنب عن الدخول فى بيته والمحدث عن مس كتابه
قال عز من قايل ولا جنباً الا عابرى سبيل وقال الله تعالى لا يمسه
الا المطهرون مع ان الجنابة والحدث امر مباح فكيف
بمن هو منغمس فى قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة
متى يدعى الى خدمة الله تعالى العزيزة وذكره الشريف سبحانه
كلا فلا يكون ذلك ابداً وقال يحيى بن معاذ الرازى الطاعة مخزونة
فى خزائن الله تعالى ومفتاحها الدعاء واسنانه الحلال واذا لم
يكن للمفتاح اسنان فلا يفتح الباب واذا لم يفتح باب
الخزانة كيف يوصل الى ما فيها من الطاعة والثالث ان آكل
الحرام والشبهة محروم وان اتفق له فعل خير فهو مردود عليه
غير مقبول منه فاذاً لا يكون له من ذلك الا العناء والكد و
شغل القلب قال صلى الله عليه وسلم كم من قائم ليس له من
قيامه الا السهر وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والظمأ
وعن ابن عباس رضى الله عنه لا يقبل الله صلوة امرئ
وفى جوفه حرام فهذه هذه واما فضول الحلال فانه آفة العباد

وبلية أهل الاجتهاد وإني تأملت فوجدت فيه عشر آفات
هن أصول في هذا الشأن الأولى أن في كثرة الأكل قسوة
القلب وذهاب نوره روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن
القلب يموت كالزرع إذا أكثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض
الصالحين بأن المعدة كالقدر تحت القلب تغلي والبخار يرتفع
إليه وكثرة البخار تكدره وتسخمه الثانية أن في كثرة الأكل
فتنة الأعضاء وتهيجها وانبعاثها للفضول والفساد فإن الرجل
إذا كان شبعان بطراً اشتهت عينه النظر إلى ما لا يعنيه من
حرام أو فضول والأذن الاستماع إليه واللسان التكلم
والفرج الشهوة والرجل المشي إليه وإن كان جائعاً فتكون
الأعضاء كلها ساكنة هادئة ولا تطمع إلى شيء منها ولا تنشط
لها ولقد قال الأستاذ أبو جعفر رحمه الله إن البطن عضو إن
جاع هو شبع سائر الأعضاء يعني سكن فلا تطالبك بشيء
وإن شبع هو جاع سائر الأعضاء وجملة الأمر أن سائر أفعال
الرجل وأقواله على حسب طعامه وشرابه إن دخل الحرام خرج
الحرام وإن دخل الفضول خرج الفضول كأن الطعام بذر
الأفعال والأفعال نبت تبدو منه والثالثة أن في كثرة
الأكل قلة الفهم للعلم فإن البطنة تذهب الفطنة ولقد

صدق

صدق الرازي رحمه الله حيث قال إذا أردت حاجة
من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فإن الأكل
يغير العقل وهذا أمر ظاهر علمه لمن اختبره والرابعة أن في
كثرة الأكل قلة العبادة لأنه إذا أكثر الإنسان الأكل ثقل بدنه
وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه فلا يجيء منه شيء وإن اجتهد
إلا النوم فيكون كالجيفة الملقاة ولقد قيل إذا كنت بطناً
فعد نفسك زمناً ولقد ذكر عن يحيى بن زكريا عم أن إبليس بدا
له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التي
أصيد بها بني آدم قال يحيى هل تجد لي فيها شيئاً قال لا إلا أنك
شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلوة فقال يحيى لا جرم
أني لا أشبع بعدها أبداً فقال إبليس لا جرم أني لا أنصح أحداً
أبداً فهذه في من لم يشبع في عمره إلا ليلة فكيف بمن لا يجوع في
عمره ليلة ثم يطمع في العبادة وقال سفيان العبادة حرفة
وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة والخامسة أن في كثرة الأكل
فقد حلاوة العبادة قال أبو بكر رضي الله عنه ما شبعت منذ
أسلمت لأجد حلاوة عبادة ربي وما رويت منذ أسلمت
اشتياقاً إلى لقاء ربي فهذه صفات المكاشفين وكان أبو بكر رضي
الله عنه مكاشفاً وإليه أشار صلى الله عليه وسلم بقوله ما
فضلكم أبو بكر بفضل صوم وصلوة وإنما هو بشيء وقر في صدره

وقال الداراني احلا ما يكون العبادة اذا النفس ظهر بطني
والسادسة ان فيه خطر الوقوع في الشبهة والحرام لان
الحلال لا يأتيك الا قوتا ولقد روينا عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزفا
جزفا والسابعة ان فيه شغل القلب والبدن بتحصيله اولا
ثم بتهيئته ثانيا ثم باكله ثالثا ثم بافراغه والتخلص عنه رابعا
ثم بالسلامة منه خامسا بان يتبدد ومنه آفة في البدن من آفات
وعلل ولقد قال صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البردة يعني
التخمة واصل كل دواء الازم يعني الحمية وقال مالك بن دينار
رضي الله عنه انه كان يقول يا هؤلاء لقد اختلفت الى الخلاء
حتى استحييت من ربي ثم ما في هذه الجملة من طلب الدنيا والطمع
الى الناس وتضييع الوقت بسبب كثرة الاكل ما لم يخف
والثامنة من امور الاخرة شدة سكرات الموت وروي في
الاخبار ان شدة سكرات الموت على قدر لذات الحياة
فمن اكثر من هذه اكثر له تلك والتاسعة نقصان الثواب
في العقبى قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فانه
بقدر ما تأخذ من لذات الدنيا تنقص لك من لذات الاخرة
ولهذا المعنى ان الله تعالى عرض الدنيا على نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم قال له ولا انقص من اخرتك شيئا فحقبه بذلك

فدل

ابن خالد وليد اضافه عمر

فدل ان لغيره النقصان الا ان يتفضل الله عليه بذلك و
لقد روي انه خالد بن الوليد اضاف عمر بن الخطاب و
هيأ له طعاما فقال عمر هذا لنا فما لفقراء الذين المهاجرين
ماتوا ولم يشبعوا خبز شعير قال خالد لهم الجنة يا امير المؤمنين
فقال عمر لئن فازوا بالجنة وكان هذا حظنا من الدنيا فقد
باينونا بونا مبينا وروي ان عمر رضي الله عنه عطش يوما
فدعا بماء فاعطاه رجل اداوة فيها ماء نبذ فيه تمرات فلما
قربها عمر من فيه وجد الماء باردا احلوا امسك وقال اوه
فقال الرجل والله ما الوته حلاوة يا امير المؤمنين فقال
ويحك ذلك الذي منعني لولا الاخرة لشاركناكم في عيشكم
والعاشرة الحبس والحساب واللوم والتعيير في ترك الادب
في اخذ الفضول وطلب الشهوات فان الدنيا حلالها
حساب وحرامها عقاب وزينتها الى تباب وهذه جملة
العشرة وفي احدها كفاية لمن نظر لنفسه فعليك ايها المجتهد
بالاحتياط البالغ في القوت كيلا تقع في حرام وشبهة فيلزمك
العذاب ثم بالاقتصار من الحلال على ما يكون عدة على عبادة
الله تعالى فلا تقع في شر وتبقى في الحبس والحساب والله سبحانه
ولي التوفيق فان قلت فبين لنا اولا حكم الحرام والشبهة
وحدهما فاقول نعم الله لقد اشبعنا القول فيه في اسرار

ان شاء الله

معاملات الدين وذكرناه كما هو مؤداه في كتاب احياء علوم
الدين لكنا نشير الى كلمات مؤدية بحيث تصل الى فهم الضعيف
المبتدي اذ مقصود هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدي في
العبادة ويعين الطالب قال بعض العلماء المحققين ما تيقنت
كونه ملكا للغير منهيا عنه في الشرع فهو حرام محض واما اذا
لم يكن لك تيقن بذلك ولكن يغلب في ظنك انه كذلك
فهو شبهة وقال الاخرون بل الحرام المحض ما يكون به علم وغالب
ظن لان غلبة الظن منتاجي مجرى العلم في كثير من الاحكام
فاذا تساوت الامارتان حتى تبقى شاكا لا تكون لاحدهما
ترجيح عندك فذلك شبهة يشبه انه حلال ويشبه انه حرام
فاشتبه امره عليك والتبس حاله ثم الامتناع عن الذي
هو حرام محض حتم واجب وعن الذي هو شبهة تقوى وورع
وهذا اولى القولين عندنا فان قيل فما تقول في قبول جوائز
السلاطين في هذا الزمان فاعلم ان العلماء اختلفوا فيه وقال
قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله اخذه وقال الاخرون لا يحل
ان يوخذ ما لا يتحقق انه حلال لان الاغلب في هذا العصر على
السلاطين الحرام والحلال في ايديهم معدوم عزيز وقال قوم ان
صلاة السلاطين تحل للغني والفقير اذا لم يتحقق انه حرام وانما
التبعة على المعطي قالوا لان النبي قبل هدية المقوقس ملك

الاسكندري

الاسكندرية واستقرض من اليهودي مع قول الله سبحانه وتعالى
اكالون للسحت قالوا وقد ادرك جماعة من الصحابة ايام
الظلمة واخذوا منهم ومنهم ابو هريرة وابن عباس وابن عمر
وغيرهم قال الاخرون لا يحل من اموالهم شيء لغني ولا فقير
اذ هم موسومون بالظلم والغالب من اموالهم السحت والحرام
والحكم للغالب فيلزم الاجتناب وقال اخرون ما لا يتيقن
انه حرام فهو حلال للفقير دون الغني الا ان يعلم الفقير ان
ذلك عين الغصب فليس له ان ياخذه الا ليرده على مالكه
ولا حرج على الفقير ان ياخذ من اموال السلاطين لانها ان
كانت ملك السلطان فاعطى الفقير فله اخذه بلا ريب
وان كانت من فيء او عشر او خراج فللفقير فيه حق وكذلك
لاهل العلم قال علي بن ابي طالب من دخل الاسلام طائعا
وقرأ القرآن ظاهرا فله في بيت مال المسلمين كل سنة مائتا
درهم وروي مائتا دينار ان لم ياخذها في الدنيا اخذها
في الاخرة واذا كان كذلك فالفقير والعالم ياخذ من حقه
قالوا واذا كان المال مختلطا بمال مغصوب لا يمكن تمييزه
او غصبا لا يمكن رده على صاحبه وورثته فلا تخلص للسلطان
منه الا انه يتصدق به وما كان الله ليامره بالصدقة على الفقير
وينهى الفقير عن قبوله او ياذن للفقير في القبول وهو عليه حرام

فاذا الفقير انه يأخذ الا عين الغصب والحرام فليس له اخذه
وهذه المسئلة لا يمكن الفتوى فيها الا ببسط وتشقيق و
استيعاب القول فيها يخرج عن المقصود من الكتاب وان
اردت معرفتها فطالع كتاب الحلال والحرام من كتاب احياء
علوم الدين تجده مشروحا مبينا ان شاء الله تعالى فان قيل
فما تقول في صلات اهل السوق وغيرهم هل يلزم ردها والبحث
عنها وقد علمت مجازفتهم وقلة نظرهم في معاملاتهم وكذلك
صلات الاخوان والجواب انه اذا كان ظاهر الانسان الصلاح
والستر فلا حرج عليك في قبول صلاته وصدقته ولا يلزم البحث
بان تقول قد فسد الزمان فان هذا سوء الظن بذلك الرجل
المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مأمور به ثم اعلم ما هو الاصل
في هذا الباب وهو ان ههنا شيئين احدهما حكم الشرع وظاهره
والثاني حكم الورع وحقه فحكم الشرع ان تأخذ ما اتيك ممن
ظاهره صلاح ولا تسأل الا ان تتيقن انه غصب او حرام
بعينه وحكم الورع ان لا يأخذ شيئا من احد حتى يبحث عنه غاية
البحث ويستقصي غاية الاستقصاء فيتيقن انه لا شبهة فيه
بحال والا فيرده فلقد روينا عن الصديق رضي الله عنه ان
غلاما له اتاه بلبن فشربه فقال الغلام كنت اذا جئتك
بشيء سألتني عنه ولم تسألني عن هذا اللبن فقال وما قصته

فقال

فقال رقيت قوما رقى الجاهلية فاعطوني هذا فقاءه
ابو بكر وقال اللهم هذا مقدوري فما بقي من العروق فانت
حسبه فهذا يدلك على وجوب البحث عما تقدم عليه ان
كان لك نظر في حقه فهذه هذه فان قلت فكان الورع
يخالف الشرع وحكمه فاعلم ان الشرع موضوع على اليسر
والسماحة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت
بالحنيفية السمحة والورع موضوع على التشديد والاحتياط
كما قيل الامر على المتقي اضيق من عقد التسعين ثم الورع
من الشرع ايضا وكلاهما في الاصل واحد ولكن للشرع حكمان
حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فالجائز يقال له حكم الشرع
والافضل الاحوط يقال له حكم الورع فهما مع تميزهما واحد
في الاصل فافهم راشدا فان قلت اذا جاز البحث و
الاستقصاء عن كل شيء فسد علينا ما نأخذه في هذا الزمان
وتعذر الامر بمرة على صاحب الورع اذ لا بد له من بلاغ يبلغه
الى الطاعة فاعلم ان طريق الورع شديد وان من قصد
سلوكه فشرطه ان يوطن نفسه وقلبه على احتمال الشدة
والا فلا يتم له ذلك ولهذا المعنى صار الكثير من اهل الورع
والسابقون الى جبل لبنان وغيره فاقتصروا على اكل الحشيش
وثمرات تافهة لا شبهة فيها بحال فمن سمت الى نيل منزلة الورع

الا على فعليه ان يحتمل الشدايد ويصبر عليها ويسلك طريق
اولئك لينال منزلتهم واما ان اقام بين الناس
واكل مما يتداولونه في ايديهم فليكن عنده بمنزلة الميتة لا يقدم
عليها الا عند الضرورة ثم لا يتناول منها الا مقدار ما يبلغه الى
الطاعة فيكون له عذر في ذلك ولا يضره وان كان في اصله
شبهة فان الله تعالى اولى بالعذر ولهذا قال البصري رحمه الله
فسد السوق فعليكم بالقوت ولقد بلغني عن وهيب بن الورد
انه كان يجوع نفسه يوما ويومين وثلثة ثم ياخذ رغيفا و
يقول اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة واخشى الضعف
والالم الكلية اللهم ان كان فيه شيء من خبث او حرام فلا تاخذني
ثم يبل الرغيف بالماء وياكل قلت هذا الطريقان للطبقة
العليا من اهل الورع فما نعلمه واما من دونهم فلهم احتياط
وبحث على مقدار ولهم ايضا نصيب من الورع على مقدار
وبقدر ما تتقي تنال ما تتمنى والله تعالى لا يضيع اجر من احسن
عمله وهو عليم بما يفعلون فان قيل فهذا جانب الحرام
فاخبرنا عن جانب الحلال وما المقدار الذي اذا اخذه العبد
يكون ذلك ادبا ولا يكون فضولا ولا عليه فيه حبس
ولا حساب يقال له اعلم احوال المباح في الجملة ثلثة اقسام
احدها ان ياخذه العبد مفاخرا مكاثرا مباهيا مرائيا فيكون

الاخذ

الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب على ظاهر فعله الحبس والحساب
واللوم والتعيير وهو منكر وشر ويستوجب على باطن
فعله وهو التكاثر والتفاخر عذاب النار وذلك القصد
منه معصية وذنب لقوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة الى قوله وفي الاخرة عذاب شديد وقال النبي
صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مباهيا مكاثرا
مفاخرا مرائيا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان فالوعيد
على قصده ذلك بقلبه والقسم الثاني انه ياخذ الحلال لشهوة
نفسه لا غير فذلك منه شر يستوجب عليه الحبس والحساب
لقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وقال النبي صلى الله
عليه وسلم حلالها حساب والقسم الثالث ان ياخذ من
الحلال في حال العذر قدر ما يستعين به على عبادة الله تعالى و
يقتصر على ذلك فذلك منه خير وحسنة وادب لا حساب
عليه ولا عقاب بل يستوجب عليه الاجر والمدحة لقوله تعالى
اولئك لهم نصيب مما كسبوا وقال صلى الله عليه وسلم
من طلب الدنيا عفافا حلالا استعفافا عن المسئلة وتعطفا
على جاره وسعيا على عياله جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة
البدر وذلك لما قصد به هذه المقصودة المحمودة لله تعالى
فهذه هذه فاعلمها فان قيل فما شرط المباح حتى يصير خيرا

فاعلمها

وحرامها عذاب صح

وحسنة كما ذكرنا فاعلم انه يحتاج في كونه خيرا في الاصل
الى شرطين احدهما الحال والثاني القصد فالحال يجب
ان يكون في حال عذر وهو بحيث ان لم يأخذ يؤخذ ويقصره
ان يكون حاله ان لم يأخذ ذلك المباح ينقطع بسببه عن فرض
او سنة او نفل يكون ذلك افضل من ترك المباح فان
ترك مباح الدنيا فضيلة فاذا كان الحال كذلك فهو حال
العذر واما القصد فهو ان يقصد به العدة والاستعانة
على عبادة الله سبحانه وهو ان يذكر بقلبه انه لولا ما فيه من
التوصل الى عبادته سبحانه لما اخذت ذلك فهذا ذكر الحجة
فلما حصل ذكر الحجة في حال العذر صار ذلك الاخذ من الدنيا
الحلال خيرا وحسنة وادبا واما لو كان حاله حال العذر
ولا يكون له هذا القصد والذكر او يكون له هذا الذكر و
لا يكون في حال العذر فلا يكون ذلك الاخذ من جملة الخيرات
ثم الاستعانة على حفظ هذا الادب تحتاج الى بصيرة وقصد
مجمل بانه لا يأخذ الدنيا بحال الا للعدة على عبادة الله تعالى
حتى انه يسهى عن ذكر الحجة في حال اجرائه ذلك القصد المجمل عن
تجديد ذكر الحجة قال شيخنا فصارت الامور الثلثة معتبرة
فيه لكل واحد من وجه يعني ان الذكر والحال معتبران في حصول
كونه خيرا اصلا والقصد المجمل المقتضي عن بصيرة منزلة الادب

الى العدة

معتبر

معتبر في الاستقامة عليه فافهم ذلك راشدا فان قيل فان
اخذ الدنيا الحلال لشهوة فهل يكون ذلك معصية وهل
يلزم عليه عذاب وهل الاخذ بالعذر فرض ام لا فاعلم
ان ذلك فضيلة وتسميته خيرا وحسنة والامر به امر تاديب
والاخذ بالشهوة شر وسيئة والنهي عنه نهي زجر وليس ذلك
بمعصية ولا يكون له عذاب النار وانما عليه الحبس واللوم
والتعيير فان قلت فما هذا الحبس والحساب الذي يلزم
العبد فاعلم ان تسأل يوم القيمة عما ذا اكتسبت وفيما
ذا انفقت وماذا اردت بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة
الحساب بذلك في عرصة القيامة بين اهوالها ومخاوفها
عريان عطشان وكفى بذلك بلية فان قيل فانه سبحانه
وتعالى قد احل لنا هذا الحلال فاللوم والتعيير في اخذه لماذا
فاعلم ان اللوم والتعيير لتركه الادب كمن يجلس عن مائدة الملك
فترك الادب فانه يعير بذلك ويلام وان كان الطعام
له مباحا والاصل في هذا الباب ان الله تعالى خلق العبد
لعبادته وهو عبد الله تعالى من كل وجه فحق العبد ان يعبد الله
تعالى من كل وجه يمكنه ويجعل افعاله كلها عبادة من اي وجه امكنه
فان لم يفعل ذلك واتبع شهوة نفسه واشتغل بذلك عن
عبادة ربه مع تمكنه من ذلك من غير عذر والدار دار خدمة

ان الحساب ح

وعبادة لا دائم وشهوة استحق اللوم بذلك والتعيير من
سيده فتأمل هذا الاصل رشدا ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم فهذه الجملة التي اردنا بيانها في اصلاح النفس والجامها
بلجام التقوى فارعها حقها واحتفظ بها جداً تفز بالظفر الكبير
في الدارين ان شاء الله تعالى **فصل** فعليك ايها الرجل ببذل
المجهود في قطع هذه العقبة العظيمة الطويلة فانها اعظم العقبات
شدةً واكثرها مؤنة واكبرها آفة وفتنة فان من هلك من الخلق
كلهم انما انقطعوا عن طريق الحق اما بسبب دنيا او خلق
او شيطان او نفس ولقد ذكرنا في كتبنا المصنفة من كتب
الاسرار والاحياء والقربة الى الله تعالى ما يبعث على الاهتمام
بذلك ومقصود هذا الكتاب اني سألت الله ان يطلعني
على سر معالجة النفس وان يصلحني ويصلح بي فاقتصرت في
هذا الكتاب الشريف على نكتة وجيزة اللفظ عزيزة المعنى
تقنع من تأملها وتدعه على واضحة من الطريق ان شاء الله تعالى
وهذا الفصل يختص بثلث في معالجة الدنيا والخلق والشيطان و
النفس اما الدنيا فحق لك ان تحذرها وتزهد فيها لان
الامر لا يخلو من ثلثة اما انت من ذوي البصائر والفطن و
حسبك ان الدنيا عدوة الله سبحانه وهو حبيبك ووليك
وان الدنيا تقبحه عقلك والعقل قيمتك واما انت من

الدنيا

ذوي

ذوي الهمم في عبادة الله والآخرة فحسبك ان الدنيا يبلغ
من شومها ما يمنعك ارادتها ويشغلك الفكرة فيها عن العبادة
والخير فكيف بنفسها واما انت من اهل الغفلة لا بصيرة
لك تبصر الحقايق ولا همة لك تبعث على المكارم فحسبك
ان الدنيا لا يبقى اما ان تفارقها واما تفارقك كما
قال الحسن اذا بقيت لك الدنيا لم تبق لها فاي فائدة
اذاً في طلبها وانفاق العمر العزيز عليها ولقد احسن القائل
هب الدنيا تساق اليك عفواً ، اليس مصير ذاك
الى الزوال ، وما دنياك الا مثل ظل ، اظلك ثم آذن
بارتحال ، فلا ينبغي لعاقل اذاً ان يخدع بها ، ولقد صدق
القائل حيث قال ، اضغاث نوم او كظل زائل ، ان
اللبيب بمثلها لا يخدع ، واما الشيطان فحسبك فيه ما قال
الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل رب اعوذ بك
من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فهذا
خير العالمين واعلمهم واعقلهم وافضلهم عند الله يحتاج مع
ذلك ان يستعيذ بالله تعالى من الشيطان فكيف بك مع جهلك
ونقصك وغفلتك واما الخلق فحسبك فيه انك لو خالطتهم
ووافقتهم في اهوائهم اثمت وافسدت امر آخرتك
وان خالفتهم تعبت باذياتهم وجفواتهم وكدرت عليك

هب الدنيا تساق اليك عفوا اليس مصير ذاك الى الزوال
وما دنياك الا مثل ظل اظلك ثم آذن بارتحال

اما الشيطان

ونكدت عليك امر دنياك صح

امر دنياك ثم لا تأمن ان يلجئوك الى معاداتهم ومناوأتهم
فتقع في شرهم ولانهم ان مدحوك وعظموك اخاف
عليك الفتنة والعجب وان ذموك وجفوك اخاف
عليك الحزن تارة والغضب لغير الله تعالى اخرى وكلا الامرين
آفة مهلكة ثم اذكر حالك معهم بعد ما صرت الى القبر بثلثة
ايام كيف يتركونك ويهجرونك وينسونك ولا يكادون
يذكرونك كانك لم ترهم يوما ولم يروك فلا يبقى هنالك
الا الله سبحانه افلا يكون من الغبن العظيم ان تضيع اياميك
مع هولاء الخلق مع قلة الوفاء وقلة البقاء معهم وتترك خدمة
الله الذي ترجع اليه اخر الامر وحده ولا يبقى لك الا هو ابد
الآبدين الحاجات كلها اليه والتكلان كله عليه والاعتصام
كله في كل حال وعند كل شدة وهول به وحده لا شريك له
فتأمل يا مسكين لعلك ترشد ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق
والهداية بفضله واما النفس فحسبك ما تشاهد من حالاتها
ورداءة ارادتها وسوء اختيارها فهي في حال الشهوة بهيمة
وفي حال الغضب سبع وفي حال المصيبة تراها طفلا وفي
حال النعمة تراها فرعونا وفي حال الجوع تريها مجنونا وفي
الشبع تراها مختالا ان اشبعتها بطرت ومرحت وان جوعتها
صاحت وجزعت فهي كما قال الاول كحمار سوء ان اقضمته

رمح

رمح الناس وان جاع نهق ولقد صدق بعض الصالحين
حيث قال ان رداءة هذه النفس وجهلها بحيث اذا
همت بمعصية او انبعثت لشهوة لو تشفعت بالله
سبحانه ثم برسوله وبجميع انبيائه وبكتابه وبجميع السلف
الصالحين من عباده وتعرض عليها الموت والقبر والقيمة
والجنة والنار لا تعطي القياد ولا تترك الشهوة
ثم استقبلتها بمنع رغيف تسكن وتترك شهوتها لتعلم
خستها وجهلها فاياك ايها الرجل ان تغفل عنها فانها
كما قال خالقها العالم بها جل جلاله ان النفس لامارة
بالسوء فكفى بهذا تنبيها لمن عقل ولقد بلغنا عن بعض الصالحين
يقال له احمد بن ارقم البلخي انه قال نازعتني نفسي الخروج
الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس
لامارة بالسوء وهذه تأمرني بالخير وهذا لا يكون هذا ابدا
ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس لتتروح اليهم
ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم والبر والاكرام
فقلت لها لا انزلك العمران ولا انزل على معرفة فاجابت
فاسأت الظن بها وقلت الله تعالى اصدق فقلت لها
اقاتل العدو حاسرا فتكونين اول قتيل فاجابت وعد
اشياء مما ارادها فاجابت الى كل ذلك قال فقلت يا رب

تهتني بما تتهم لها مصدق لك فلو شقت كأنها تقول
يا احمد انت تقتلني كل يوم بمنعك اياي من شهواتي مرات
ونخالفك ولا يشعر به احد فان قاتلت فقتلت مرة
واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد
ويكون لي شرفا وذكرا قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو
في ذلك العام فانظر الى خداع النفس وغدرها تراءي الناس
بعد الموت بعمل لم يكن بعد ولقد صدق القائل واحسن فيما قال
توق نفسك لا تأمن غوائلها ۰ فالنفس اخبث من سبعين
شيطانا ۰ فتنبه رحمك الله لهذه الخداعة الامارة بالسوء
ووطن على مخالفتها بكل حال تصب وتسلم ان شاء الله تعالى
ثم عليك بالجامها بالتقوى لا حيلة لها سواه واعلم ان
ههنا اصلا اصيلا وهو ان العبادة شطران شطر الاكتساب
وشطر الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعة والاجتناب
الامتناع عن المعاصي والسيئات وهو التقوى وان شطر
الاجتناب على كل حال اسلم وافضل واصلح واشرف للعبد
من شطر الاكتساب ولذلك يشتغل المبتدئون من اهل العبادة
الذين هم في اول درجة الاجتهاد بشطر الاكتساب كل همتهم
ان يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم ونحو ذلك ويشتغل المنتهون
اولو البصائر من اهل العبادة بشطر الاجتناب انما همتهم ان

يحفظوا

يحفظوا قلوبهم عن الميل الى غير الله تعالى وبطونهم عن الفضول
والسنتهم عن اللغو واعينهم عن النظر الى ما لا يعنيهم ولهذا المعنى
قال العابد الثاني من العباد ليونس يا يونس ان من
الناس من حبب اليهم الصلوة فلا يؤثرون عليها شيئا
وهي عمود العدة بالثبات لله والصدق والتضرع و
الابتهال ومنهم من حبب اليهم الصوم فلا يؤثرون عليه شيئا
ومنهم من حبب اليهم الصدقة فلا يؤثرون عليها شيئا يا يونس
وانا مفسر لك هذه الخصال اجعل صومك الصمت عن كل
سوء واجعل صدقتك كف الاذى فانك لا تتصدق بشيء
افضل منه ولا تصوم بشيء ازكى منه فاذا علمت ان
جانب الاجتناب اولى بالرعاية والاجتهاد فيه فان حصل
لك الشطران جميعا الاكتساب والاجتناب فقد استكمل
امرك وحصل مرادك ولقد سلمت وغنمت فان لم تبلغ
الا الى احدهما فليكن ذلك جانب الاجتناب فتسلم ان لم
تغنم والا خسرت الشطرين جميعا وما ينفعك قيام ليل
وتعبه ثم تحبط بارادة واحدة وما يغنيك صيام نهار طويل
ثم تفسد بكلمة واحدة ولقد روينا عن ابن عباس انه قيل له
ما تقول في رجلين احدهما كثير الخير كثير الشر والآخر قليل الخير
قليل الشر قال لا اعدل بالسلامة شيئا ومثال ما قلناه حال

المريض وذلك ان معالجة المرض نصفان نصف هو الدوا
ونصف هو الاحتما فان جمعا فكانك بالمريض وقد برئ
وصح والا فالاحتما به اولى اذ لا ينفع دوا مع ترك الاحتما
ولقد ينفع الاحتما مع ترك الدوا ولقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم اصل كل دوا الحمية والمعنى بها والله اعلم انها تغني عن
كل دوا وكذلك يقال ان الهند جل معالجتهم الحمية يمتنع
المريض عن الاكل والشرب والكلام عدة ايام فيبرا ويصح
بذلك لا غير فتبين لك بهذه الجملة ان التقوى ملاك الامر
وجوهره واهلها هم الطبقة العلية العليا من العباد فعليك
ببذل المجهود في ذلك وصرف جل العناية اليه والله سبحانه ولي
التوفيق **فصل** ثم راع هذه الاعضا الاربعة التي هي الاصول
الاول العين فحسبك فيها ان مدار امر الدين والدنيا على
القلب وان خطر القلب وشغله وفساده في الاكثر من العين
ولذلك قال عليه السلام من لم يملك عينه فليس للقلب عنده
قيمة والثاني اللسان وحسبك ان فيه ربحك وغنيمتك
وثمرة تعبك واجتهادك كله العبادة والطاعة وان خطر
العبادة واحباطها وفسادها في الاكثر من قبل اللسان
بالتصنع والتزين والغيبة ونحوها يتلف عليك بلحظة واحدة
ما تتعب فيه سنة بل خمسا وعشرا ولذلك قيل ما شيء احق

بطول

بطول السجن من اللسان وفيما روي ان احد العباد السبعة
قال ليونس ثم يا يونس ان العباد اذا اجتهدوا في العبادة
لم يتقووا على عبادتهم بشيء افضل من الصبر عن الكلام في
فصل طويل ثم عاد الى ذلك فقال فلا يكونن عندك شيء اثر
من حفظ لسانك ولتكونن بشيء اغنى به من سلامة صدرك
فهذه هذه ثم اذكر النفس الذي تكلمت فيه بفضول ما كان
يضرك لو قلت استغفر الله فربما يوافق ساعة عزيزة
فيغفر الله لك فتريح راسك او قلت لا اله الا الله فيكون
لك من الاجر والذخر ما لا يحيط به وهمك او تقول اسال
الله العافية فربما يتفق حسن نظر فيستجيب الله تعالى دعوتك
فتنجو من بلية الدنيا والاخرة الا يكون من الخسران العظيم
والغبن الفظيع ان تفوت عن نفسك كل هذه الفوايد الكريمة
وتجعل نفسك ووقتك في فضول اقل ما يلزمك فيه اللوم
والحساب يوم القيمة ولقد احسن القائل ۞ واذا ما هممت
بالنطق في الباطل ۞ فاجعل مكانه تسبيحا ۞ والثالث البطن
وحسبك ان مقصودك العبادة وان الطعام بذر العمل و
ماؤه منه يبدو وينبت واذا خبث البذر لا يطيب الزرع
بل فيه خطر ان يفسد ارضك عليك فلا تفلح ابدا ومن ذلك
ما بلغنا عن معروف الكرخي انه قال اذا صمت فانظر على اي

شيء قط وعنده قط وطعام من ياكل فكم من ياكل اكلة
فينقلب قلبه عما كان عليه لا يعود الى حاله ابدا وكم من اكلة
حرمت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان
العبد ليأكل الاكلة فيحرم بها قيام سنة فعليك ايها الرجل
بالنظر الدقيق والاحتياط البالغ الشديد في قوتك ان كان
لك عناية بقلبك وهمة في عبادة ربك هذا في اصل القوت
حتى يكون من وجهه ثم عليك بالادب فيه والا كنت حمالا
للطعام مضيعا للايام اذ قد علمنا يقينا بل قد راينا عيانا
ان العبادة لا يجيء منها شيء اذا امتلأ البطن وان اكرهت
النفس على ذلك وجاهدت بضروب الحيل فلا يكون لتلك
العبادة لذة ولا حلاوة ولذلك قيل لا تطمع بحلاوة في العبادة
مع كثرة الاكل واي نور في نفس بلا عبادة وفي عبادة بلا لذة
ولا حلاوة ولهذا المعنى قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى
صحبت اكثر رجال الله تعالى في جبل لبنان وكانوا يوصوني اذا
رجعت الى ابناء الدنيا فعظهم باربع قل لهم من يكثر الاكل لا يجد
لذة العبادة ومن ينم كثيرا لا يجد في عمره بركة ومن طلب رضى
الناس فلا ينتظر رضى الرب ومن يكثر الكلام بفضول
وغيبة فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام وعن سهل رحمه الله
انه قال جماع الخير كله في هذه الخصال الاربع وبها صارت الابدال

ابدالا

ابدالا اخماص البطون والصمت والاعتزال عن الخلق
وسهر الليل وقال بعض العارفين الجوع رأس مالنا
ومعناه ان ما يحصل لنا من فراغ وسلامة وعبادة وحلاوة
وعلم نافع بسبب الجوع والصبر عليه لله سبحانه واما القلب
فحسبك انه اصل الكل ان افسدته فسد الكل وان اصلحته
صلح الكل اذ هو شجرة وسائر الاعضاء اغصان ومن الشجرة
تشرب الاغصان وتصلح وتفسد وانه الملك وسائر
الاعضاء تبع واركان واذا صلح الملك صلحت الرعية
واذا فسد فسدت فاذا صلاح العين واللسان والبطن
وغيره دليل على صلاح القلب وعمرانه واذا رايت فيه خللا
وفسادا فاعلم ان ذلك من خلل في القلب وفساد وقع ثمة
بل الفساد فيه اكثر فاصرف عنايتك اليه فاصلحه يصلح
الكل به فتستريح ثم امره دقيق عسير اذ هو مبني على الخواطر
وهي ليست تحت يدك والامتناع من اتباعها مجهود
طاقتك ففيه اقصى المشقة ولهذا المعنى صار اصلاحه اشد على
اهل الاجتهاد والاهتمام بامره اكثر واكبر عند ذوي البصائر
وعن ابي يزيد رضي الله عنه انه قال عالجت قلبي عشرا ولساني
عشرا ونفسي عشرا فكان قلبي اصعب الثلاثة فهذه هذه
ثم عليك بالاهتمام بالخصال الاربع التي ذكرناها من الامل والعجلة

في الامور والحسد والكبر وانما خصصنا هذه الاربع من
بين سائر الخصال في هذا الموضع وحثثنا على الاحتراز
منها لانها علل القراء خاصة اذ هي تعتري سائر الناس عموما
والقراء خصوصا فيكون اقبح واشنع ترى الرجل القارئ
بطول الامل ويعده نية خير فيوقعه في الكسل والتوان
في العمل وتراه يستعجل في تحصيل منازل الخير فينقطع عنها
او في اجابة دعاء صالح فيحرم ذلك او في الدعاء على احد
بسوء فيندم على ذلك كما ذكر عن نوح عم وتراه يحسد نظراءه
على ما اتاهم الله من فضله حتى ربما يبلغ ذلك منه مبلغا يحمله
على فضايح وقبايح لا يقدم عليها فاسق ولا فاجر ولهذا
المعنى قال سفيان الثوري ما اخاف على ديني الا القراء
والعلماء فاستنكروا منه ذلك فقال ما انا قلته انما قاله
ابراهيم النخعي وعن عطاء قال قال لي الثوري احذروا القراء
واحذروني معهم فلو خالفت اودهم لي في رمانة فاقول
انها حلوة ويقول انها حامضة ما امنته ان يسعى بدمي
الى سلطان جائر وعن مالك بن دينار انه قال اني اقبل
شهادة القراء على جميع الخلق ولا اقبل شهادة بعضهم على
بعض لاني وجدتهم حسادا وعن الفضيل انه قال لابنه
اشتر لي دارا بعيدة من القراء ما لي وللقوم ان ظهرت مني

ذلة

ذلة اغتابوني وان ظهرت علي نعمة حسدوني وكذلك
تراه يتكبر على الناس ويستخف بهم مصعرا خده معبسا
وجهه كانما يمن على الناس بما يصلي زيادة ركعتين
او كانما جاءه من الله منشور بالجنة والبراءة من النار او كانما
استيقن السعادة لنفسه والشقاوة لسائر الناس
ثم مع ذلك يلبس لباس المتواضعين من صوف وغيره ويتباو
وهذا لا يليق بالترفع والتكبر ولا يلايمه بل يناقضه ولكن
الاعمى لا يبصر وذكر ان فرقدا السبخي دخل على الحسن البصري
وعليه كساء وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها فقال له الحسن ما لك
تنظر الى ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب اهل
النار بلغنا ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية ثم قال
الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي
يحلف به لاحدكم بكسائه اعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه
والى هذا المعنى ذو النون رحمه الله حيث قال تصوف فازدهى
بالصوف جهلا ، وبعض الناس يلبسه مجانة ، يريك مهانة
ويريك كبرا ، وليس الكبر من شكل المهانة ، تصوف كي
يقال له امين ، وما معنى تصوفه الامانة ، ولم يرد الاله به
ولكن ، اراد به الطريق الى الخيانة ، فليحذر ايها الرجل من
هذه الآفات الاربع لا سيما الكبر فان الثلاث الاول

مداحض لو زللت فيها لوقعت في العصيان والكبر
ومدحض لو وقعت فيه لوقعت في بحار الكفر والطغيان
ولا تنس حديث ابليس وفتنته أبى واستكبر وكان من
الكافرين والرجوع الى الله جل وعلا ان يعصمنا جميعا بحسن
نظره انه جواد كريم **فصل** وجملة الامر انك اذا نظرت
بعقلك ايها الرجل فعلمت ان الدنيا لا بقاء لها وان نعمها
لا يفي بضرها وتبعاتها من كد البدن وشغل القلب في الدنيا
والعذاب الاليم والحساب الطويل في الآخرة زهدت
في فضولها فلا تأخذ منها الا ما لا بد لك منه في عبادة
ربك وتدع التنعم والتلذذ الى الجنة دار النعيم المقيم في جوار
رب العالمين الملك القادر الغني الكريم وعلمت ان الخلق
لا وفاء لهم وان مؤنتهم اكثر من معونتهم في ما يعنيك تركت
مخالطتهم الا فيما لا بد لك منه تنتفع بخيرهم وتجتنب شرهم
وتجعل صحبتك لمن لا تحتاج الى صحبته ولا تندم على خدمته واستئناسك
بكتابه وملازمتك لبابه فيكون لك بكل حال وترى منه كل
جميل وافضال وتجده عند كل نائبة في الدنيا والآخرة كما
قال عليه السلام احفظ الله تجده حيث اتجهت وعلمت ان الشيطان
خبيث قد تجرد لمعاداتك فاستعذت بربك القادر القاهر
من هذا الكلب اللعين ولا تغفل عن مكايده ومصايده فتطرده

بذكر الله

بذكر الله تعالى ولا تعبأن بذلك فانه يسير اذا ظهر منك عزيمة
الرجال وانه كما قال الله تعالى وانه ليس له سلطان على
الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ولقد صدق ابو حازم
فيما قال ما الدنيا وما ابليس اما الدنيا فما مضى منها
فحلم وما بقي فاماني واما الشيطان فوالله لقد لو اطيع
فما نفع ولقد عصي فما ضر وعلمت جهالة هذه النفس وجماحها
الى ما يضرها ويهلكها نظرت اليها رحمة لها نظر العقلاء العلماء
الذين ينظرون في العواقب لا نظر الجهال والصبيان
الذين ينظرون الحال ولا يفطنون لغائلة الاذى ويرقون
من مرارة الدواء والجمتها بلجام التقوى بان تمنعها عما لا تحتاج
اليه بالحقيقة من كلام وفضول ونظر او تلبس بخصلة فاسدة
من طول امل او عجل او حسد مسلم او تكبر في غير موضع او
اكل بمحض شهوة وشره ولتعطيها ما ليس لها منه بد
ولا تخاف منه ضررا اذ لا ضرورة الى الفضول وقد
وسع الله تعالى الامر على عباده برحمته واغناهم عن جميع
ما يضرهم في امور دينهم فاي حاجة الى ذلك فان الامر كما قال
بعض الصالحين ان التقوى اهون شيء اذا ابى شيء
تركته فان النفس تستلين وتتعود ما عودتها وانها لكما
قال القائل ٭ فالنفس راغبة اذا رغبتها ٭ واذا ترد الى

قليل تقنع ۝ وقال آخر ۝ هي ما حملتها تتحمل ۝ وقال آخر و
ما النفس الا حيث يجعلها الفتى وان توقت تاقت و
الا تسلت فاذا علمت الذي وصفناه كنت من الزاهدين
الراغبين في الآخرة وعلم ان من سمي باسم الزهد ولقد سمي بالف
اسم ممدوح وكنت من المتفردين المنقطعين الى الله سبحانه
الذي هم اهل الانس خدام رب العالمين فتكون كما
قال ۝ تشاغل قوم بدنياهم ۝ وقوم تخلوا لمولاهم ۝ فالزمهم
باب مرضاته ۝ وعن سائر الخلق اغناهم ۝ وكنت من المجاهدين
في الله الخواص من عباد الله الذين قال فيهم سبحانه ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان وكنت من المتقين الذين لهم سعادة
الدارين وخرجت فضلا من كثير من الملائكة المقربين اذ
ليست لهم شهوة تدعو الى قبيح ولا نفس خبيثة وكنت
قد خلفت هذه العقبة الطويلة الشديدة وسبقت العوائق
كلها الى مقصودك ولا يهولنك فانه مع الاستعانة بالله
تعالى والاعتصام به لهين نسأل الله تعالى وهو خير مسؤول
ان يمدك وايانا بحسن توفيقه وعونه وتيسيره فانه الكافي
لكل مهم والاستعانة به في كل معضل فبيده الخلق والامر
وهو على كل شيء قدير فهذا ما اردنا ذكره في هذا الباب
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **العقبة الرابعة** وهي

عقبة

عقبة العوارض ثم عليك يا طالب العبادة وفقك
الله بكفاية العوارض الشاغلة عن عبادة الله تعالى وسد
سبيلها عليك لئلا يشغلوك عن مقصودك وقد ذكرنا
انها اربعة احدها الرزق ومطالبة النفس بذلك
وانما كفايته في التوكل فعليك بالتوكل على الله في موضع
الرزق والحاجة بكل حال وذلك لامرين احدهما التفرغ
للعبادة ويتمشى لك من الخير حقه فان من لم يكن متوكلا فلا بد
من اشتغاله عن عبادة الله سبحانه بسبب الحاجة والرزق
والمصلحة اما ظاهرا واما باطنا اما بطلب وكسب
بالبدن كعامة الراغبين واما بذكر وارادة ووسوسة بالقلب
كالمجتهدين المعلقين والعبادة تحتاج الى فراغ القلب
والبدن ليحصل حقها والفراغ لا يكون الا للمتوكلين بل
اقول كل من هو ضعيف القلب لا يكاد يطمئن قلبه الا
بشيء معلوم ولا يكاد يتم له امر خطير من دنيا وآخرة و
كثيرا ما سمعت من شيخي ابي محمد يقول انما الامور يتمشى في
العالم لرجلين متوكل او متهور قلت وهذا كلام جامع سر
في معناه فان المتهور يقصد الامر على قوة عادة وجراءة
قلب لا يلتفت الى صارف يصرفه او خاطر يضعفه فيتجرى
له الامور والمتوكل يقصد الامور على قوة وبصيرة وكمال

يقين بوعد الله سبحانه وتمام ثقة بضمانه لا يلتفت الى
انسان يخوفه او شيطان يوسوسه فيفوز بمقاصده
ويظفر بمطالبه واما الضعيف المعلق القلب ابدا
بين نكول وتردد وقصور وتحير كالحمار في معلفه والدجاج
في نقبه برمق ما تعود من صاحبه لا يكاد ينفك عن ذلك
تقاعدت نفسه عن معالي الامور وانقطعت همته فلا يكاد
يقصد امرا شريفا وان قصده فلا يكاد يظفر به ولا يتم له
ذلك الا ترى اصحاب الهمم من ابناء الدنيا لم ينالوا مرتبة
كبيرة ومنزلة خطيرة الا بانقطاع قلوبهم عن انفسهم واموالهم
واهليهم اما الملوك فيباشرون الحروب ويكافحون
الاعداء اما هلكا واما ملكا حتى يحصل لهم مرتبة الملك
وعقد الولاية وقيل ان معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه
لما نظر الى العسكرين يوم صفين قال من اراد خاطر خطرا
بعظمته واما التجار فيركبون المهالك برا وبحرا ويطرحون
انفسهم واموالهم في المقاطع شرقا وغربا ويوطنون
انفسهم على احد الامرين اما فوت الارواح واما حصول
الارباح حتى يحصل لهم بذلك كل ربح عظيم ومال جسيم وعلق
نفيس واما السوقي الذي قد ضعف قلبه ورق عزمه لا يكاد
يقطع القلب عن علاقته من نفسه وماله فهو من بليته لا دكانه

طول عمره لا يصل الى مرتبة شريفة كالملوك ولا الى ربح
عظيم كالتجار المخاطرين فان نال في سوقه ربحا على بضاعته
درهما فذلك له كثير لتعلق قلبه بشي معلوم فهذه في
الدنيا وابنائها واما ابناء الاخرة فاس مالهم هذه الخصلة
التي هي التوكل وقطع القلب عن العلايق لما احكموها و
حصلوا حقها تفرغوا لعبادة الله تعالى وتمكنوا من التفرد
عن الخلق والسياحة في الارض واقتحام الفيافي واستيطان
الجبال والشعاب فصاروا اقوياء العباد ورجال الدين
واحرار الناس وملوك الارض بالحقيقة يسيرون حيث
يشاؤن وينزلون حيث يشاؤن ويقصدون من الامور
العظام علما وعبادة لا عايق لهم ولا حاجز دونهم وكل
الاماكن لهم واحد وكل الازمان عندهم واحد واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق
الله ومن سره ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن
سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه
بما في يده وعن سليمان الخواص لو ان رجلا توكل على الله
بصدق النية لاحتاج اليه الامراء ومن دونهم وكيف يحتاج
ومولاه الغني الحميد وعن ابراهيم الخواص قال لقيت غلاما
في التيه كانه سبيكة فضة فقلت له الى اين يا غلام قال

الى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال يا ضعيف اليقين
الذي يقدر على حفظ السموات والارض يقدر على ان
يوصلني الى مكة بلا زاد ولا راحلة فلما دخلت مكة فاذا
هو في الطواف ويقول يا نفس تيهي ابدا ولا تحبي احدا
الا الجليل الصمد يا نفس موتي كمدا فلما رآني قال يا شيخ انت
بعد على ذلك الضعف وقال ابو مطيع لحاتم الاصم بلغني
انك تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد فقال حاتم زادي
اربعة اشياء قال ما هي قال ارى الدنيا والآخرة مملكة لله عز
وجل وارى الخلق كلهم عبيد الله تعالى وعياله وارى الارزاق
والاسباب كلها بيد الله تعالى وارى قضاء الله نافذا في
جميع ارض الله تعالى ولقد احسن من قال أرى الزهاد في روح
وراحة قلوبهم عن الدنيا مزاحة اذا ابصرتهم ابصرت قوما
ملوك الارض شيمتهم سماحة واما الامر الثاني في الذي اقتضى
التوكل على الله سبحانه في هذا الشان هو ما في تركه من الخطر
العظيم والامر الكبير قلت أليس الله سبحانه قرن الرزق
بالخلق فقال الله تعالى خلقكم ثم رزقكم فدل على ان الرزق من
الله تعالى كالخلق ثم لم يكتف بالدلالة حتى وعد فقال ان
الله هو الرزاق ثم لم يكتف بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها ثم لم يكتف بالضمان حتى اقسم

فقال

فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء
والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ثم لم يكتف بذلك
كله حتى امر بالتوكل وابلغ وانذر فقال وتوكل على الحي الذي
لا يموت وقال سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
فمن لم يعتبر قوله ولم يكتف بوعده ولم يطمئن لضمانه ولم
يقنع بقسمه ثم لم يبال بامره ووعده ووعيده فانظر ماذا
يكون حاله واية محنة تجيء من هذا وهذه والله مصيبة
شديدة ونحن منها في غفلة عظيمة ولقد قال الصادق
الامين عم لابن عمر كيف بك اذا انت بقيت بين اقوام
يخبئون رزق سنتهم لضعف اليقين وعن الحسن انه قال
لعن الله اقواما اقسم لهم ربهم فلم يصدقوه وقالت الملائكة
عند نزول هذه الآية فورب السماء والارض هلكت بنو آدم
اغضبوا الرب حتى اقسم لهم على ارزاقهم وعن اويس القرني
انه قال لو عبدت الله تعالى عبادة اهل السموات والارض
لما يقبل منك حتى تصدقه قيل وكيف نصدقه قال تكون
آمنا بما تكفل الله من امر رزقك وترى جسدك فارغا لعبادته
ولقد قال له هرم بن حيان اين تامرني ان اقيم فاوما بيده
الى الشام قال كيف المعيشة بها قال اف لهذه القلوب
لقد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وبلغنا ان شابا

تاب على يدي أبي يزيد البسطامي رحمه الله فسأله أبو يزيد عن
حاله فقال نبشت عن ألف قبر فلم أر وجوههم إلى القبلة
إلا رجلين وقال أبو يزيد مساكين أولئك تهمة الرزق
حولت وجوههم عن القبلة وذكر لي بعض أصحابنا أنه رأى
رجلا من أهل الصلاح فسأله عن حاله فقال هل سلمت بإيمانك
فقال إنما يسلم الإيمان للمتوكلين نسأل الله تعالى أن يصلحنا
بفضله ولا يؤاخذنا بما نحن أهله إنه أرحم الراحمين فهذه هذه
فإن قلت فأخبرنا ما حقيقة التوكل وحكمه وما يلزم العبد منه
في أمر الرزق فاعلم أنه إنما يتبين لك هذا بأربعة فصول
بيان لفظة التوكل وموضعه وحده وضده فأما اللفظة
فإنما هي توكل من تفعل من الوكالة فالمتوكل على أحد هو
الذي أن يتخذه بمنزلة الوكيل القائم بأمره الضامن لإصلاحه
الكافي له من غير تكلف واهتمام فهذه جملته وأما الموضع
فاعلم أن التوكل اسم يطلق في ثلاثة مواضع أحدها في موضع
القسمة وهي الثقة بالله بأنه لا يفوتك ما قسم لك فإن حكمه
لا يتبدل وهذا واجب بالسمع والثاني في موضع النصرة
وهو الاعتماد والوثاقة بنصر الله عز وجل لك إذا نصرته
وجاهدت في سبيله قال الله تعالى فإذا عزمت فتوكل على
الله تعالى وقال الله تعالى إن تنصروا الله ينصركم وقال الله تعالى

ان

إن ينصركم الله فلا غالب لكم وقال الله تعالى وكان حقا
علينا نصر المؤمنين وهذا واجب بالوعد والثالث
في موضع الرزق والحاجة بأن الله تعالى متكفل بما يقيم
بنيتك لخدمته وتتمكن به من عبادته قوله تعالى ومن يتوكل
على الله فهو حسبه وقال الصادق الأمين محمد صلوات الله
عليه وسلامه لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وهذا فرض لازم للعبد
بدليل العقل والشرع جميعا ولهذا هو الأشهر والأغلب منه
أعني التوكل في موضع الرزق وهو المقصود من هذا الفصل
فموضع التوكل إذا هو الرزق وهو الرزق المضمون فيما
الرزق اربعة اقسام
قال العلماء بالله رضي الله عنهم وإنما يتضح لك هذا ببيان أقسام
الرزق فاعلم أن الرزق أربعة أقسام مضمون ومقسوم
ومملوك وموعود فالمضمون هو الغذاء وما به قوام البدن
دون سائر الأسباب فالضمان من الله لهذا النوع والتوكل
يجب بإزائه بدليل العقل والشرع لأن الله تعالى كلفنا خدمته
وطاعته بأبداننا فضمن ما يسد خلل البنية لنقوم بما كلفنا
وقال بعض مشايخ الكرامية كلاما حسنا على أصله أن ضمان أرزاق
العباد واجب في حكمة الله تعالى لثلاثة أشياء أحدها أنه سيد ونحن
العبد وعلى السيد كفاية مؤنة العبد كما أن على العبيد خدمة السيد

العبد

والثاني انه خلقهم محتاجين الى الرزق ولم يجعل لهم سبيلا الى طلبه
اذ لا يدرون ما هو رزقهم فاين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه من
مكانه وفي وقته ليصلوا اليه فوجب ان يكفيهم ذلك و
يوصلهم اليه والثالث انه كلفهم لخدمته وطلب الرزق
شاغل عنها فوجب ان يكفيهم المؤنة ليتفرغوا وهذا كلام من لم
يحط باسرار الربوبية والقايل بان على الله واجبا تائه والقد
اوضحنا في فن الكلام فساده ولنرجع الى المقصود من غرضنا
واما الرزق المقسوم فهو ما قسم الله سبحانه وكتبه في اللوح
المحفوظ ما يأكله ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار مقدر
ووقت موقت لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتأخر
عن ما كتب بعينه قال النبي صلى الله عليه وسلم الرزق مقسوم
مفروغ ليس تقوى تقي بزائده ولا فجور فاجر بناقصه واما
المملوك لكل واحد من اموال الدنيا على حسب ما قدر الله تعالى
وقسم له ان يملكه وهو من رزق الله قال تعالى وانفقوا مما
رزقناكم اي مما ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد الله تعالى
للمتقين من عباده بشرط التقوى حلالا من غير كد قال الله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فهذه
اقسام الرزق والتوكل انما يجب بازاء المضمون منها فاعلم ذلك
واما حد التوكل فقد قال بعض شيوخنا انه اتكال القلب على

الله تعالى

الله تعالى بالانقطاع اليه والاياس عن ما دونه وقال بعضهم
حفظ القلب الى الله تعالى لموضع المصلحة بترك تعليقه على
شيء دونه وقال الشيخ ابو عمرو رحمه الله التوكل ترك
التعليق والتعليق ذكر قوام بنيتك عن شيء دون الله
عز وجل قال الشيخ الامام رحمه الله التوكل والتعليق ذكران
فالتوكل هو ذكر قوام بنيتك من قبل الله تعالى والتعليق ذكر
قوامها من ما دون الله تعالى والاقاويل عندي ترجع الى اصل
واحد وهو ان توطن نفسك على ان قوام بنيتك وسد
خلتك وكفايتك انما هو من الله سبحانه لا باحد دون الله تعالى
ولا بحطام من الدنيا ولا بسبب من الاسباب ثم الله سبحانه ان
شاء سبب له مخلوقا او حطاما وان شاء كفى بقدرته دون
الاسباب والوسايط فاذا ذكرت ذلك بقلبك ولو طنت
عليه فانقطع القلب عن المخلوقين والاسباب بمرة الى الله
سبحانه وحده فقد حصل التوكل حقه فهذا حده واما حصن
التوكل الباعث عليه فهو ذكر ضمان الله تعالى وحصن حصنه
ذكر جلال الله تعالى وكماله في علمه وقدرته وتنزهه عن الخلق
والسهو والعجز والنقص فاذا واظب العبد على هذه الاذكار
بعثته على التوكل على الله سبحانه في امر الرزق فان قيل هل
يلزم العبد طلب الرزق بحال فاعلم ان الرزق المضمون الذي

هو الغذاء والقوام لا يمكننا طلبه اذ هو شيء من فعل الله تعالى
بالعبد كالحيوة والموت لا يقدر العبد على تحصيله ولا دفعه
واما المقسوم من الاسباب فلا يلزم العبد طلبه اذ لا حاجة
للعبد الى ذلك انما حاجته الى المضمون وهو من الله تعالى وفي
ضمان الله تعالى واما قوله عز وجل وابتغوا من فضل الله فالمراد
به العلم والثواب وقيل بل هو رخصة اذ هو امر وارد بعد
الحظر فيكون بمعنى الاباحة لا بمعنى الايجاب والالزام فان
قيل لكن لهذا الرزق المضمون اسباب هل قلت يلزمنا
طلب الاسباب قيل له لا يلزم كذلك اذ لا حاجة للعبد اليه
اذ الله سبحانه يفعل بسبب وبغير سبب فمن اين يلزمنا
طلب السبب ثم ان الله تعالى ضمن لك ضمانا مطلقا من غير
شرط الطلب والكسب قال الله تعالى وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها ثم كيف يصح ان يامر العبد بطلب
ما لا يعرف مكانه فيطلبه اذ لا يعرف اي سبب منها رزقه
الذي يتناوله لا غير والذي يصير سبب غذائه وتربيته لا غير
فالواحد منا لا يعرف ذلك السبب بعينه من اين يحصل له
فلا يصح تكليفه فتأمل رشدا فانه بين ثم حسبك ان الانبياء
صلوات الله عليهم والاولياء المتوكلين لم يطلبوا رزقا في
الاكثر والاعم وتجردوا للعبادة وبالاجماع انهم لم يكونوا تاركين

لامر الله تعالى ولا عاصين له في ذلك فتبين لك ان طلب
الرزق واسبابه ليس بامر لازم للعبد فان قلت هل يزيد
الرزق بالطلب وهل ينقص بترك الطلب فكلا فانه
مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر موقت ولا تبديل لحكم الله تعالى
ولا تغيير لقسمته وكتابته وهذا هو الصحيح عند علمائنا رضي الله عنهم
خلاف ما ذهب اليه بعض اصحاب حاتم وشقيق قالوا
ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد لكن المال يزيد و
ينقص وهذا فاسد لان الدليل في الموضعين واحد وهو
الكتابة والقسمة واليه الاشارة بقوله تعالى لكيلا تأسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ولو كان الطلب يزيد والترك
ينقص لكان للاسا والفرح موضع اذ هو قصر وتوانى حتى
فاته وجد وشمر حتى حصله وقال النبي صلى الله عليه وسلم
للسائل هاك لو لم تأتها لاتتك فان قيل فالثواب والعقاب
ايضا مكتوب في اللوح المحفوظ ثم يلزمنا طلبه ويزيد بالطلب
وينقص بالترك فاعلم ان طلب الثواب انما وجب لان
الله تعالى امر به حتما واوعد على تركه ولم يضمن الثواب على غير
فعل منا وزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد فالفرق
بينهما في نكتة وهي ما قاله بعض علمائنا ان المكتوب في اللوح
المحفوظ قسمان قسم مكتوب مطلقا من غير شرط وتعليق بفعل

العبد وهو الارزاق والاجال اما ترى كيف ذكرهما الله تعالى
مطلقا غير مشروط قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها وقال الله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون وقال صاحب الشرع ام اربعة قد فرغ منهن
الخلق والخلق والرزق والاجل وقسم مكتوب بشرط معلق
مشروطا بفعل العبد وهو الثواب والعقاب اما ترى كيف
ذكرهما الله تعالى في كتابه معلقين بفعل العبد قال الله تعالى ولو
ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم
جنات النعيم وهذا بين فاعلمه فان قيل فنحن نجد الطالبين يجدون
الارزاق والاموال والتاركين يعدمون ويفتقرون قيل له
كانك تجد مع ذلك طالبا محروما فقيرا وفارغا مرزوقا غنيا بلى
ان هذا هو الاكثر ليتعلم ان ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير الملك
الحكيم وانشدني ابو بكر محمد بن سابق الصقلي الواعظ رحمه الله تعالى
بالشام • فكم قوي قوي في تقلبه • مهذب الرأي عنه الرزق
منحرف • وكم ضعيف ضعيف في تقلبه • كانه من خليج البحر يغترف •
فان قلت هل ندخل البادية بلا زاد فاقول ان كان لك قوة القلب
بالله تعالى والثقة البالغة بوعد الله تعالى فادخل والا فكن كالعوام
بعلائقهم ولقد سمعت الامام ابا المعالي رحمه الله يقول انه من جرى
مع الله سبحانه على عادة الناس جرى الله تعالى معه على ما هو في عادة

الناس

الناس في كفاية المؤنة وهذا كلام حسن جدا وفيه فوائد جمة
لمن تاملها فان قلت اليس الله تعالى يقول وتزودوا فان خير
الزاد التقوى فاعلم ان فيه قولين احدهما انه زاد الاخرة و
لذلك قال خير الزاد التقوى ولم يقل طعامها واسبابها والثاني
انه كان قوم لا ياخذون زادا في طريق الحج لانفسهم اتكالا
على الناس ويسالون ويلحون ويؤذون الناس فامروا
بالزاد امر تنبيه على ان اخذ الزاد من مالك خير من اخذ مال
الناس والاتكال عليهم وكذلك نقول فان قلت فالمتوكل
هل يحمل الزاد معه في الاسفار فاعلم انه ربما يحمل ولا يعلق القلب
بانه لا محالة رزقه وفيه قوام انما يعلق القلب بالله تعالى
ويتوكل عليه ويقول ان الرزق مقسوم مفروغ عنه والله
ان شاء اقام بنيتي بهذا او بغيره وربما يحمل بنية اخرى بان
يعين مسلما او نحو ذلك وليس الشان في اخذ الزاد وتركه انما
الشان في القلب لا تعلق قلبك الا بوعد الله تعالى وحسن كفايته
وضمانه وكم من حامل للزاد وقلبه مع الله تعالى دون الزاد وكم من
تارك للزاد وقلبه مع الزاد دون الله تعالى فالشان اذا في القلب
فافهم هذه الاصول تكفي المؤنة ان شاء الله تعالى فان قيل فالنبي
صلى الله عليه وسلم كان يحمل الزاد وكذلك الصحابة والسلف
الصالح رضي الله عنهم يقال له فلا جرم ان ذلك مباح غير حرام

فانما الحرام تعليق القلب بالزاد وترك التوكل على الله سبحانه
فافهم ذلك ثم ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
قال الله تعالى له وتوكل على الحي الذي لا يموت أعصاه في
ذلك وعلق قلبه بطعام او شراب او درهم او دينار كلا
وحاشا ان يكون ذلك بل كان قلبه مع الله تعالى وتوكله على
الله فانه الذي لم يلتفت الى الدنيا باسرها ولم يمد يده الى
مفاتيح خزائن الارض كلها وانما كان اخذ الزاد منه صلى الله
عليه وسلم ومن السلف الصالح لنيات الخير لا لميل قلوبهم
عن الله تعالى الى الزاد والمعتبر القصد على ما اعلمناك فانتبه
من رقدتك فان قلت ايهما افضل اخذ الزاد ام تركه فاعلم
ان هذا يختلف باختلاف الحال ان كان مقتدا به يريد ان
يبين ان اخذ الزاد مباح او ينوي به عون مسلم او اغاثة
ملهوف ونحو ذلك فالاخذ افضل وان كان منفردا قوي القلب
بالله سبحانه يشغله الزاد عن عبادة الله تعالى فالترك افضل
فتفهم هذه الجملة واحتفظ بها راشدا وبالله التوفيق العارض
الثاني الاخطار وارادتها وقصودها وانما كفايتها في التفويض
فعليك بتفويض الامر كله الى الله سبحانه وذلك لامرين احدهما
لطمانينة القلب في الحال فان الامور اذا كانت خطرة مبهمة
لا تدري صلاحها من فسادها فتكون مضطرب القلب هائم متحا

النفس

النفس لا تدري تقع في صلاح او فساد فاذا فوضت الامر
كله الى الله تعالى علمت انك لا تقع الا في صلاح وخير فتكون
آمنا من الخطر مطمئن القلب في الحال وهذه الطمانينة والامن
والراحة في الوقت غنيمة عظيمة وكان شيخنا رحمه الله يقول
في مجالسه دع التدبير على من خلقك تسترح والثاني من الامرين
حصول الصلاح والخير في الاستقبال وذلك لان الامور بالعواقب
مبهمة فكم من شر في صورة خير وكم من ضر في حلية نفع وكم من سم
في هيئة شهد وانت الجاهل بالعواقب والاسرار فاذا
اردت الامور قطعا وحدت فيها باختيارك متحكما فما
اسرع ما تقع في الهلاك والشقوة ولقد حكي ان بعض العباد
كان يسئل الله تعالى ان يريه ابليس فقيل له سل الله العافية
فابى الا ذلك فاظهره الله تعالى له فلما رآه العابد قصده بالضرب
فقال له ابليس لولا انك تعيش مائة سنة لاهلكتك وعاقبتك
فاغتر بقوله فقال في نفسه ان عمري بعيد فافعل ما اريد ثم
اتوب فوقع في الفسق وترك العبادة وهلك ففي هذه
ما ينبهك على ترك التحكم في ارادتك والتجاج في مطلوبك وتحذرك
ايضا طول الامل فانه الآفة العظيمة ولقد صدق القائل •
اياك والمطامع والاماني • فكم امنية جلبت منية • واما اذا
فوضت الامر الى الله سبحانه وسألته ان يختار لك ما هو صلاحك

لاهلكتك سار

لم تلق الا الخير والسداد ولا تقع الا على الصلاح قال الله تعالى
حكاية عن العبد الصالح وافوض امرى الى الله ان الله بصير
بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء
العذاب اما ترى كيف اعقب تفويضه بالوقاية من الاسوا
والنصر على الاعدا وبلوغ المراد فتامل موفقا فان قلت
بين لنا معنى التفويض وحكمه فاعلم ان ههنا فصلين بهما تتضح
الكلام احدهما موضع التفويض والثانى معناه وحده وضده
اما موضعه فاعلم ان المرادات ثلثه مراد نعلم يقينا انه فساد
وشر لا شك فيه البتة كالنار والعذاب وفى الافعال كالكفر
والبدعة والمعصية فلا سبيل الى ارادة ذلك والثانى مراد
نعلم قطعا انه صلاح كالجنة والايمان والسنة ونحو ذلك فلك
ارادتها بالحكم لا موضع للتفويض فيه اذ لا خطر فيه ولا شك
انه خير وصلاح والثالث مراد لا نعلم يقينا ان لك فيه صلاحا
او فسادا وذلك نحو النوافل والمباحات فهذا موضع
التفويض فليس لك ان تريدها قطعا بل بالاستثنا وشرط
الخير والصلاح فان قيدت ارادتك بالاستثنا فهو تفويض
وان اردت دون الاستثنا فهو طمع مذموم منهى عنه فموضع
التفويض اذا كل مراد فيه الخطر وهو ان لا تستيقن صلاحك
فيه واما معنى التفويض فقال بعض شيوخنا هو ترك اختيار

مافيه مخاطرة الى المختار المدبر العالم بمصلحة الخلق وعبارة
الشيخ ابو محمد السجزى رحمه الله هو ترك اختيارك المخاطرة
على المختار ليختار لك ما هو خير لك قال الشيخ ابو عمر رحمه الله
هو ترك الطمع والطمع ارادة الشئ المخاطر بالحكم فهذه عبارات
المشايخ والذى نقوله ان التفويض ارادة ان يحفظ الله
تعالى عليك مصالحك فيما لا تامن فيه الخطر وضد التفويض
الطمع والطمع فى الجملة يجرى على وجهين احدهما فى معنى الرجا
تريد شيئا لا خطر فيه او مخاطرة بالاستثنا وذلك ممدوح غير
مذموم كما قال الله تعالى والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم
الدين وقال الله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا و
هذا القسم ليس مما نحن فيه بسبيل ههنا والثانى طمع مذموم
قال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم والطمع فانه فقر حاضر و
قيل هلاك الدين وفساده الطمع وملاكه الورع قال
شيخنا رحمه الله الطمع المذموم شيئان سكون القلب
الى منفعة مشكوكة والثانى ارادة الشئ المخاطر بالحكم وهذه
الارادة تقابل التفويض لا غير فاعلم ذلك واما حسن
التفويض فهو ذكر خطر الامور وامكان الهلاك والفساد
فيها وحسن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام عن ضروب الخطر
والامتناع عن الوقوع فيها بجهلك وغفلتك وضعفك

مذموم

فالمواظبة على هذين الذكرين تحملك على تفويض الامور كلها
الى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن ارادتها
الا بشرط الخير والصلاح فهذه هذه وبالله التوفيق فان
قيل ما هذا الخطر الذي توجبون التفويض لاجله في الامور
فاعلم ان الخطر في الجملة خطران خطر الشك بانه يكون او لا يكون
وانك تصل اليه او لا تصل اليه وهذا يحتاج الى الاستثناء
ويقع في باب النية والامل والثاني خطر الفساد بان
لا تستيقن فيه الصلاح لنفسك وهذا الذي يحتاج فيه الى
التفويض ثم اختلفت عبارات الائمة في الخطر فعن بعضهم
ان الخطر في الفعل هو ان يكون دونه نجاة ويمكن ان يجامعه
ذنب فالايمان والسنة والاستقامة لا خطر فيها عند الفعل اذ لا يمكن
دون الايمان نجاة والاستقامة لا يجامعها ذنب فاذاً يصح
ارادة الايمان والاستقامة بالحكم وقال الاستاذ رحمه الله
الخطر في الفعل ما يمكن ان يعرض فيه ما يكون الاشتغال
بالعارض مبتدأ اولى من الاقدام على ذلك الفعل وذلك يقع في
المباحات والسنن والفرائض الا ترى ان من تضيق عليه
وقت الصلوة وقصد اداءها فقصده حريق او غريق يمكنه
انقاذه فالاشتغال بانقاذه اولى من الاقبال على صلوته فلا يصح
اذاً ارادة المباحات والنوافل والكثير من الفرائض بالحكم

فان

فان قيل كيف يصح ان يفرض الله سبحانه على عبده شيئا و
يوعده على تركه ثم لا يكون له صلاح في فعله فاعلم ان شيخنا رحمه الله
قال ان الله لا يامر العبد بشيء الا وفيه صلاحه اذا تجرد عن
العوارض ولا يضيق عليه فعلا فرضا بحيث لا معدل له
عن ذلك الا وله فيه صلاح وانه ربما يسبب الله تعالى عذرا
لاجله يكون العدول عن احد المامورين اولى من الاشتغال
بالاخر كما ذكرنا فيكون العبد في ذلك معذورا بل ماجورا
لا بترك هذا الفرض بل الفعل الفرض الذي هو اولى ولقد
سمعت الامام رحمه الله في هذه المسئلة ان ما فرض الله
سبحانه على عباده من الصلوة والحج والصوم ونحوه ففيها
صلاح لا محالة للعبد وصحت ارادتها بالحكم فاتفق رأينا
على ذلك فبقي النوافل والمباحات اذاً في هذا الحكم فاعلم
ذلك فانه من غوامض الباب وبالله التوفيق فان قيل هل
يامر المفوض الهلاك والفساد والادبار محنة فاعلم ان
في الاغلب لا يفعل بالمفوض الا الصلاح وقد يفعل به في
النادر غير الصلاح ولذلك ربما يخذله فيقع من منزلة التفويض
ولا صلاح للعبد في الخذلان والوقوع من منزلة التفويض وبه
قال الشيخ ابو عمرو رحمه الله وقيل لا يفعل بالمفوض الا ما فيه
صلاحه فيما فوض الى الله تعالى والخذلان والقصور عن منزلة

التفويض مما لا يقع فيه التفويض اذ لا شك في فساد ذلك
والتفويض انما يقع فيما يشك في فساده وصلاحه وهذا
اولى القولين عند شيخنا رحمه الله اذ لولا ذلك لما فوتت
الباعثة على التفويض فان قيل فهل يجب ان يفعل بالمفوض
ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل في حق الله سبحانه
ولا يجب لعباده عليه شيء وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل
حكمة فعله الا ترى انه قدر للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
ان يناموا طول الليل الى طلوع الشمس في بعض الاسفار حتى
فاتتهم صلوة الليل وصلوة الفجر والصلوة افضل من النوم
وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة في الدنيا وان كان الفقر افضل
ويقدر له الاشتغال بالاولاد والازواج وان كان التجرد
لعبادة الله افضل فانه لعباده خبير بصير وهذا كما ان الطبيب
الحاذق الناصح يختار للمريض ماء الشعير وان كان ماء السكر
افضل وانفس لما علم ان لا صلاح علته في ماء الشعير والمقصود
للعبد النجاة من الهلاك لا الفضل والشرف مع الفساد
والهلاك فان قيل هل يكون المفوض مختارا فاعلم ان الصحيح
عند علمائنا رحمهم الله انه يكون مختارا ولا يقدح في تفويضه
وذلك ان المعنى فيه اذا كان له صلاح في المفضول والافضل
فهو يريد من الله تعالى ان يسبب له الافضل كما ان المريض يقول

للطبيب

للطبيب اجعل دوائي ماء السكر دون ماء الشعير اذا كان
لي صلاح في كليهما ليحصل لي الفضل والصلاح جميعا فكذلك
العبد اذا سأل الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويسبب
له ذلك ليجمع له الفضل والصلاح جميعا ولكن بشرط انه ان
اختار الله له الصلاح في غير الافضل ان يكون راضيا بذلك
فان قيل فلما ذا كان للعبد ان يختار الافضل وليس له
ان يختار الاصلح فاعلم ان الفرق بينهما ان العبد يعرف
الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ليريده
بالحكم ثم معنى اختياره الافضل ان يريده من الله تعالى ان يجعل
صلاحه فيما هو الافضل ويختار له ذلك ويقدره لا لانه للعبد لا ان له
تحكما في شيء من ذلك فاعلم فهذه جملة من دقيق هذا العلم واسراره
ولولا ان الحاجة مست اليه لما تعرضنا لايراده لانه يلاطم
بحار علوم المكاشفة مع انني اقتصرت على النكت المقنعة
في هذا الباب وقصدت الايضاح لينتفع به فحول العلماء
والمبتدئون ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق العارض
الثالث القضاء وورود انواعه وانما كفايته في الرضا به
فعليك ان ترضى بقضاء الله عز وجل وذلك لامرين احدهما
لتفرغ للعبادة لانك اذا لم ترض بالقضاء فتكون مهموما
مشغول القلب ابدا بانه لم كان كذا ولماذا لا يكون كذا

العارض الثالث

فاذا اشتغل القلب بشيء من ذلك الهموم كيف يتفرغ للعبادة
اذ ليس لك الا قلب واحد وقد ملأته من الهموم وما كان
وما يكون من امر الدنيا فاي موضع يبقى فيه لذكر العبادة وفكر
الآخرة ولقد صدق شقيق رحمه الله في قوله ان حسرة الامور
الماضية وتدبير الآتية قد ذهبت ببركة ساعتك هذه والثاني
من الاخطار ما في السخط من غضب الله تعالى ولقد روي
في الاخبار ان نبيا من الانبياء عليهم السلام شكا بعض ما ناله
من المكروه الى الله سبحانه فاوحى الله تعالى اليه اتشكوني ولست
باهل ذم ولا شكوى هكذا بدو شأنك في علم الغيب فلم تسخط
قضائي عليك اتريد ان اغير الدنيا لاجلك وابدل اللوح
المحفوظ بسببك فاقضي ما تريد دون ما اريد ويكون ما تحب
دون ما احب فبعزتي حلفت لئن تلجلج هذا في صدرك مرة
اخرى لاسلبنك ثوب النبوة ولاوردنك النار ولا ابالي
قلت فليستمع العاقل هذه السياسة العظيمة والوعيد الهائل
مع انبيائه واصفيائه فكيف مع غيرهم ثم استمع ما يقول
لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى فهذا في حديث النفس وتردد
القلب فكيف بمن يصرح ويستغيث ويشكو وينادي بالويل
والصراخ من ربه على رؤوس الملأ ويتخذ له اعوانا واصحابا وهذا
لمن يسخط مرة فكيف بمن هو في السخط على الله عز وجل جميع عمره

وهذا

المقضيات اربعة

وهذا لمن شكا اليه فكيف بمن شكا الى غيره نعوذ بالله
من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ونسأله ان يعفو عنا
ويغفر لنا سوء آدابنا ويصلحنا بحسن نظره انه ارحم الراحمين
فان قيل فما معنى الرضى بالقضاء وحقيقة ذلك وحكمه فاعلم
ان علماءنا قالوا الرضى ترك السخط والسخط ذكر غير ما قضى
الله تعالى بانه اولى به واصلح له فيما لا يستيقن صلاحه وفساده
وهذا شرط فيه فاعلم ذلك فان قلت اليس الشرور والمعاصي
بقضاء الله تعالى وقدره وكيف يرضى العبد الشر ويلزمه ذلك
فاعلم ان الرضى انما يلزم بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر وانما
الشر هو المقضي فلا يكون رضى بالشر وقد قال شيوخنا رحمهم الله
المقضيات اربعة نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضى
فيها بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه الشكر من حيث انه
نعمة واظهار المنة عليه بابداء اثر النعمة والشدة يجب ايضا الرضا
فيها بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه الصبر من حيث انه
شدة والخير يجب ايضا الرضا فيه بالقاضي والقضاء والمقضي
ويجب عليه ذكر المنة من حيث انه خير وفقه له والشر يجب عليه
فيه الرضا بالقاضي والقضاء والمقضي من حيث انه مقضي لا من
حيث انه شر وكونه مقضيا يرجع الى القضاء والقاضي بالحقيقة
وهذا كما انك ترضى مذهب المخالف ان يكون معلوما لك لا ان

يكون مذهبا لك ثم كونه معلوما يرجع الى العلم فالرضا والمحبة
انما يكون بالحقيقة للعلم بمذهب المخالف لا المذهب فكذلك الرضى
بالمقضى فان قيل فالرضى هل يكون مستزيدا قيل له نعم بشرط
الخير والصلاح دون الحكم فلا يخرجه ذلك عن الرضا بل ان يدل
على الرضا فهو اولى لان من احبه شيئ ورضى ذلك استزاد منه
وكان صلى الله عليه وسلم اذا حضر اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه
وزدنا منه وفي غيره يقول وزدنا خيرا منه وفي موضع من المواضع
لم يدل على انه غير راض بما قدر الله تعالى له من ذلك فان قلت
فلم يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم الاستثناء من شرط الخير والصلاح
فاعلم ان هذه الاصول انما تكون بالقلب وانما يقال باللسان الامور
عبارة عن ذلك فلا معتبر بترك عبارته مع حصوله في القلب
فاعلم ذلك العارض الرابع الشدايد والمصائب وانما كفايتها
بالصبر فعليك بالصبر في المواطن وانما ذلك لامرين احدهما
الوصول الى العبادة وحصول المقصود منها فان مبنى امر العبادة
كله على الصبر واحتمال المشقات فمن لم يكن صبورا لم يصل الى
شيئ منها بالحقيقة وذلك ان من قصد عبادة الله تعالى وتجرد
لها استقبلته شدايد ومحن ومصائب من وجوه احدها انه لا عبادة
الا وفي نفسها مشقة ولذلك كل هذا الترغيب فيه ووعد الثواب كان لها
عليه اذ لا يتأتى فعل العبادة الا بقمع الهوى وقهر النفس اذ هي زاجرة

عن الخير

عن الخير ومخالفة الهوى وقهر النفس من اشد الامور على الانسان
وثانيها ان العبد اذا فعل الخير مع المشقة لزمه الاحتياط له حتى
لا يفسد عليه والانقاء على العمل اشد من العمل وثالثها ان الدار
دار المحنة فمن كان فيها فلا بد له من الابتلاء بشدايدها ومصايبها
وذلك اقسام فمنها المصيبة في الاهل والقرابات والاخوان
والاصحاب بالموت والفراق والفقد وفي النفس بانواع الامراض
والاوجاع وفي العرض بقتال الناس اياه والطعن فيه
والازدراء به والغيبة والكذب عليه وفي المال بالذهاب
والزوال والتلف واحد من هذه المصائب لونه وحرقة من نوع
اخر فيحتاج الى الصبر عليها كلها والا فيمنعه الجزع والتلهف من
التفرغ للعبادة ورابعها ان طالب الاخرة اشد ابتلاء واكثر
محنة ابدا ومن كان الى الله تعالى اقرب فالمصائب له في الدنيا
اكثر والبلاء عليه اشد اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم اشد الناس
بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل فاذا من قصد
الخير وتجرد لطريق الاخرة استقبلته هذه المحن فان لم يصبر عليها
ولا يكون بحيث لا يلتفت اليها انقطع عن الطريق فاشتغل
عن العبادة فلا يصل الى شيئ من ذلك ولقد اعلمنا الله تعالى
بالتقاء المحن والمصائب وابتلائنا بها وحقق ذلك واكده
فقال لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا

الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ثم قال جل من
قائل وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فكأنه يقول
وطنوا انفسكم على انه لابد لكم من انواع البلايا فان تصبروا فانتم
الرجال وعزائمكم عزائم الرجال فاذا من عزم على عبادة الله تعالى
يجب اولا ان يعزم على الصبر الطويل ويوطن نفسه على احتمال
المشاق العظيمة المتوالية الى الموت والا فقد قصد لامر بغير الته
واتاه من غير وجهه ولقد ذكر عن الفضيل رحمه الله انه قال من
عزم على قطع طريق الاخرة فليجعل في نفسه اربعة الوان من الموت
الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت الابيض الجوع
والاسود ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان والاخضر الوقايع
بعضها على بعض والثاني من الامرين ما في الصبر من خير الدنيا
والاخرة فمن ذلك النجاة والنجاح قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب معناه ومن يتق الله بالصبر يجعل له مخرجا
من الشدايد ومنها الظفر على الاعداء قال الله تعالى فاصبر ان العاقبة
للمتقين ومنها الظفر بالمراد قال الله تعالى وتمت كلمة ربك
الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقيل كتب يوسف في
جواب يعقوب عم ان اباك صبروا فظفروا فاصبر كما صبروا
تظفر كما ظفروا وفي هذا المعنى • لا تيأسن وان طالت مطالبة •
اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا • اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته •

ومنها

بلغ

ومنه من الفزع لا بواب ان يلجأ • ومنها التقدم على الناس
والامامة قوله تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا و
منها الثناء من الله تعالى [قال سبحانه] انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
ومنها البشارة والصلوة والرحمة قال الله تعالى وبشر الصابرين
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
ومنها المحبة من الله تعالى قال سبحانه ان الله يحب الصابرين ومنها
الدرجات العلى في الجنة قال الله تعالى اولئك يجزون الغرفة
بما صبروا ومنها الكرامة العظيمة قوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار ومنها ثواب بلا غاية ولا نهاية خارجا عن
اعداد الخلق واوهامهم قوله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب فسبحانه من سيد ماجد ما اكرمه كل هذه الكرامات
في الدنيا والاخرة يعطي عبده على صبر ساعة فبان لك ان خير
الدنيا والاخرة في الصبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطي
احد من عطاء خيرا واوسع من الصبر وعن عمر رضي الله عنه جميع خير المؤمنين
في صبر ساعة واحدة ولقد احسن القائل • الصبر مفتاح ما يرجى •
وكل خير به يكون • اصبر وان طالت الليالي • فربما امكن الحرون •
وربما نيل باصطبار • ما قيل هيهات لا يكون • والقائل ايضا •
صبرت وكان الصبر مني سجية • وحسبك ان الله اثنى على الصبر •

سا صبر حتى يحكم الله بيننا ، فاما الى عسر واما الى يسر ، فعليك
باغتنام هذه الخصلة الشريفة وبذل المجهود فيها تكون من الفائزين
والله تعالى ولي التوفيق برحمته فان قلت فما حقيقة الصبر وحكمه
فاعلم ان لفظة الصبر من طريق اللغة معناه الحبس قال الله تعالى
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم اي احبس نفسك فانما
يوصف الله تعالى بالصبر على معنى حبس العذاب عن المجرمين فلا يعجلهم به
ثم المعنى الذي هو من مساعي القلب سمي صبرا لانه حبس النفس عن
الجزع والجزع فيما قاله العلماء ذكر اضطرابك في الشدة وقيل بل
ارادة الخروج من الشدة بالحكم والصبر تركه وحصن الصبر ذكر مقدار
الشدة ووقتها وانها لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتاخر
ولا فائدة في الجزع بل فيه الضرر والخطر وحصن هذا الحصن ذكر
حسن عوض الله تعالى عليه وكريم الذخر في ذلك لديه فهذه هذه

فصل فعليك بقطع هذه العقبة الشديدة المنيعة بدفع هذه
العوارض الاربعة وازاحة عللها والا فلا تدعك تذكر مقصودك
من العبادة وتتفكر فيها فضلا عن ان تدركها وتحصلها وان لكل
واحد منها شغلا شاغلا عاجلا واجلا ثم ان اعظمها واعضلها امر
هذا الرزق وتدبيره فانه البلية الكبرى لعامة الخلق اتعبت
نفوسهم وشغلت قلوبهم واكثرت همومهم وغمومهم وضيعت
اعمارهم واعظمت تبعتهم واوزارهم وعدلت بهم عن باب الله سبحانه

[illegible]

وخدمته الى خدمة الدنيا وخدمة المخلوقين فعاشوا في الدنيا
في غفلة وظلمة وتعب ونصب ومهانة وذل وقدموا الاخرة
مفالسين بين ايديهم الحساب والعذاب ان لم يرحم الله تعالى
فانظر كم من اية انزل الله تعالى في ذلك وكم ذكر من وعده وضمانه
وقسمه على ذلك ولم يزل الانبياء عليهم السلام والعلماء يعظون
الناس ويبينون لهم الطريق ويصنفون لهم الكتب و
يضربون لهم الامثال ويخوفونهم بالله تعالى وهم مع ذلك
لا يهتدون ولا يثقون ولا يطمئنون بل هم في غمرة من ذلك لا يزالون
يخافون ان يفوتهم غداء او عشاء واصل ذلك كله قلة التدبر
في ايات الله سبحانه وقلة التفكر في صنايع الله تعالى وترك
التذكر لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك التامل
لاقوال الصالحين مع الاسترسال لوساوس الشيطان و
الاصغاء الى كلام الجاهلين والاغترار بعادات الغافلين حتى
تمكن الشيطان منهم ورسخت العادات في قلوبهم فتاديهم
ذلك الى ضعف القلب ورقة اليقين واما الاخيار الذين هم
اولو الابصار وارباب الجد والاجتهاد ابصروا طريق السماء
فلم يعبؤا باسباب الارض واعتصموا بحبل الله فلم يكترثوا بعلائق
الخلق وتيقنوا بايات الله تعالى وابصروا طريقه فلم يلتفتوا الى
وساوس الشيطان والخلق والنفس فاذا وسوس لهم الشيطان

او نفس او انسان بشيء قاموا بالمشاقة والمدافعة والمخالفة
حتى ولى الخلق منهم واعتزل عنهم الشيطان وانقادت لهم النفس
واستقام لهم الطريق المستقيم على ما ذكر عن ابراهيم بن ادهم
رحمه الله انه لما اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان فخوفه
بان هذه بادية مهلكة ولا زاد معك ولا سبب فعزم على نفسه
ان يقطع البادية على تجرده ذلك وان لا يقطعها حتى يصلي
تحت كل ميل من اميالها الف ركعة وقام بما عزم عليه وبقي
في البادية اثنتي عشرة سنة حتى ان الرشيد حج في بعض تلك
السنين فراه تحت ميل يصلي فقيل له هذا ابراهيم بن ادهم
فاتاه فقال كيف تجدك يا ابا اسحق فانشا ابراهيم يقول
نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع فطوبى
لعبد اثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع وعن بعض الصالحين
رحمه الله انه كان في بعض البوادي فوسوس اليه الشيطان
بانك متجرد وهذه بادية مهلكة لا عمران فيها ولا ناس فعزم على
نفسه بان يمضي على تجرده ذلك وان يترك الطريق حتى لا يجتمع
باحد من الناس ولا ياكل شيئا حتى يجعل في فيه السمن والعسل ثم
عدل عن الطريق وتوجه على وجهه قال رحمه الله فسرت ما شاء الله
فاذا بقافلة قد ضلت الطريق وهم يسيرون فلما ابصرتهم
رميت بنفسي الى الارض لعلهم لا يبصروني فيسترهم الله تعالى حتى

وقفوا

وقفوا على فغمضت عيني فدنوا مني وقالوا هذا منقطع و
قد غشي عليه من الجوع والعطش فهاتوا سمنا وعسلا نجعله في
فيه لعله يفيق فاتوا بالسمن والعسل فشددت فمي واسناني
فاتوا بالسكين فعالجوا فمي حتى يفتحوه فضحكت وفتحت
فاي فلما راوا ذلك قالوا المجنون انت قلت لا والحمد لله تعالى
واخبرتهم ببعض ما جرى لي مع الشيطان وعن بعض مشايخنا
قال نزلت في بعض اسفاري ايام التعليم مسجدا وكنت متجردا
على عادة اوليائنا فوسوس الي الشيطان بان هذا المسجد
بعيد عن الناس لو صرت الى مسجد بين الناس يدرك اهله
وقاموا بكفايتك فقلت لا ابيت الا هاهنا وعلي عهد الله
ان لا اكل شيئا الا الحلو ولا اكله حتى يوضع في فمي لقمة لقمة
فصليت العتمة عشا واغلقت الباب فلما مضى صدر من الليل
اذا انا بانسان يدق الباب ومعه سراج فلما اكثر الدق
فتحت الابواب فاذا بعجوز معها شاب فقد دخلت
فوضعت بين يدي طبقا من الخبيص وقالت هذا الشاب
ولدي صنعت له هذا الخبيص وجرى مني كلام فحلفت انه لا ياكل
حتى ياكل معه رجل غريب او قالت هذا الغريب الذي في
المسجد فكل رحمك الله واخذت تضع في فمي لقمة وفي فم
ولدها لقمة فهذه وامثالها من مجاهدات الصالحين ومن قضاياهم

للشيطان فان لك في ذلك فوائد ثلث احدها ان تعلم ان
الرزق لا يفوت من قدر له بحال والثانية ان تعلم ان امر
الرزق والتوكل لمهم جدا وان للشيطان فيه غوائل ووساوس
عظيمة حتى ان مثل اولئك الائمة الزهاد لم يتخلصوا من ذلك
ولم ييأس منهم الشيطان بعد طول تلك الرياضات وكثرة
المجاهدات التي سبقت لهم حتى يحتاجوا الى دفعه بهذه المناقضات
ولعمري ان من جاهد النفس والشيطان سبعين سنة لا يأمن
ان يوسوساه كما يوسوسان للمبتدي في العبادة بل للغافل لم يجتهد
ساعة في الرياضة ولو ظفرا به لفضحاه واهلكاه هلاك الغافلين
المغترين وفي ذلك عبرة لاولي الابصار والثالثة ان تعلم ان
الامر لا يتم الا بالجد المحض والمجاهدة البالغة فانهم كانوا لحما و
دما وبدنا وروحا مثلك بل كانوا اخف ابدانا واضعف اركانا
وادق عظاما منك ولكن كانت لهم قوة العلم ونور اليقين
وهم امر الدين حتى قووا على مثل تلك المجاهدات والقيام بحق
تلك المقامات فانظر لنفسك رحمك الله وايانا وداوها من هذا
الداء المعضل لعلك تفلح ان شاء الله **فصل** ثم اعلم انه بعد هذه الجملة
انا نجد لك نكتا وجدتها بحيث تنكت في القلب اذا تذكرتها
وتكفيك مؤنة هذا الباب وتدعك على واضحة من الحق اذا تاملتها
وعملت بها وبالله التوفيق الاولى ان تعلم ان الله تعالى ضمن رزقك

في كتابه

في كتابه وتكفل لك به وما تقول لو وعدك ملك من ملوك
الدنيا انه يضيفك الليلة ويبعث لك الدهر وانت حسن
الظن به انه صادق لا يكذب ولا يخلف الوعد بل لو وعدك
بذلك سوقي او يهودي او نصراني او مجوسي مستور عندك
بظاهره عفيف في معاملة السنة تثق بوعده وتطمئن
لقوله ولا تهتم لعشاء تلك الليلة اتكالا عليه فما لك
قد وعدك الله تعالى وضمن لك رزقك وتكفل بل اقسم عليه
في غير موضع وانت لا تطمئن بوعده ولا تسكن الى قوله
وضمانه ولا تنظر الى قسمه بل يضطرب قلبك وتهتم فيا لها
من فضيحة لو رأيت ويا لها من مصيبة لو علمت وعن علي
رضي الله عنه اتطلب رزق الله من عند غيره ° وتصبح من
خوف العواقب امنا ° وترضى بصراف وان كان مشركا °
ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا ° ولهذا المعنى يتجه هذا الامر
الى الشك والشبهة ويخاف على صاحبه والعياذ بالله سلب
المعرفة والدين ولهذا قال سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين وعلى الله فليتوكل المؤمنون فحسب المؤمن المهتم
لامر دينه هذه النكتة الواحدة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم الثانية ان تعلم ان الرزق مقسوم صح ذلك من كتاب
الله تعالى واخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم ان قسمته

لا تتغير ولا تتبدل واذا انكرت القسمة او جوزت نقضها فذلك
باب الكفر نعوذ بالله وان علمت انه حق لا يتغير فاي
فائدة في الاهتمام والطلب الا الذل والهوان في الدنيا
والشدة والحزن والخسران والحبس في الاخرة ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم مكتوب على ظهر الحوت والنوى رزق فلان
بن فلان فلا يزداد الحريص الا جهدا وفي ذلك يقول شيخنا رحمه
الله ان من قدر لماضغيك ان تمضغاه فلا يمضغه غيرك فكل
ويحك رزقك بالعز ولا تاكله بالذل وهذه نكتة مقنعة للرجال
الثالثة ما سمعت من شيخي الامام رحمه الله يحكي عن الاستاذ رحمه الله
انه كان يقول انه ما نفعني في امر الرزق الا ان تذكرت وقلت
لنفسي اليس هذا الرزق للحيوة والعيش والميت ما يصنع
بالرزق فاذا كان حياة العبد في خزانة الله تعالى وبيده ان شاء
ان يعطيني وان شاء يمنعني وهو غيب عني موكول الى الله تعالى
يدبره كيف يشاء وانا ساكن النفس بذلك وهذه نكتة لطيفة
مقنعة لاهل التحقيق الرابعة مما ذكرنا في هذا الفصل
ان الله تعالى ضمن رزق العبد ولم يضمن الا الرزق المضمون
الذي هو الغذاء والتربية وفيه القوام والعدة واما الاسباب
من الطعام والشراب فالعبد اذا تجرد لعبادة الله تعالى وتوكل
على الله سبحانه فربما يحبس عنه الاسباب ولا يعبأن بذلك ولا يضجر

لما علم

لما علم من حقيقة الامر ان الضمان لقوام البنية والتوكل على
الله انما هو في هذا المعنى لا غير والمنتظر من الله تعالى في هذا المعنى فانه
الله تعالى لا محالة يمده بالقوة والمعونة ليقوم بحق العبادة
والخدمة ما دام له اجل وتكليف بالعبادة وهذا هو المقصود
والله سبحانه قادر على ما يشاء ان شاء ان يقيم بنية عبده بطعام
وشراب او بطين وتراب او بتسبيح وتهليل كالملائكة
وان شاء بدون هذا كله فليس مطلوب العبد الا القوام
والقوة للعبادة ليس الاكل والشرب وشدة الشهوة
ونيل اللذة فلا اعتبار بالاسباب اذا ولهذا المعنى قويت
الزهاد والعباد على الاسفار وطي الليالي والايام فمنهم من
لم ياكل عشرة ايام ومنهم من لم ياكل شهرا او شهرين وهو
على قوته ومنهم من كان يستف الرمل فيجعله الله تعالى له غذاء نحو
ما ذكر عن سفيان الثوري رحمه الله انه نفدت نفقته بمكة
فمكث خمسة عشر يوما يستف الرمل وقال ابو معاوية الاسود
رايت ابراهيم بن ادهم ياكل الطين عشرين يوما وعن الاعمش
قال قال لي ابراهيم التيمي ما اكلت منذ شهر قلت منذ شهر قال
ولا شهرين الا ان انا شدني الله على عنقود من عنب
فاكلته فانا اشتكي بطني قلت فلا تعجبن من ذلك فان لله القدرة
على ما يشاء وهذا مريض تراه لا ياكل شهرا فهو حي يعيش والمريض

على كل حال اضعف نفسا وارق طبعا من الصحيح القوي واما الذي
يموت جوعا فذلك اجل حضره كالذي يموت شبعا وتخمة ولقد
بلغني عن ابي سعيد الخزري رحمه الله انه قال كان لي مع الله تعالى
ان يطعمني في كل ثلثة ايام فدخلت البادية فمضت على ثلثة
ايام ما طعمت فلما كان يوم الرابع وجدت ضعفا فجلست مكاني
فاذا انا بهاتف يقول يا ابا سعيد ايهما احب اليك سبب او قوة
قلت لا القوة فقمت من وقتي وقد استقللت فاقمت اثنى
عشر يوما ما طعمت ولا وجدت الما لذلك فاذا راى العبد
حبس الاسباب عنه وعلم من نفسه التوكل على الله فليستيقن
ان يمده الله تعالى بالقوة فلا يضجرن لذلك بل حقه ان يشكر الله
تعالى على ذلك شكرا كثيرا فان له المنة والصنع واللطف اذا
رفع عنه المؤنة واعطاه المعونة وحصل له الاصل والمقصود
ودفع عنه الثقل والواسطة وخرق له علايق العادة واراه
طريق القدرة وان شبه حاله بحال الملائكة ورفعه عن حال البهائم
والعامة في تلك الكرامة فتامل هذا الاصل الكبير تغنم الربح العظيم
ان شاء الله تعالى قلت ولعلك ان تقول انك اطنبت في هذا الاصل
خلاف شرط الكتاب فاقول لعمر الله انه لقليل في جنب ما يحتاج اليه
في هذا المعنى اذ هو اهم شان في العبادة بل عليه مدار امر الدين والدنيا
والعبودية فمن له همة في هذا الشان فليستمسك بذلك وليراعيه

حقه

حقه والا فهو عن المقصود بمعزل والذي يدلك على بصيرة علمائنا
الاخرة العارفين بالله انهم بنوا امرهم على التوكل على الله تعالى
والتفرغ لعبادة الله وقطع العلايق كلها فلم يصنفوا من كتاب
وكم اوصوا بوصية وقيض الله سبحانه لهم اعوانا من السادة
واصحابا يبتغي لهم من الخير المحض ما لم يتيسر لطايفة من طوايف
الامة الا زهاد الكرامية على اصول غير مستقيمة ومايزال اعزة
مادمنا على منهاج ائمتنا يخرج من معابدنا ومدارسنا كل حبر
امام في العلم كالاستاذ ابي اسحق وابي حامد وابي الطيب
وابن فورك وشيخي الامام وامثالهم من السادة واما صديق
في العبادة كابي اسحق الشيرازي وابي سعيد الصوفي ونصر المقدسي
وغيرهم ممن فاق الامة علما وزهدا حتى ضعفت القلوب
من بعضنا وتلطخنا بشيء من العلايق التي ضرها اكبر من نفعها فتراجعت
الامور وتقاعدت الهمم وطارت البركات وزالت اللذات
والحلاوات فلا يكاد يصفو لاحد عبادة او يحصل له علم او حقيقة
فان اللمعة التي تظهر منا الان ليست ممن بقي على منهاج اسلافنا
وشيوخنا المتقدمين كالحارث المحاسبي ومحمد بن ادريس الشافعي
والمزني وحرملة وغيرهم من ائمة الدين رضي الله عنهم اجمعين فما
صبحوا الايام الا تعففا وما وجدوا من حب سيدهم بدا فاضحك
صديقين اهل الولاية الى سيد السادات قد جعلوا القصد

تحلّ عقد الصبر من كل صابر وما حلّت الايام من عقدهم عقداً
فكنّا في الصدر الاوّل ملوكاً فصرنا سوقةً وكنّا فرساناً فصرنا
رجّالةً وليتنا لا ننقطع عن الطريق بمرّة والله المستعان على
المصائب والمسؤول ان لا يسلبنا هذا الرمق انّه جواد كريم
منّان رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واما التفويض
فتأمّل فيه اصلين احدهما انك تعلم ان الاختيار لا يصحّ الا لمن
كان عالماً بالامور بجميع جهاتها ظاهرها وباطنها حالها وعاقبتها
والا فلا يأمن ان يختار الفساد والهلاك على ما فيه الخير والصلاح
الا ترى انك لو قلت لبدوي او قروي غنم انتقد لي هذه الدراهم
وميّز بين جيدها ورديها فانه لا يهتدي لذلك ولو قلت لسوقي
غير صيرفي فربّما تعثّر ايضا فلا تأمن اذاً الا بان تفوّضها على
الصيرفي الخبير بالذهب والفضة وما فيهما من الخواص والاسرار
وهذا العلم المحيط بالامور من جميع الوجوه لا يصلح الا لله رب
العالمين فلا يستحق اذاً احد ان يكون له الاختيار والتدبير الا
لله وحده لا شريك له ولذلك يقول عزّ وجلّ من قائل وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ثم قال عز وجل وربك
يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وحكي ان بعض الصالحين قيل له
عن الله عز وجل سل تعطَ وكان موفقاً وقال ان عالماً بجميع
الوجوه يقول لجاهل من جميع الوجوه سل تعطَ الشيء اعلم ماذا

يصلح

يصلح لي فاسئله ولكن اختر انت لي فهذه هذه والاصل
الثاني ما تقول لو ان رجلاً قال لك اني اقوم بجميع امورك
وادبّر ما تحتاج اليه من مصالحك فوّض الامر كلّه اليّ واشتغل
انت بشأنك الذي يعينك في عاقبتك وهو عندك اعلم
اهل زمانك واحكمهم واقواهم وارجحهم وانفاهم واصدقهم
واوفاهم الست تغتنم لذلك وتعدّه اعظم نعمة وتمتن منه
اكبر منّة وتقدّم له اوفر شكر واجمل ثناءك ثم اذا اختار
لك شيئاً لا تعرف وجه الصلاح فيه فلا تضجر لذلك بل تثق و
تطمئن الى تدبيره وتعلم انه لا يختار لك الا ما هو الخير وما يخطّ لك
الا الصلاح كيف ما كان الامر بعد ما وكلت الامر اليه وضمن
ذلك فيك لك اذاً ان تفوّض الامور الى رب العالمين سبحانه وهو
الذي يدبّر الامر من السماء الى الارض اعلم من كل عالم واقدر من كل قادر
وارحم كل راحم واغنى كل غني ليختار لك بلطيف علمه وحسن تدبيره
ما لا يبلغه علمك ولا يدركه فهمك وتشتغل انت بشأنك الذي
يعينك في عاقبتك واذا اختار لك امراً لا تعلم وجه سرّه رضيت
بذلك واطمأننت اليه كيف ما كان هو الصلاح والخير فتأمّل
رشداً ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق واما الرضى بالقضاء فتأمّل
فيه اصلين مقنعين لا مزيد عليهما احدهما ما في الرضا من الفائدة
في الحال والمآل اما الفائدة الحالية ففراغ القلب وقلّة الهمّ

من غير فائدة ولذلك قال بعض الزهاد رحمه الله اذا كان القدر
حقًا فالهم فضل ومثله الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لابن مسعود ليقل همك ما قدر يكن وما لم تُرزق لم يأتك
وهذا هو الكلام الجامع النبوي البالغ في قلة اللفظ وكثرة المعنى
واما الفائدة في المآل فثواب الله تعالى ورضوانه قوله تعالى رضي الله
عنهم ورضوا عنه وفي السخط من الهم والضجر في الحال والوزر و
العقوبة في الآخرة بلا فائدة اذ القضاء نافذ فلا ينصرف بهمك
وسخطك كما قيل ما قد قضى يا نفس فاصطبري له ولك الامان
من الذي لم يقدر وتيقني ان الذي هو كائن لا بد منه صبرت
ام لم تصبري والعاقل لا يختار الهم بلا فائدة مع الوزر والعقوبة
على راحة القلب وثواب الجنة والاصل الثاني ما في السخط
من عظيم الخطر والضرر والكفر والنفاق الا ان يتداركه الله تعالى
وتأمل قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدون في انفسهم حرجا ويسلموا تسليما نفى الايمان وقسم
عن من سخط قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف حال من
سخط قضاء الله تعالى وروينا ان الله تعالى عز وجل يقول من لم يرض
بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر لنعمائي فليتخذ الها سوائي
قيل كانه يقول هذا لا يرضاني ربا حتى يسخط فليتخذ ربا آخر يرضاه
وهذا غاية الوعيد والتهديد لمن عقل ولقد صدق بعض السلف

اذ اصل

اذ اصل ما العبودية والربوبية فعال الرب يقضي والعبد
يرضى فاذا قضى الرب ولم يرض العبد فما هناك ربوبية و
لا عبودية فتأمل هذا الاصل وانظر لنفسك لعلك تسلم
بعون الله تعالى وتوفيقه واما الصبر فانه دواء مر وشربة كريهة
مباركة تجلب كل منفعة وتدفع عنك كل مضرة واذا كان
الدواء بهذه الصفة فالانسان العاقل يكره النفس على شربه
وتجرعه ويقضي على مرارته وحدته ويقول مرارة ساعة وراحة
سنة فاما المنافع التي تجلبها فاعلم ان الصبر اربعة صبر
على الطاعة وصبر على المعصية وصبر عن فضول الدنيا وصبر على
المحن والمصائب فاذا احتمل مرارة الصبر فصبر في هذه المواطن
الاربعة حصلت له الطاعة ومنازلها من الاستقامة وثوابها
الجزيل في العاقبة ثم لا يقع في المعاصي وبلياتها في الدنيا و
تبعاتها في الآخرة ثم لا يشتغل بطلب الدنيا وما لها من الشغل في
الحال والتبعة في المآل ثم لا يحبط اجره على ما ابتلي به فذهب
فحصل اذا بسبب الصبر الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها
والتقوى والزهد والعوض والثواب الجزيل من الله تعالى وتفصيل
ذلك امر لا يعلمه الا الله تعالى واما دفع المضار فيريحه اولا من
مؤنة الجزع ومقاساته في الدنيا ثم وزره وعقوبته في العقبى
واما ان هو ضعف عن الصبر وسلك طريق الجزع فانه كل منفعة

ولحقه كل مضرة اذ لا يصبر على مشقة الطاعة فلا يفعل الطاعة
او لا يصبر على حفظها فيحبطها او لا يصبر على المواظبة عليها فلا يصل
الى منزلة شريفة فيها من درجات الاستقامة او لا يصبر على معصية
معصية فيقع فيها او فضول فيشتغل به او لا يصبر على مصيبة
فيحرم ثواب الصبر وربما يكثر الجزع حتى يفوت العوض بسبب
ذلك فيكون مصيبتان فوت الشيء وفوت الاجر والعوض
وحلول المكروه وحرمان الصبر وقد قيل حرمان الصبر على المصيبة
اشد من المصيبة واى فائدة فى شىء يذهب بالحاصل الموجود ولا يرد
عليك الذاهب المفقود واذا فاتك احدهما فلا يفوتك الاخر
ومن الكلام الجامع ما ذكر ان عليا رضى الله عنه عزى رجلا فقال
ان صبرت جرت عليك المقادير وانت ماجور وان جزعت
جرت عليك المقادير وانت مازور ثم اقول وجملة الامر ان قطع
القلب عن العلائق المالوفة وقلع النفس عن العادات الراسخة
بالتوكل المحض على الله سبحانه وتعالى وترك التدبير فى الامور
وتفويضها الى الله عز وجل من غير علم بما هو السر فيها وكبح النفس
عن السخط والجزع مع تسارع النفس اليه واكراهها على لجام الرضى
وتجرع شربة الصبر مع نفورها عن ذلك لامر مر وعلاج شديد
وحمل ثقيل ولكنه تدبير سديد وطريق مستقيم وله عاقبة محمودة
واحوال سديدة مسعودة وما تقول فى الوالد المشفق الغنى اذا

منع

منع ولده الصغير رطبة او تفاحة يأكلها وهو اربد وسلمه
الى المعلم الغليظ اليابس وحبسه طول النهار عنده يعجزه
او حمله الى الحجام ليحجمه فيوجعه ويقلقه اترى انه ذلك من بخل فيه كيف
وهو يعطي الاجانب ويوسع عليهم او هو انه يهين الولد كيف
وهو يكتب له جميع ما في يده او قصد بذلك اتعابه وايذاءه لبغض
له كيف وهو قرة عينه وثمرة فؤاده ولو هبت عليه ريح لو...
عليه كلا ولكن لما علم ان صلاحه فى ذلك وان بهذا التعب
القليل يصل الى خير كثير ونفع عظيم وما تقول فى الطبيب الحاذق
الناصح المحب اذا منع المريض الدنف شربة من ماء وهو ظمآن
تتلظى كبده وسقاه شربة اهليلج كريهة تجرع عن ذلك انفه وطبعه اترى
ان ذلك منه معاداة او اذى كلا بل هو نصح واحسان لما علم
يقينا ان فى اعطائه شهوته ساعة هلاكه وفى اعطائه ... وفى
منع ذلك شفاؤه وبقاؤه فتامل ايها الرجل اذا حبس الله تعالى
منك رغيفا او درهما فتعلم يقينا انه يملك ما تريد ويقدر على ايصاله
اليك وله الجود والفضل ويعلم حالك فلا يخفى عليه شىء فلا عدم
ولا عجز ولا خفاء ولا بخل تعالى عن ذلك وتقدس فانه اغنى الاغنياء واقدر
القادرين واعلم العلماء واجود الاجودين فتعلم اذا بالحقيقة انه
لم يمنعك الا لصلاح واختيار كيف وهو الذى يقول خلق لكم
ما فى الارض جميعا كيف وهو الذى جاد عليك بمعرفته وهى التى

تسلا شيء في جنبها الدنيا بأسرها وفي الخبر المشهور ان الله سبحانه
يقول اني لأذود اوليائي عن نعيم الدنيا كما يذود الراعي الشفيق
ابله عن مبارك الغرة واذا ابتلاك بشدة فاعلم يقينا انه
غني عن امتحانك وابتلائك عالم بحالك بصير بضعفك وهو بك
رؤف رحيم اما تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الله ارحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها فاذا علمت انه لم ينزل
بك هذا المكروه الا لصلاح لك جهلته انت وهو عالم بذلك ولهذا
المعنى تراه يكثر ابتلاء اوليائه واصفيائه الذين هم اعز عباده
حتى قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله تعالى قوما ابتلاهم و
يقول اشد الناس بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل
فاذا رايت الله عز وجل يحبس عنك الدنيا ويكثر عليك الشدائد
والبلوى فاعلم انك عنده عزيز وانك عنده بمكان كبير انه يسلك
بك طريق اوليائه فانه يراك ولا يحتاج الى ذلك اما تسمع قوله
تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا بل اعرف منته عليك فيما
يحفظ عليك من صلاحك ويكثر من اجرك وثوابك وينزلك
منازل الابرار والاعزة عنده وكم ترى من عواقب حميدة ومواهب
كريمة والله ولي التوفيق والهداية بمنه وفضله فصل وبالجملة
اذا علمت يقينا ان الله تعالى المليّ بضمان رزقك الذي لابد
لك منه في بقائك وقيامك بعبادته وانه القادر على ما يشاء كيف

يشاء

يشاء وهو البصير بحاجتك حالا فحالا ساعة فساعة الكفيل
على ضمانه الحق ووعده الصدق وسكن قلبك بذلك واخرجت
عن ذكر العلائق والاسباب وتعليق قلبك بها اذ العلائق
لا تغنيك ولا تكفيك دون الله تعالى فانه عز وجل يسر اكلها
وشربها ثم هو الذي يمرئها ويهضمها ثم هو الذي يلحقك قوتها و
نفعها ويدفع عنك ثقلها وضررها وهو تعالى يغنيك ويكفيك
دونها اذا شاء فالامر كله اليه وحده لا شريك له فتوكل عليه
لا غيره وكذلك تترك التدبير في امورك على من يدبر السماء والارض
وتريح نفسك عن كل شيء لا يبلغه علمك ونظرك من امر يكون غدا
او لا يكون بانه كيف يكون وتكف عن لعل ولو اذ ليس فيه الا
شغل القلب وتضييع الوقت ولعله تكون امور لم تخطر
ببالك فيكون ما سبق من فكرك وتدبيرك وتضييعك الوقت
العزيز فيه لغوا بلا فائدة بل خسرانا مبينا تندم عليه وتغبن فيه
لمكانه شغل القلب وتضييع العمر وذلك وفي هذا المعنى لبعض
الزهاد رضي الله عنه ، سبقت مقادير الاله وحكمه ، فارح فؤادك
من لعل ومن لو ، وقال آخر ، سيكون ما هو كائن في وقته ، واخو
الجهالة متعب محزون ، فلعل ما تخشاه ليس بكائن ، ولعل
ما ترجوه ليس يكون ، وتقول لنفسك في الجملة يا نفس لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا هو مولانا وهو حسبنا ونعم الوكيل اذ هو قدير

لا نهاية لقدرته حكيم لا نهاية لحكمته رحيم لا نهاية لرحمته ومن
كان بهذه الصفة فحقيق أن يتكل عليه ويفوض الأمر كله إليه
فعليك بالتفويض وكذلك توطن قلبك على أن ما يقضي الله
لك فهو الأوفق والأصلح وإن ذلك لا يبلغ علمنا كيفيته وسره
وتقول يا نفس المقدور كائن لا محالة فلا فائدة في السخط والحيرة
فيما يصنع الله تعالى فلا وجه للسخط البتة تقولين رضيت بالله ربا
فكيف لا ترضين بقضائه والقضاء من شأن الربوبية وحقها
فعليك بالرضا وكذلك إذا أصابتك مصيبة وحل بك مكروه
فتراعي نفسك عند ذلك وتضبط قلبك حتى لا تجزع ولا تظهر
منه شكاية وقلق لا سيما عند الصدمة الأولى فإن الشأن
هنالك والنفس متسارعة جدا إلى عادة الجزع عند ذلك و
تقول عند هذه قد وقعت فلا حيلة لدفعها وقد دفع الله تعالى يا نفس صح
ما هو أكبر منها فإن أنواع البلاء في خزانته لكثيرة وإنه ستنقضي
فإنها سحابة ستنقشع فتجلدي يا نفس قليلا تجدي لذلك سرورا
طويلا وثوابا جزيلا بعد أن لا دفع للنازل ولا فائدة للجزع و
لا مصيبة في الحقيقة مع الثواب والصبر فيشتغل لسانك بالاسترجاع
وقلبك بذكر ما يحصل لك على الله تعالى من الأجر وتذكر صبر أولي
العزم على المصائب العظام من الأنبياء والأولياء والأعزة
على الله تعالى وإذا حبس عنك الدنيا في وقت وتقول يا نفس

هو أعلم بالحال وأرحم بك وأكرم بك فإنه الذي يطعم الكلب
في خسته ويطعم الكافر في عداوته وأنا عبده العارف الموحد
أساوي عنده رغيفا أيضا فاعلمي بالحقيقة أنه لم يحبس ذلك
عنك إلا لنفع عظيم وسيجعل الله بعد عسر يسرا فاصبري قليلا
ترى العجب من لطف صنعه أما سمعت قول القائل توقع
صنع ربك سوف يأتي بما تهواه من فرج قريب ولا تيأس
إذا ما ناب خطب فكم في الغيب من عجب عجيب ولآخر
يقول ألا أيها المرء الذي الهم به برح إذا اشتدت بك العسر
ففكر في ألم نشرح فعسر بين يسرين إذا ذكرته فافرح فإذا
جربت هذه الأذكار ونحوها وواظبت عليها بالتمرين والتكرير
فإن ذلك سيهون عليك إذا كانت لك همة واجتهاد
زمانا غير طويل ولقد دفعت هذه الأربعة العوارض عن نفسك
وكفيت مؤنتها وصرت عند الله تعالى من المتوكلين المفوضين
الراضين بقضائه الصابرين على بلائه وحصلت لنفسك
راحة القلب والبدن في الدنيا وعظيم الثواب والذخر في العقبى
وجليل القدر والمحبة عند رب العالمين ويجمع لك خير الدارين
ويستقيم لك طريق العبادة إذ لا عائق ولا شاغل وكنت ح
قد قطعت هذه العقبة العسيرة والله سبحانه المسؤول أن يمدك
وإيانا بحسن توفيقه فإن الأمر كله بيده وهو أرحم الراحمين

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العقبة الخامسة وهي
عقبة البواعث ثم عليك يا اخي بالسير اذا استقام لك الطريق
وسهلت السبيل فارتفعت العوائق وزالت العوارض و
لا يحصل لك السير المستقيم الا باستشعار الخوف والرجاء والتزامهما
حفظهما على حدهما اما الخوف فانما يجب التزامه لامرين احدهما
الزجر عن المعاصي فان هذه النفس امارة بالسوء مائلة الى
الشر طماحة الى الفتنة ولا تنتهي عن ذلك الا بتخويف عظيم و
تهديد بالغ وليست هي في طبعها حرة يحملها الوفاء ويمنعها الحياء
عن الجفاء وانما هي كما قال القائل العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه
الملامة والتدبير في امرها ان تقرعها ابدا بسوط التخويف
قولا وفعلا وفكرا نحو ما ذكر عن بعض الصالحين ان نفسه دعته
الى معصية فانطلق ونزع ثيابه وجعل يتمرغ في الرمضاء ويقول
لنفسه ذوقي فنار جهنم اشد حرا من هذه اي جيفة بالليل بطالة
بالنهار والثاني لئلا تعجب بالطاعات فتهلك بل تلحظها بالذم
والعيب والنقص من الاسواء والاوزار التي فيها ضروب
الاخطار وذلك نحو ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لو اني وعيسى اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذب
به احد واشار باصبعيه وعن الحسن انه كان يقول ما يأمن احدنا
ان يكون قد اصاب ذنبا فطبق باب المغفرة دونه فهو يعمل

في غير

في غير معتمل وعن ابن السماك فيما يعاتب نفسه تقولين قول
الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وفي الجنة تطمعين هيهات
هيهات ان للجنة اقواما اخرين ولهم اعمال غير ما تعملين
فهذه وامثالها مما يلزم العبد تذكيرها للنفس وتكريرها عليها
لئلا تعجب بطاعة او تقع في معصية وبالله التوفيق واما الرجاء
فانما يلزمك استشعاره لامرين احدهما للبعث على الطاعات
وذلك ان الخير ثقيل والشيطان عنه زاجر والهوى الى ضده
داع وحال اهل الغفلة من عامة الخلق في النفس منطبع ومشاهد
والثواب الذي يطلب به عن العين غائب والامد الى الوصول
اليه فيما تحسبه بعيد واذا كان الحال على هذه الحالة الى كلية
فلا تنبعث النفس للخير ولا تندعي اليه ولا ترغب فيه حقه ولا
له الا بامر يقابل هذه الموانع ويساويها بل يزيد عليها وذلك
الامر هو الرجاء القوي في رحمة الله تعالى والترغيب البالغ في حسن
ثوابه وكريم اجره ولقد قال شيخنا رحمه الله الحزن يمنع من الطعام
والخوف يمنع عن الذنوب والرجاء يقوي على الطاعات وذكر
الموت يزهد في الفضول والثاني ليهون عليك احتمال الشدائد
والمشاق فاعلم ان من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن
طلب له شيء ورغب فيه حق رغبته احتمل شدته ولم يبال
بما يلقى من مؤنته ومن احب احدا حق محبته احب البلاء احتمال

محنة حتى انه ليجد لتلك المحنة ضروبا من اللذة الا ترى ان عيار
العسل لا يفكر ولا يبالي بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة العسل
والاجير لا يعبأ بارتقاء السلم الطويل مع حمل الثقيل طول
النهار الصائف لما يتذكر من اخذ الدرهمين فان
الفلاح لا يفكر بمقاسات الحر والبرد ومباشرة الشقاء والكد
طول السنة لما يتذكر من البيدر وان الغلة وكذلك يا اخي
العباد الذين هم اهل الاجتهاد اذا تذكروا الجنة في طيب
مقيلها وانواع نعيمها من قصورها وحورها وطعامها وشرابها
وحليها وحللها وساير ما اعد الله لاهلها هان عليهم ما احتملوا
من تعب في عبادة او فاتهم في الدنيا من جاه او لذة او نعمة
او نالهم في الدنيا من ذلة او نقمة او نالهم من ضرر ومشقة ولقد
حكي عن بعض اصحاب سفيان الثوري رحمه الله عليه انهم كلموه
فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثاثة حاله فقالوا يا استاذ
لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك ايضا ان شاء الله تعالى
فقال سفيان كيف لا اجتهد فقد بلغني ان اهل الجنة يكونون
في منازلهم فيتجلى لهم نور تضيء له الجنان الثمانية فيظنون
ان ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين فينودي
ان ارفعوا رؤسكم ليس الذي تظنون انما هو نور جارية تبسمت
في وجه زوجها ثم انشا يقول ⁘ ما ضر من كانت الفردوس

مسكنه

مسكنه ⁘ ماذا تحمل من بوس واقتار ⁘ تراه يمشي كئيبا خائفا
وجلا الى المسجد يمشي بين اطمار ⁘ يا نفس ما لك من صبر على النار ⁘
قد حان ان تقبلي من بعد ادبار ⁘ قلت انا واذا كان مدار امر
العبودية على الامرين القيام بالطاعة والانتهاء عن المعصية
وذلك لا يتم مع هذه النفس الامارة بالسوء الا بترغيب
وترهيب وترجية وتخويف فان الدابة الحرون تحتاج
الى قائد يقودها والى سائق يسوقها واذا وقعت في مهواة
فربما تضرب بالسوط من جانب وتلوح لها بالشعير من جانب
آخر حتى تنهض وتتخلص مما وقعت فيه وان الصبي العرم
لا يمر الى الكتاب الا بترجية من الوالدين وتخويف من المعلم
فكذلك هذه النفس دابة حرون وقعت في مهواة الدنيا
فالخوف سوطها وسائقها والرجا شعيرها وقائدها وانما
الصبي العرم يحمل الى الكتاب العبادة والتقوى فذكر العقاب
والنار تخويفه وذكر الجنة وثوابها ترجيته وترغيبه فكذلك
يلزم العبد الطالب للعبادة والرياضة ان يسوق النفس
بالامرين الذين هما الخوف والرجا والا فلا تساعد النفس
الجموح على ذلك ولهذا المعنى اتى الذكر الحكيم بمجموع الامرين
الوعد والوعيد والترغيب والتهديد وابلغ في واحد منهما
فذكر من الثواب الكريم ما لا صبر عنه وذكر من العقاب الاليم

بالشعير ساق

ما لا صبر عليه فعليك اذا بالزام هذين المعنيين ليحصل لك
مرادك ويسهل عليك احتمال المشقة والله تعالى ولي التوفيق
والهداية بفضله فان قلت فما حقيقة الرجاء والخوف وحكمهما
فاعلم ان الخوف والرجاء عند علمائنا رحمهم الله يرجعان الى قبيل
الخواطر وانما المقدور للعبد مقدماتهما قالوا الخوف رعدة
تحدث في القلب عن ظن مكروه يناله والخشية نحوه ولكن
الخشية تقتضي ضربا من الاستعظام والمهابة وضد الخوف الجراءة
ولكن قد يقابل بالامن فيقال خائف وآمن لان الامن الذي
يجتري على الله تعالى سبحانه والحقيقة ان الجراءة تضاده ومقدمات
الخوف اربعة الاولى ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت وكثرة
الخصوم الذين مضوا الى المظالم وانت مرتهن لم يتبين لك
الخلاص بعد والثانية ذكر شدة عقوبة الله سبحانه وتعالى التي لا طاقة
لك بها والثالثة ذكر ضعف نفسك عن احتمالها والرابعة ذكر
قدرة الله تعالى عليك متى شاء وكيف شاء واما الرجاء فهو ابتهاج
القلب بمعرفة فضل الله سبحانه واسترواحه الى سعة رحمة الله تعالى
وهذا من جملة الخواطر غير مقدور للعبد ورجاء هو مقدور وهو تذكر
فضل الله تعالى وسعة رحمته وقد سمي ايضا ارادة المخاطرة بالاستثناء
رجاء والمراد من هذا الباب هو الاول وهو التذكر على حسب
الابتهاج والاسترواح وضده اليأس وهو تذكر فوات رحمة الله

تعالى وفضله

تعالى وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية محض
وهذا الرجاء فرض اذا لم يكن للعبد سبيل الى الامتناع عن اليأس
الآية والا فهو نفل بعد اعتقاد الجملة في فضل الله وسعة رحمته
ومقدمات الرجاء اربعة الاولى ذكر سوابق فضله اليك
من غير قدم او شفيع والثانية ذكر ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم
كرامته حسب فضله وكرمه دون استحقاقك اياه بالفعل
اذ لو كان على حسب الفعل لكان اقل شيء واصغره والثالثة
ذكر كثرة نعمه عليك من امر دينك ودنياك في الحال من انواع
الامداد والالطاف من غير استحقاق او سؤال والرابعة ذكر
سعة رحمة الله تعالى وسبقها غضبه وانه الرحمن الرحيم الغني
الكريم الرؤوف بعباده المؤمنين فاذا واظبت على هذين
النوعين من الاذكار افضيا بك الى استشعار الخوف والرجاء
بكل حال والله تعالى ولي التوفيق بمنه وفضله فصل فعليك
ايها الرجل بقطع هذه العقبة في تمام الاحتياط والتحرز وحد
الرعاية فانها عقبة دقيقة المسلك خطرة الطريق وذلك
ان طريقها بين طريقين مخوفين مهلكين احدهما طريق الامن
والثاني طريق اليأس وطريق الرجاء والخوف وهو الطريق
العدل بين الطريقين الجائرين فان غلب الرجاء عليك حتى
فقدت الخوف البتة وقعت في طريق الامن ولا يأمن من مكر الله

الا القوم الخاسرون وان غلب الخوف حتى فقدت الرجا
البتة وقعت في طريق الياس ولا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون فان كنت ركبت بين الرجا والخوف
واعتصمت بهما جميعا فهو الطريق العدل المستقيم الذي هو
سبيل اوليا الله تعالى واصفيائه الذين وصفهم الله تعالى بقوله
انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا و
كانوا لنا خاشعين فاذ ظهرت لك في هذه العقبة طرق ثلثة
طريق الامن والجراة وطريق الياس والقنوط وطريق الخوف
والرجا ممتدا بينهما فان ملت عنه بقدم الى يمينك او يسارك
وقعت في المهلكين وهلكت مع الهالكين ثم الشان ان الطريق
الجاير بين المهلكين اوسع مجالا واكثر دعيا واسهل سلوكا من الطريق
العدل لانك اذا نظرت من جانب الامن رايت من سعة رحمة
الله تعالى وكثرة فضله وغاية جوده ما لا يبقى لك معه خوف وتتكل على
ذلك بمرة وتانس وان نظرت من جانب الخوف رايت من وتامن
عظيم سياسة الله تعالى وكثرة هيبته ودقة امره وغاية مناقشته
مع اوليائه واصفيائه ما لا يكاد ان يبقى معه رجا فتياس بمرة
وتقنط فتحتاج اذا ان لا تنظر الى سعة الرحمة فقط حتى تتكل
وتامن ولا الى عظيم الهيبة والمناقشة فقط حتى تقنط فتياس
بل تنظر الى هذا والى هذا جميعا وتاخذ من هذا بعضا ومن هذا بعضا

فتركب

فتركب بينهما طريقا دقيقا وتسلك ذلك التسليم فان
طريق الرجا المحض سهل واسع عريض وعاقبته تؤديك
الى الامن والخسران وطريق الخوف المحض واسع وعاقبته
تؤديك الى الضلال والطريق العدل بينهما طريق الخوف
والرجا وان كان دقيقا عسيرا فانه سبيل سالم ومنهج بين
يؤدي الى الغفران والاحسان ثم الى الجنان والرضوان و
لقا الملك الرحمن سبحانه او ما تسمع قوله في ابنا هذا السبيل يدعون
ربهم خوفا وطمعا ثم قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزا
بما كانوا يعملون فتامل هذه الجملة جدا وتشمر وتنبه للامر فانه
لا يجي بالهوينا والله تعالى الموفق ثم اعلم انه لا يتاتى لك سلوك
هذا الطريق وحمل هذه النفس الجموح الكسلانة على الخير الا باجتناب
المحبوب عندها واكتساب الطاعات الثقيلة عليها الا بالتحفظ
بثلاثة اصول والتذكر لها على سبيل الدوام من غير فترة ولا غفلة
احدها اقوال الله سبحانه في الترغيب والترهيب والثاني ذكر
افعال الله سبحانه في الاخذ والعفو والثالث ذكر جزائه للعباد
في المعاد من الثواب والعقاب (العقوبة) وتفصيل كل اصل منها
يحتاج الى صحف كثيرة ولاجلها صنفنا تنبيه الغافلين ونحن
نشير في هذا الكتاب الى كلمات توقفك على المقصود ان
شا الله تعالى **الاصل الاول** اقوال الله سبحانه تدبر ايها الرجل ما في

كتاب الله العزيز من آيات الترغيب والترهيب والترجية
والتخويف فمن آيات الرجا قوله عز وجل قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم ومن يغفر الذنوب الا الله غافر
الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن السيئات كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتي وسعت
كل شيء فساكتبها للذين يتقون ان الله بالناس لرؤوف رحيم
وكان بالمؤمنين رحيما فهذه ونحوها آيات الرجا ومن آيات
الخوف والسياسة قوله تعالى يا عبادي فاتقون افحسبتم انما
خلقناكم عبثا ايحسب الانسان ان يترك سدى ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون
الله وليا ولا نصيرا ام يحسبون انهم يحسنون صنعا وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا اسأل الله ان يشملنا برحمته ومن الآيات اللطيفة
الجامعة بين الخوف والرجا قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم ثم قال في عقبه وان عذابي هو العذاب الاليم لئلا يستولي
عليك الرجا بمرة واعجب من ذلك قوله تعالى ويحذركم الله نفسه
ثم قال في عقبه والله رؤوف بالعباد واعجب منه قوله تعالى
من خشي الرحمن بالغيب علق الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار

او المنتقم

او المنتقم او المتكبر او نحوه لتكون الخشية مع ذكر الرحمة فلا تكون
الخشية تطير قلبك بمرة فتكون تخويفا فيه تأمين وتحذيرا كافيا فيه تسكين
كما تقول اما تخشى الوالدة الرحيمة اما تخاف الوالد الشفيق
اما تحذر الامير الكريم والمراد من ذلك ان يكون الطريق عدلا
فلا تذهب الى امن وقنوط جعلنا الله واياكم من المتدبرين لهذا
الذكر الحكيم العاملين بما فيه انه هو الجواد الكريم **والاصل الثاني**
في افعاله ومعاملاته اما من جانب الخوف فاولا ان ابليس
عبده ثمانين الف سنة فلم يترك فيما قيل موضع قدم الا وسجد
الله تعالى فيه سجدة ثم ترك له امرا واحدا فطرده عن بابه وضرب
بوجهه عبادة ثمانين الف سنة ولعنه الى يوم الدين واعد له
عذابا اليما ابد الابدين حتى روي ان الصادق الامين صلوات
الله عليه وسلامه راى جبرائيل ثم متعلقا باستار الكعبة وهو
ينادي ويتضرع الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي ثم آدم صفيه
ونبيه الذي خلقه بيده واسجد له ملائكته وحمله على اعناقهم
الى جواره انبسط فاكل اكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودي الا
لا يجاورني من عصاني وامر الملائكة الذين حملوا سريره يزجونه
من سمائه الى سماء حتى اوقعوه بالارض ولا يقبل توبته فيما روي
حتى بكا على ذلك مائتي سنة ولحقه من الهوان والبلاء ما لحقه و
بقيت ذريته في تبعات على الابد ثم ان نوحا شيخ المرسلين صلوات

الله عليهم اجمعين الذي احتمل في امر دينه ما احتمل لم يقل الا كلمة
واحدة على غير وجه اذ نودي ولا تسألني ما ليس لك به علم
اني اعظك ان تكون من الجاهلين حتى روي في بعض الاخبار انه
لم يرفع رأسه الى السماء حياء من الله سبحانه اربعين سنة
ثم ان ابراهيم خليل الله لم يكن منه الا هفوة واحدة فلم خاف
وتضرع وقال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين حتى روي
انه كان من شدة الخوف فيرسل الله تعالى اليه جبرائيل ثم فيقول
يا ابراهيم هل رأيت خليلا يعذب خليله بالنار فيقول يا جبرائيل
اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته ثم موسى بن عمران هم لم تكن
منه الا لطمة عن حدة فلم خاف وتضرع فاستغفر وقال رب اني
ظلمت نفسي فاغفر لي ثم في زمانه بلعم بن باعورا كان بحيث
اذا نظر يرى العرش وهو المعني بقوله تعالى واتل عليهم نبأ
الذي آتيناه آياتنا فانسلخ ولم يقل آية واحدة ولم يكن له
الا زلة واحدة مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة وترك لواحد
من اوليائه حرمة واحدة سلبه معرفته وجعله بمنزلة الكلب
المطرود فقال كمثل الكلب فاوقعه في بحر الضلال والهلاك الى آخر
الابد حتى سمعت بعض العلماء يقول انه كان في اول امره بحيث
يكون في مجلسه اثنا عشر الف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه
ثم صار بحيث كان اول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع

يبكي حتى

منها فاتبعه الشيطان حتى

فمثله حتى

وذكرته حتى

نعوذ بالله

نعوذ بالله من سخطه وعذابه الاليم وقطيع خذلانه الذي لا طاقة
لنا به فانظر حب الدنيا وشومها ماذا يجلب للعلماء خاصة
فتنبه فان الامر خطير والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير
فان ختم بالخير ايماننا وا فانا عن اتيانا فما ذلك عليه بعسير
ثم ان داود عليه السلام خليفته في ارضه اذنب ذنبا واحدا
فبكى على ذلك حتى نبت العشب في الارض من دموعه فقال
الهي اما ترحم بكائي وتضرعي فاجيب يا داود نسيت ذنبك
وذكرت بكائك ولم تقبل توبته اربعين يوما وقيل اربعين
سنة ثم يونس هم غضب غضبة واحدة في غير موضعها فسجنه
في بطن الحوت تحت قعر البحار اربعين يوما وهو ينادي ان
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وسمعت الملائكة
صوته فقالوا الهنا وسيدنا صوت معروف في موضع مجهول
قال الله ذلك عبدي يونس فتشفعت فيه الملائكة ثم مع ذلك
كله غير اسمه فقال وذا النون فنسبه الى سجنه ثم قال فالتقمه
الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى
يوم يبعثون ثم ذكر نعمته ومنته فقال لولا ان تداركه نعمة من
ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فانظر الى هذه السياسة ايها المسكين
وكذلك هلم جرا الى سيد المرسلين اكرم خليقته عليه محمد صلى الله عليه
وسلم يقول له فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه

بما تعملون بصير حتى كان صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني سورة
هود واخواتها قيل يعني هذه الاية واشكالها في القرآن وقال
الله تعالى واستغفر لذنبك الى ان منّ عليه بالغفران فقال ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقال ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وكان بعد ذلك صلوات الله عليه وسلامه
يصلي الليل حتى تورمت قدماه فيقولون اتفعل هذا يا رسول
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول افلا اكون
عبدا شكورا وكان عليه الصلوة والسلام يقول لو اني وعيسى
اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذبه احدا من العالمين
وكان يصلي الليل ويبكي ويقول اعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك
من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك ثم الصحابة رضي الله عنهم اجمعين الذين هم خير قرن من
خير الامة كان يبدو منهم شيء من المزاح فنزل قوله تعالى الم يأن
للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية ثم وقع في هذه
الامة مع كونها مرحومة الحدود والسياسة العظيمة والاداب
حتى كان يونس بن عبيد يقول لا امن من قطع في خمسة دراهم
خير عضو منك ان يكون عذابه هكذا غدا اسأل الله تعالى الكريم
الرحيم سبحانه ان لا يعاملنا الا بمحض كرمه انه ارحم الراحمين واما
جانب الرجاء فحدث عن رحمة الله تعالى الواسعة ولا حرج ومن

استغفار

الذين لو

الذي يعرف عاقبتها او يحسن وصفها فانه الذي يهب
كفر سبعين سنة بايمان ساعة قال الله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اما ترى في امر سحرة فرعون
الذين جاؤا الحربة وحلفوا بعزة فرعون عدوه فما قالوا
الا امنا عن صدق القلوب كيف قبلهم ووهب لهم
جميع ما سلف ثم كيف جعلهم رؤس الشهداء في الجنة ابد
الابدين فهذا مع من عرفه ووحده ساعة بعد كل ذلك الكفر
واللغو والضلال والفساد وكيف حال من افنى في توحيده
عمره لا يرى لذلك اهلا في الدارين غيره اما ترى اصحاب الكهف
وما كانوا عليه من الكفر طول اعمارهم اذ قالوا ربنا رب
السموات والارض والتجوا اليه كيف قبلهم ثم اغناهم واكرمهم
فقال ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكيف اعطى
لهم الحرمة والبسهم المهابة والحشمة حتى يقول لاكرم الخلق
عليه السلام لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت
منهم رعبا بل كيف اكرم كلبا تبعهم حتى ذكره في كتابه العزيز
مرات ثم جعله معهم في الدنيا محجوبا ويدخله الجنة في الاخرة
مكرما فهذا فضله مع كلب خطا خطوات مع قوم عرفوه و
وحدوه اياما معدودة من غير عبادة او خدمة فكيف فضله
مع عبده المؤمن الذي خدمه ووحده وعبده سبعين سنة

اصحاب الكهف

ولو عاش سبعين الف سنة كان قاصدا للعبودية اما سمعت
كيف عاتب ابراهيم في دعائه على المجرمين بالهلاك وكيف
عاتب موسى في امر قارون فقال استغاث بك قارون
ولم تغثه فوعزتي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وكيف
عاتب يونس في شان قومه بانك لاتحزن على شجرة يقطين
انبتها في ساعة وايبستها في ساعة ولاتحزن على مائة الف
او يزيدون ثم كيف قبل عذرهم وصرف عذابه العظيم عنهم بعد
ما اظلهم ثم كيف عاتب سيد المرسلين فيما روى انه دخل
من باب بني شيبة فرأى قوما يضحكون فقال لم تضحكون لا اراكم
تضحكون حتى اذا كان عند الحجر رجع اليهم القهقرى فقال جاءني
جبرائيل فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك لم تقنط عبادي
من رحمتي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وهذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة
بولدها وفي الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لله تعالى مائة رحمة فواحدة منها قسمها بين الجن والانس والبهائم
فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وادخر منها تسعة وتسعين عنده
لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة واذ قد اعطاك من الرحمة
الواحدة كل هذه العطايا الكريمة الوفيرة من معرفته سبحانه
والكون من هذه الامة المرحومة ثم معرفة السنة والجماعة الى

سائر

سائر ما لديك من النعم الظاهرة والباطنة فنرجو من فضله
العظيم ان يتمم ذلك فان من بدا بالاحسان فعليه الاتمام
ويجعل من تسعة وتسعين رحمة لك الحظ الاوفر ونسأل الله
الله تعالى ان لايخيب امالنا من فضله العظيم بفضله العميم
انه السيد الكريم الجواد الرحيم وبه نستعين واما الاصل
الثالث في ذكر ما وعد واوعد في المعاد فلنذكر فيه الاحوال
الاربعة الموت والقبر والقيمة والجنة والنار وما في كل
مقام منها من الحظ للمطيعين والعاصين والمقصرين والمجتهدين
فاما الموت فاذكر فيه حال رجلين احدهما ما روى عن
ابن شبرمة انه قال دخلت مع الشعبي على مريض نعوده
وهو لما به في سكرات الموت وعنده رجل يلقنه لا اله الا الله فقال الشعبي
ارفق به فتكلم المريض فقال ان تلقني اولم تلقني فاني
لا ادعها ثم قرأ والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها و
اهلها فقال الشعبي الحمد لله الذي نجا صاحبنا والاخر ما حكي
ان تلميذ الفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه
الفضيل وجلس عنده وقرأ سورة يس فقال يا استاذ لا تقرأ
هذا فسكت ثم لقنه فقال قل لا اله الا الله فقال لا اقولها
لاني منها بري فمات على ذلك فدخل الفضيل منزله فجعل يبكي
اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم راه في النوم وهو يسحب به

الى جهنم فقال لى باى شىء نزع الله المعرفة عنك وكنت اعلم
تلامذتى فقال بثلاثة اشياء اولها بالنميمة فانى قلت لاصحابى
بخلاف ما قلت لك والثانى بالحسد حسدت اصحابى والثالث
كان بى علة فجئت الى الطبيب فسألته عنها فقال تشرب
فى كل سنة قدحا من الخمر فان لم تفعل تبقى لك العلة فكنت اشربه
نعوذ بالله من سخطه الذى لا طاقة لنا به ثم اذكر حال رجلين احدهما
ما روى عن عبد الله بن المبارك رحمه الله انه لما احتضر نظر الى السماء
فضحك فقال لمثل هذا فليعمل العاملون وسمعت امام الحرمين
رضى الله عنه يحكى عن الاستاذ ابى بكر رحمه الله تعالى انه قال كان لى
صاحب ايام التعليم وكان مجتهدا كثير الجهد فى التعليم تقيا متعبدا
وكان لا يحصل له مع الاجتهاد الا القليل كنا نتعجب من حاله فمرض
فلزم مكانه بين الاولياء فى الرباط ولم يدخل الى بيت المرضى و
كان يجتهد مع مرضه فاشتدت الحال به وانا جانبه فبينما هو
اذ شخص بصره الى السماء ثم قال لى يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل
العاملون وتوفى عند ذلك رحمه الله واما الاخر فنحو ما روى
عن مالك بن دينار انه دخل على جار له احتضر فقال له مالك جبلان
من نار بين يدى اكلف الصعود عليهما قال فسألت اهله فقالوا كان
له مكيالان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فدعوت بهما فضربت
احدهما بالاخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال لا يزداد الامر على

الاعظم

اما القبر

الاعظم واما القبر والحال بعد الموت فاذكر فيه حال
رجلين احدهما ما ذكر عن بعض الصالحين انه قال رأيت
سفيان الثورى رحمه الله فى النوم بعد موته فقلت كيف
حالك يا ابا عبد الله فاعرض عنى وقال ليس هذا زمان
الكنى فقلت كيف حالك يا سفيان فانشأ يقول نظرت
الى ربى عيانا فقال لى هنيئا رضائى عنك يا ابا سعيد لقد
كنت قواما اذا الليل قد دجا بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اى قصر تريد وزرنى فانى عنك غير بعيد
والرجل الثانى ما روى ان بعضهم رأى فى المنام شاحب
اللون مغلولة يداه الى عنقه فقيل له ما فعل الله بك فانشأ
يقول تولى زمان لعبنا به وهذا زمان بنا يلعب وحال
اخرين احدهما ما روى عن بعض الصالحين قال كان لى ابن
استشهد فلم اره فى المنام الا الليلة توفى عمر بن عبد العزيز
رضى الله عنه اذ تراءى لى تلك الليلة فقلت يا بنى الم تك
ميتا فقال لا ولكن استشهدت وانا حى عند الله تعالى
ارزق فقلت ما جاء بك قال نودى فى اهل السماء ان
لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد الا ويحضر الصلوة على عمر بن
عبد العزيز فجئت لاشهد الصلوة عليه ثم جئتكم لاسلم
عليكم واما الاخر فما روى عن هشام بن حسان انه قال مات

لي ابن حدث رأيته في النوم فاذا هو شيب فقلت له
يا بني ما هذا الشيب فقال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم
لقدومه زفرة لم يبق منا احد الا شاب نعوذ بالله العظيم
من عذابه الاليم **واما القيامة** فتأمل قول الله تعالى يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا
فواحد يخرج من قبره فاذا البراق على رأس القبر والتاج والحلل
فيلبس ويركب الى جنات النعيم لا يخلي من عزه ان يمشي الى الجنة
برجليه وآخر يخرج من قبره بالزبانية والاغلال والانكال لا يخلونه
الشقي ان يمشي برجليه الى النار بل يسحب على وجهه الى سواء
الجحيم نعوذ بالله من سخطه ولقد سمعت بعض العلماء يروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة يخرج قوم
من قبورهم لهم نجب يركبونها لها اجنحة خضر فتطير بهم في عرصات
القيامة حتى اتوا على حيطان الجنة فاذا رأتهم الملائكة
قال بعضهم لبعض من هؤلاء فيقولون لا ندري لعلهم من امة
محمد صلى الله عليه وسلم فياتيهم بعض الملائكة فيقولون من
انتم ومن اي الامم انتم ويقولون نحن من امة محمد صلى الله
عليه وسلم فيقول الملائكة هل حوسبتم فيقولون لا فيقول
الملائكة هل وزنتم فيقولون لا فيقول الملائكة هل قرأتم
كتبكم فيقولون لا فيقول الملائكة ارجعوا فكل ذلك وراءكم

فاذا الزبانية

بيان القيامة

فيقولون

فيقولون هل اعطيتمونا شيئا فتحاسبوا عليه وفي خبر
آخر ما ملكنا شيئا فنعدل ولا نجور ولكنا عبدنا ربنا حتى
دعانا فاجبناه فينادي مناد صدق عبادي ما على المحسنين
من سبيل والله غفور رحيم اما تسمع قوله تعالى افمن يلقى
في النار خير امن ياتي امنا يوم القيمة فاعظم برجل يشاهد
تلك الاهوال والزلازل والوقايع وهو آمن لا يدخل
قلبه فزع ولا يكون على قلبه ثقل نسأل الله ان يجعلنا و
اياكم من اولئك السعداء وما ذلك على الله بعزيز جل جلاله
واما الجنة والنار فتأمل فيهما ايتين من كتاب الله عز
وجل احديهما قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان
هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا وقال حكاية عن
آخرين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال
اخسؤا فيها ولا تكلمون وروي انهم يصيرون عند ذلك
كلابا يتعاوون في النار نعوذ بالله الرؤف الرحيم من عذابه
الاليم فان الامر كما قال يحيى بن معاذ لا ندري اي المصيبتين
اعظم فوت الجنان ام دخول النيران اما الجنة فلا صبر عنها
واما النار فلا صبر عليها وعلى كل حال فوت النعيم ايسر
من مقاسات الجحيم ثم الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هي
الخلود اذ لو كان على حال منقطعا لكان الامر هينا ولكن

الجنة والنار

الشان فی ابد بلا اخر فای قلب یحتمل ذلک فای نفس تصبر
علی ذلک ولذلک قال عیسی صلوات الله علیه ذکر الخالدین
یقطع قلوب الخائفین وذکر عند الحسن ان اخر من یخرج من النار
رجل یقال له هناد عذب الف عام ینادی یا حنان یا منان
فبکی الحسن فقال لیتنی کنت هنادا فتعجبوا منه فقال ویحکم
الیس یوما یخرج قلت فرجع الامر کله اذا اصل وهی النکتة
التی تقصم الظهور وتصفر الوجوه وتقطع القلوب وتذیب
الاکباد وتدمی العیون من العباد وهی خوف نزع المعرفة
فهذه الغایة التی ینتهی الیها خوف الخائفین ویبکی علیها
اعین الباکین ولقد قال بعضهم ان الهموم ثلثة هم الطاعة
ان لا تقبل وهم المعاصی ان لا تغفر وهم المعرفة ان تسلب
وقال المخلصون بل الهم کله واحد بالحقیقة وهی هم المعرفة
وکل هم دونه جلل اذ له انقضاء ولقد بلغنا عن یوسف
بن اسباط رحمه الله انه قال دخلت علی سفیان فبکی لیلة
اجمع فقلت لبکائک هذا علی الذنوب قال فحمل تبنا و
قال الذنوب اهون علی الله تعالی من هذا انما اخشی ان یسلبنی
الله الاسلام نسأل الله ربنا المنان سبحانه ان لا یبتلینا
بمصیبة وان یتم علینا بفضله کبیر نعمة وان یتوفانا علی
ملة الاسلام انه ارحم الراحمین وقد ذکرنا سبب سوء الخاتمة

ومعانیها

ومعانیها فی کتاب احیاء علوم الدین فتأمله هناک فان الخوض
فیه ههنا خروج عن الاختصار فتأمل هذه الجملة فان التفصیل
اکثر من ان یأتی علیه الوهم والذکر لعلک تفلح ان شاء الله
تعالی بعون الله وحسن توفیقه فان قلت فای الطریقین
اسلک طریق الخوف ام طریق الرجاء یقال لک بل المرکب
بینهما فلقد قیل من غلب علیه الرجاء صار مرجیا بل ربما تجافی علیه ان
یصیر خرمیا ومن غلب علیه الخوف صار حروریا والمراد انه
لا یتفرد باحدهما دون الاخر فانه بالحقیقة الرجاء الحقیقی لا ینفک
عن الخوف الحقیقی والخوف الحقیقی لا ینفک عن الرجاء الحقیقی و
لذلک قیل الرجاء کله لاهل الخوف لا الامن والخوف کله لاهل
الرجاء لا الیأس فان قلت فهل یکون احدهما ارجح واکثر
ذکرا بحال فاعلم ان العبد اذا کان قویا صحیحا فالخوف اولی به
واذا مرض وضعف لا سیما اذا اشرف علی الاخرة فالرجاء
اولی کذا سمعت العلماء یقولون قلت وذلک لما روی
ان الله تعالی یقول انا عند المنکسرة قلوبهم من مخافتی فیصیر
رجاؤه اولی فی ذلک الوقت لانکسار قلبه وخوفه المتقدم
زمان الصحة والقوة والامکان ولذلک یقال لهم الا تخافوا
ولا تحزنوا فان قلت الیس قد جاءت الاخبار الکثیرة فی
حسن الظن بالله تعالی والترغیب فی ذلک فاعلم ان من حسن

الظن بالله تعالى الحذر من معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد
في خدمته واعلم ان ههنا اصلا اصيلا ونكتة عزيزة يغلط
فيها الكثير من الناس وهو ان الفرق بين الرجاء والامنية
ان الرجاء يكون على اصل والتمني لا يكون على اصل مثاله من
زرع واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول ارجوا ان يحصل لي منه مائة
قفيز فذلك منه الرجاء والاخر لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما
فذهب ونام واغفل سنته فاذا جاء وقت البيادر يقول
ارجوا ان يحصل لي مائة قفيز فيقول له من اين لك هذا الرجاء
فانما ذلك امنية بلا اصل فكذلك العبد اذا اجتهد في عبادة
الله تعالى وانتهى عن معصية الله سبحانه يقول ارجوا ان يتقبل
الله تعالى هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب ويعفو
عن الزلل واحسن الظن فهذا منه رجاء واما اذا غفل وترك
الطاعات وارتكب المعاصي ولم يبال بسخط الله ولا برضائه
ووعده ووعيده ثم اخذ يقول انا ارجو من الله الجنة والنجاة
من النار فذلك منه امنية لا حاصل تحتها سماها رجاء وحسن
ظن وذلك خطأ وضلال قلت ومما يبين هذا الاصل
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على
الله عز وجل وفي ذلك يقول الحسن البصري رحمه الله ان اقواما

الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم
حسنة يقول اني احسن الظن بربي وكذب ولو احسن الظن
بربه لاحسن العمل له ثم تلا قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين وعن جعفر الضبعي قال
رأيت ابا ميسرة العابد وقد بدت اضلاعه من الاجتهاد
فقلت يرحمك الله ان رحمة الله واسعة فغضب وقال هل رأيت
ما يدل على القنوط ان رحمة الله قريب من المحسنين قال
جعفر فابكاني قوله فاذا كان الرسل والابدال والاولياء
مع كل هذا الاجتهاد في الطاعة والحذر عن المعصية فاي شيء
تقول اما كان لهم حسن الظن بالله بلى فانهم كانوا اعلم
بسعة رحمة الله تعالى واحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا ان
ذلك دون الاجتهاد امنية وغرور فاعتبر بهذه النكتة وتامل
حالهم وانتبه من رقدتك والله ولي التوفيق فصل وجملة الامر
انك اذا تذكرت سعة رحمة الله التي سبقت غضبه ووسعت
كل شيء ثم كنت من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله تعالى ثم
غاية فضله العظيم وكمال جوده القديم وجعل عنوان كتابه اليك
بسم الله الرحمن الرحيم ثم كثرة اياديه اليك ونعمه عليك
ظاهرة وباطنة من غير شفيع او قدم سابقة لك وتذكرت من
جانب اخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه وهيبته ثم شدة

غضبه الذي لا تقوم له السموات والارض ثم غاية غفلتك
وكثرة ذنوبك وجفوتك مع دقة امره وخطر معاملته في احاطة
علمه ونظره بالغيوب والعيوب ثم حسن وعده وثوابه الذي
لا يبلغ كنهه الاوهام وشدة وعيده واليم عقابه الذي لا تحمل
ذكره القلوب تارة تنظر الى فضله وتارة تنظر الى عذابه وتارة
تنظر الى رحمته ورأفته وتارة تنظر الى نفسك في جفواتها و
جناياتها تأدى بك جميع ذلك الى الخوف والرجا وكنت قد
سلكت السبيل الشارع القصد وعدلت عن الجانبين المهلكين
الامن واليأس ولا تتيه فيهما مع التائهين ولا تهلك مع — ولا تتيه
الهالكين وشربت الشراب المزدوج العدل فلا تهلك ببرودة
الرجا الصرف او بحرارة الخوف الصرف وكاني بك قد وصلت
الى المقصود غانما وشفيت من العلتين سالما ووجدت النفس
قد انبعثت للطاعة وانت في الخدمة ليلا ونهارا من غير فترة
ولا غفلة واجتنبت المعاصي والمخازي وهجرتها برة كما قال
نوف ان نوفا اذا ذكر الجنة طال شوقه واذا ذكر النار طار
نومه وصرت جنسا من الاصفياء الخواص العابدين الذين
وصفهم الله تعالى بقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات و
يدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وكنت قد خلفت
هذه العقبة الخطرة باذن الله تعالى وحسن توفيقه فكم لك من

حلاوة

حلاوة وصفوة في الدنيا وكم لك من ذخر كريم واجر عظيم
في العقبى والله سبحانه مسؤول ان يمدك واياي بحسن توفيقه
وتسديده انه ارحم الراحمين واجود الاجودين ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم **العقبة السادسة** وهي عقبة
القوادح ثم عليك يا اخي امدك الله واياي بحسن توفيقه
بعدما استبان لك السبيل واستقام لك المسير بتميز سعيك
وصيانته عما يفسده وينقصه عليك وانما لزمك ذلك
باقامة الاخلاص وذكر المنة لله والاجتناب عن ضده لامرين
احدهما لما في فعله من الفائدة وهو حسن القبول من الله تعالى
ووفور الثواب عليه والا فيكون مردودا ذاهب الثواب
كلا او بعضا على ما روي في الحديث المشهور عن النبي عليه السلام
ان الله سبحانه يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا
فاشرك فيه غيري فنصيبي له فاني لا اقبل الا ما كان لي خالصا — فنصيبه
وقيل ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيمة اذا التمس ثواب
عمله الم يوسع لك في المجالس الم تكن المرأس في الدنيا الم يرخص
بيعك وشراك الم تكرم هذا واشباهه من الحظ والضرر والغرور
قلت من خطر الريا فضيحتان ومصيبتان اما الفضيحتان فاحديهما
فضيحة السر وهي اللوم على رؤس الملائكة وذلك لما روي ان
الملائكة تصعد بعمل العبد اليوم مبتهجين فيقول الله تعالى ردوه الى سجين

فانه لم يرد به فيفتضح ذلك العمل والعبد والثانية فضيحة
العلانية وهي يوم القيمة على رؤس الخلايق روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادي يوم القيمة باربعة اسماء
يا كافر يا غادر يا فاجر يا خاسر ضل سعيك وبطل اجرك
ولا خلاق لك التمس الاجر ممن كنت تعمل له يا مخادع وروي
انه ينادي منادٍ يوم القيمة يسمع الخلايق اين الذين كانوا يعبدون
الناس قوموا خذوا اجوركم ممن عملتم له فاني لا اقبل من العمل
عملا خالطه شيء واما المصيبتان فاحديهما فوت الجنة وذلك
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة تكلمت وقالت
انا حرام على كل بخيل ومراءٍ والخبر يحتمل معنيين احدهما ان
هذا البخيل من يبخل باقبح بخل وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهذا المرائي من يرائي باقبح رياء وهو
المنافق الذي يرائي بايمانه وتوحيده وفي هذا القول ترجية
والثاني انه من لم ينته عن البخل والرياء ولم يراع نفسه فعسى ان
يلحقه شوم ذلك فيقع في الكفر فيفوته الجنة رأسا والعياذ
بالله والمصيبة الثانية دخول النار وذلك لما روي ابو هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول من يدعى
يوم القيمة رجل قد جمع القرآن ورجل قاتل في سبيل الله ورجل
كثير المال فيقول الله تعالى للقاري الم اعلمك ما انزلته على رسولي

فيقول

فيقول بلى يا رب فيقول ما عملت فيما علمت فيقول يا رب
قمت به اناء الليل والنهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول
الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان
قاري وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله
الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد فيقول بلى
يا رب فيقول ما عملت فيما اتيتك فيقول كنت اصل
الرحم واتصدق فيقول كذبت وتقول الملائكة كذبت
فيقول الله بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك
ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله تعالى فيقول ما فعلت فيقول
امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى
كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت
ان يقال فلان جري فقد قيل ذلك قال ثم ضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيده على ركبتي فقال يا ابا هريرة اولئك
اول خلق تسعر بهم نار جهنم وعن ابن عباس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان النار واهلها يعجون
من اهل الرياء قيل يا رسول الله وكيف تعج النار قال من حر
النار التي يعذبون بها وفي هذه الفضايح بلاغ لاولي الابصار
والله سبحانه ولي الهداية بفضله فان قلت فاخبرنا عن
حقيقة الاخلاص والرياء وحكمهما وتاثيرهما في العمل فاعلم ان

او شجاع

حقيقة الاخلاص والريا

الاخلاص عند علمائنا اخلاصان اخلاص العمل واخلاص طلب الاجر فاما اخلاص العمل فهو ارادة التقرب الى الله عز وجل وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح وضد هذا الاخلاص النفاق وهو التقرب الى من دون الله تعالى وقال شيخنا رحمه الله النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي هو للمنافق في الله عز وجل وليس هو من قبيل الارادات لعلة ذكرناها في موضعها رحمه الله واما الاخلاص في طلب الاجر فهو ارادة نفع الاخرة بعمل الخير وكان شيخنا رحمه الله يقول انه ارادة نفع الاخرة بخير لم يرد ردا يعتقد خيره بحيث ترجى به تلك المنفعة وقد شرحنا هذه الشرايط وقال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام ما الخالص من الاعمال قال الذي تعمل لله لا تحب ان يحمدك عليه احد وهذا تعرض لترك الدنيا وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات وقال الفضيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة لا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وقد قال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا الله وتستقيم في عبادته كما امرت و

هذه

هذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله تعالى عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا وضد الاخلاص الرياء وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الاخرة ثم الرياء ضربان رياء محض ورياء تخليط فالمحض ان تريد به نفع الدنيا لا غير والتخليط ان تريدهما جميعا نفع الدنيا ونفع الاخرة وهذا احدهما واما تاثيرهما فان اخلاص العمل ان يجعل الفعل قربة واخلاص طلب الاجر ان يجعله مقبولا موفور الاجر والتعظيم والنفاق الذي يحبط العمل ويخرجه عن كونه قربة مستحقا عليه الثواب بالوعد من الله تعالى فالرياء المحض لا يكون من العارف عند بعض العلماء وان كان ابطل نصف الثواب وعند الاخرين قد يكون الرياء المحض من العارف وانه يذهب بنصف الاضعاف والتخليط يذهب بربع الاضعاف والصحيح عند شيخنا رحمه الله ان الرياء المحض لا يكون من العارف مع تذكر الاخرة وقد يكون مع السهو والمختار ان من تاثير الرياء رفع القبول والنقصان في الثواب وان لا تقدير له بنصف ولا ربع وشرح هذه المسائل يطول وقد شرحناها في كتاب احياء علوم الدين شرحا مستقصا واشبعنا القول في اسرار معاملات الدين فان قلت فما موضع الاخلاص وفي اي طاعة يقع ويجب فاعلم ان الاعمال عند بعض العلماء ثلثة اقسام قسم يقع فيه الاخلاصان جميعا وهو العبادات الظاهرة الاصلية وقسم لا يقع فيه شيء

منها وهو الاعمال الباطنة الاصلية وقسم يقع فيه اخلاص
طلب الاجر دون اخلاص العمل وهو المباحات المأخوذة للعدة
قال شيخنا رحمه الله ان كل عمل يحتمل الصرف الى غير الله تعالى من
العبادات الاصلية يقع فيه اخلاص العمل والعبادات الباطنة
اكثرها يقع فيها اخلاص العمل واما اخلاص طلب الاجر فقال
شيخ الكرامية لا يقع فى العبادات الباطنة اذ لا يطلع عليها
احد الا الله فامتنع فيها دواعى الريا فلم يحتج الى اخلاص طلب الاجر
وكان شيخنا رحمه الله يقول اذا اراد العبد التقرب من الله تعالى
بالعبادات الباطنة نفع الدنيا فهو ايضا ريا قلت انا فلا يبعد
اذا ان يقع فى كثير من العبادات الباطنة اخلاصان وكذلك
النوافل يجب فيها الاخلاصان جميعا عند الشروع واما المباحات
المأخوذة للعدة يقع فيها اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل
اذ هى لا تصلح ان يكون بنفسها قربة بل هى عدة على القربة
فان قلت هذا موضعهما فبين لنا وقتهما من العمل فاعلم ان
اخلاص العمل مع الفعل يقارنه لا محالة ولا يتأخر عنه واما اخلاص
طلب الاجر ربما يتأخر عنه وعند بعض العلماء يعتبر فيه وقت
الفراغ من العمل فاذا فرغ على اخلاص او ريا فقد انقضى الامر من الفراغ
فلا يمكنه استدراكه بعد وعند عبدان من مشايخ الكرامية ما لم ينل
المنفعة المطلوبة بالريا يمكنه اقامة الاخلاص فى ذلك العمل

فاذا نال

فاذا نال المطلوب فقد فات وقال بعض العلماء ان الفريضة
يمكن اقامة الاخلاص فيها الى الموت واما النوافل فلا سبيل
الى ذلك فيها قال والفرق بينهما ان الله تعالى ادخل العبد
فى الفريضة فهو مأمول منه الستر والتفضيل فيها واما النفل
فالعبد هو الذى ادخل نفسه فيه وتكلفه فمطلوب بتحقيق ما
تكلف قلت وفى هذه المسئلة فائدة وهى ان من سبق منه
الريا وترك الاخلاص فى عمل فيمكنه استدراك ذلك وتلافيه
على احد الوجوه التى ذكرنا والمقصود من نقل مذاهب الناس
فى تدارك الريا بعد الوقوع
فى هذه الدقائق علمنا الآن بقلة العاملين وقلة الرغبة
فى سلوك هذا الطريق والتقريب على المبتدى فى العبادة
فان لم يجد لعلة دواء فى هذا القبول وجده فى الاخر لاختلاف
الاغراض وعلل الاعمال وآفاتها فافهم راشدا ان شاء الله تعالى
فان قلت الكل عمل يحتاج الى اخلاص مفرد فاعلم انه قد اختلف
مفردها
فى ذلك فقيل انه يجب لكل عمل اخلاص مفرد وقيل يجوز تناول
اخلاص لجملة من العبادات فالعمل ذو الاركان كالوضوء والصلوة
يكفيها اخلاص واحد لان بعضها متعلق ببعض صلاحا وفسادا
فصارت كشىء واحد فان قلت ان اراد بعمله الخير نفع عباد
الله تعالى ولا يريد شيئا من الناس من مدحة او سمعة او منفعة ايكون
ذلك ريا فاعلم ان ذلك محض الريا قال علماؤنا رحمهم الله الاعتبار

بلغ

في الريا بالمراد الا بالذي تريد منه فان كان مرادك من عمل الخير
نفعا دنيويا فانه ريا سوا اردته من الله تعالى او من الناس
قال الله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن
كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب
وليس الاعتبار بلفظة الريا واشتقاقها من معنى الرؤية وانما سميت
هذه الارادة الفاسدة بهذا الاسم لانها اكثر ما تقع تكون من
قبل الناس ورؤيتهم فافهم فان قلت اذا كان القصد
في الدنيا التي يريدها من الله تعالى التعفف عن الناس والقدرة على
عبادة الله تعالى ايكون ذلك ريا فاعلم ان التعفف ليس بكثرة
المال والجاه فانما هو بالقناعة والثقة بكفاية الله واما القدرة
على عبادة الله تعالى فاذا كان مراده ذلك فلا يكون ريا فكذلك
ما يتصل بامر الاخرة واسبابها ويصير لطفا لذلك وان اريد بعمل
الخير هذا النوع فلا يكون تلك الارادة ريا لان هذه الامور تصير
بتلك النية خيرا وتصير في حكم اعمال الاخرة ولا يكون ارادة الخير
ريا وكذلك ان اردت ان يكون لك تعظيم عند الناس او محبة
عند المشايخ والائمة يكون قصدك من ذلك التمكن من تاييد
مذهب اهل الحق والرد على اهل البدع والنشر للعلم او حض الناس
على العبادة ونحو ذلك دون ان تقصد بذلك شرف نفسك من حيث
هي او دنيا تنالها فان هذه كلها ارادة سديدة ونيات محمودة

لا يدخل

لا يدخل شيء منها في باب الريا اذ المقصود منها امر الاخرة
بالحقيقة فاعلم اني سالت بعض مشايخنا عما يعتاده اولياؤنا
من قراءة سورة الواقعة في ايام العسرة اليس المراد بذلك
ان يدفع الله تعالى تلك الشدة عنهم ويوسع عليهم شيئا من الدنيا
على ما جرت به العادة فكيف يصح ارادة متاع الدنيا بعمل الاخرة
فقال في جوابه رحمه الله كلاما معناه ان المراد منهم ان يرزقهم
الله تعالى قناعة او قوتا تكون لهم عدة على عبادة الله تعالى وقوة
على درس العلم وهذه من جملة ارادة الخير دون الدنيا واعلم ان
هذه السيرة اعني قراءة هذه السورة عند الشدة في امر الرزق
والخصاصة انما هو شيء وردت به الاخبار المأثورة عن النبي
صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة حتى ان ابن مسعود حين عوتب
في امر ولده اذ لم يترك لهم الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة
الواقعة ومن ذلك الاصل في السنة جرت هذه الخصلة في سير
علمائنا رحمهم الله تعالى والا فلا مبالاة لهم بحمد الله بشدة في امر الدنيا
او سعة وهم الذين يغتنمون ضيق الدنيا وعسرها ويتفألون
بذلك فيما بينهم ويعدونه من الله تعالى سبحانه نعمة عظيمة ويخافون
اذا بدا لهم سعة من الدنيا التي لا يعدها اكثر الناس الا الاحسان والنعمة
ان يكون استدراجا من الله تعالى ومصيبة كيف وبطانتهم الافتقار
والطي في عموم احوالهم ومقدموهم يقولون الجوع رأس مالنا فهذا

وضع مذهب اهل التصوف وهو مذهبي ومذهب اشياخي
وبذلك جرت سيرة سلفنا واما تقصير بعض المتأخرين فلا معتبر به
وانما ذكرنا هذا الفصل لئلا يغتر فيه مخالف جهلا منه بمقاصد
القوم في امورهم او يغلط فيهم مبتدي سليم الصدر لم يأخذ
من العلم حقه فان قيل كيف يليق هذا بحال اهل الزهد والتجرد
وارباب الصبر والرياضة فاعلم ان هذا شي ماخوذ من السنة
ثم المقصود حصول القناعة لا اتباع الشره والشهوة والضعف
عن احتمال العسرة والشدة والعدة واكثر ما يرى في عقيب ذلك قناعة في
القلب وفقد لكلب الجوع وضعفه وسلوة عن الطعام وهمته علم
ذلك من امتحنه فاعلم هذه الجملة موفقا ان شاء الله تعالى القادح
الثاني العجب وانما يلزمك اجتنابه لامرين احدهما انه يحجب عن التوفيق
والتأييد من الله تعالى فان المعجب مخذول واذا انقطع عن العبد التأييد
والتوفيق فما اسرع ما يهلك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والثاني
انه يفسد العمل الصالح ولذلك قال المسيح صلوات الله وسلامه عليه
يا معشر الحواريون كم من سراج قد اطفأته الريح وكم من عابد قد
افسده العجب واذا كان المقصود والفائدة العبادة وهذه الخصلة
تحرم العبد حتى لا يحصل له خير فان حصل فقليل من ذلك يفسده حتى
لا يبقى بيده شي فحقيق ان يحذر من ذلك ويحتفظ والله تعالى ولي التوفيق

والعصمة

والعصمة فان قلت فما حقيقة العجب ومعناه وتأثيره وحكمه
فبين لنا ذلك فاعلم ان حقيقة العجب استعظام العمل الصالح
وتفصيله عند علمائنا رحمهم الله تعالى ذكر العبد حصول شرف
العمل الصالح بشي من دون الله او الناس او النفس قالوا
وقد تكون العجب مثلثا بان تذكر ذلك من هذه الثلثة جميعا
النفس والخلق والشي ومثنى بان تذكره من اثنين وموحدا
بان تذكره من واحد وضد العجب ذكر المنة وهو ان يذكر انه
بتوفيق الله تعالى وانه الذي شرفه وعظم ثوابه وقدره وهذا
الذكر فرض عند داعي العجب نفل في سائر الاوقات واما
تأثير العجب في العمل قال بعض العلماء يشترط الاحباط فان تاب
قبل موته سلم والا احبط واليه ذهب محمد بن صابر من شيوخ
الكرامية والاحباط عنده ان يذهب عن العمل جميع الاسماء
الحسنة حتى لا يستحق بذلك ثوابا ولا مدحة البتة وفي قول غيره
ذهاب الاضعاف لا غير فان قلت كيف يلتبس على العبد
العارف ان الله تعالى هو الذي وفق للعمل الصالح وعظم قدره
والكثر ثوابه بمنه وفضله واعلم ان ههنا نكتة لطيفة وذخيرة
شريفة وهي ان الناس في العجب ثلثة اصناف صنف منهم
مجبرون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله
عليهم منة في افعالهم وينكرون العون والتوفيق الخاص و

الالطف وذلك لشبهة عليهم وصنف هو الذاكرون المنة
بكل حال وهم المستقيمون لا يعجبون بشيء من الاعمال وذلك
لبصيرة اكرموا بها وتاييد خصوا به والثالث المخلطون وهم
عامة اهل السنة تارة ينتبهون فيذكرون منة الله وتارة يغفلو
فيعجبون وذلك لمكان الغفلة العارضة والفترة في الاجتهاد
والنقص في البصيرة فان قلت كيف حال القدرية والمعتزلة
في افعالهم فاعلم ان في ذلك اختلافا فقيل انه يحبط لمكان
اعتقادهم وقيل لا يحبط عمل باعتقاد الجملة من فرق الاسلام حتى
يخص لكل عمل باعجاب كما ان اعتقاد اهل السنة لا يمنع العجب
في كل عمل حتى يخصه بذلك المنة فان قيل فهل سوى العجب والريا
من قادح في العمل قيل له اجل ان فيه لقوادح سواهما لكنا خصصنا
هما بالذكر لانهما الاصل الذي يدور عليهما معظم الباب وقد
قال بعض المشايخ ان حق العبد ان يحفظ في العمل من عشرة اشياء
النفاق والريا والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب
والحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس ثم ذكر شيخنا رحمه الله
ضد كل خصلة منها واضرارها بالعمل فضد النفاق اخلاص العمل
وضد الريا اخلاص طلب الاجر وضد التخليط التفريد وضد المن
تسليم العمل لله تعالى وضد الاذى تحصين العمل وضد الندامة تثبيت
النفس وضد العجب ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون

تعظيم

تعظيم التوفيق وضد خوف الملامة الخشية واعلم ان النفاق يحبط
العمل والريا يوجب رده والمن والاذى يحبطان الصدقة
اصلا في الوقت وعند بعض المشايخ يبطلان اضعافها واما
الندامة فانها تحبط العمل في قولهم جميعا والعجب يذهب اضعاف
العمل والحسرة وخوف الملامة والتهاون يخفف العمل فيذهب
زيادته قلت فالقبول والرد عند اهل التحصيل يرجعان الى
ضروب من التعظيم والاستخفاف والاحباط ابطال منافع تكون
بالفعل وبسببه ثم تارة تكون بابطال الثواب واخرى بابطال
التضعيف والثواب منفعة يقتضيها الفعل بعينه وقرائنه
واحواله والتضعيف زيادة على هذا والزيادة زيادة تحصل
بمقتضى قراين واحوال اخر كالاحسان الى احد من اهل الخير
ثم الى الوالدين ثم الى نبي من الانبياء ففي السر يكون زيادة ولا يكون
تضعيفا فهذا تهذيب ما تحققت في هذه المعاني فافهم ذلك
وبالله التوفيق **فصل** فعليك بقطع هذه العقبة المخوفة ذات
المقاطع والمتالف في غاية التحرز فان صاحب بضاعة الطاعات
قد قطع كل تلك العقبات وتحمل تلك المشقات حتى حصلت له
بضاعة من العبادات عزيزة شريفة فانه لا يخاف على بضاعته
تلك الا في هذه العقبة فان فيها مقاطع يحذر ان يسلب فيها
بضاعته ومتالف يحذر ان تبدو له منها افات تفسد عليه طاعته

ثم اعظمها خطراً واعمها وقوعاً هذان المقطعان اللذان هما الرياء
والعجب فلنذكر في كل واحد منهما اصولاً مقنعة نجردها لك لعلك
تكفى مؤنتهما باذن الله تعالى ان شاء واما الرياء فاذكر فيه اولاً
قول الله سبحانه الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير الآية كان الله سبحانه
يقول اني خلقت السموات والارض وما بينهما في كل هذه الصنايع
والبدايع والتفضيل بنظرك لتعلم اني قادر عالم وانت تغفل وتعرض
مع ما فيهما من العجايب والتقصير فلا تكتفي بنظري اليك وبعلمي
بك وثنائي عليك وشكري لك حتى تحب ان يعلم الخلق ليمدحوك
بذلك ايكون ذلك وفاءً ويكون ذلك عقلاً من رضاه احد لنفسه
ويحك افلا تعقل والاصل الثاني ان من كان له جوهر نفيس
يمكنه ان يأخذ في ثمنه الف الف دينار فباعه بفلس البيس
يكون ذلك خسراناً عظيماً وغبناً فظيعاً ودليلاً بيناً على خسة
الهمة وقصور العلم وضعف الرأي وقلة العقل فما بال العبد
يعلمه من الخلق من مدحة وحطام من الدنيا بالاضافة الى رضا رب العالمين
وشكره وثنائه وثوابه لاقل من فلس واحد في جنب الف
الف دينار بل في جنب الدنيا وما فيها واكثر الا يكون من
الخسران المبين ان تفوت نفسك تلك الكرامة الموفرة
الشريفة بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان كان ولابد

لك

لك من هذه الخسيسة فان قصدت الاخرة تتبعك الدنيا
بل اطلب الرب وحده يعطيك الدارين اذ هو مالكهما
جميعاً وذلك قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يعطي الدنيا بعمل الاخرة ولا يعطي الاخرة بعمل
الدنيا فاذا انت اخلصت النية وجردت الهمة للاخرة
حصلت لك الدنيا والاخرة جميعاً وان انت اردت
الدنيا ذهبت عنك الاخرة في الوقت وربما لا تنال
الدنيا كما تريد وان نلتها فلا تبقى لك فتكون قد خسرت
الدنيا والاخرة فتأمل ايها العاقل والاصل الثالث انه
المخلوق الذي لاجله تعمل ورضاه تطلب لو علم انك تعمل
لاجله لابغضك وسخط عليك واستهان بك واستخف بك
وكيف يعمل العاقل لاجل من لو علم انه يطلب رضاه لسخط
عليه واهانه فاعمل يا مسكين لاجل من اذا عملت لاجله و
قصدته بسعيك وطلبت رضاه بذلك احبك واكرمك
واعطاك حتى ارضاك واغناك عن الكل وكفاك فهذه
فافطن لها ان كنت تعقل والاصل الرابع ان من حصل له شيء
يمكن ان يكتسب به رضى اعظم ملك في الدنيا وطلب به رضا
كناس خسيس بين الناس فيكون ذلك دليلاً على السفه

ورداءة الرأي منه وسوء الحظ له ويقال له ما حاجتك الى
رضا هذا الكناس مع امكانك من رضا الملك فكيف وقد
سخط الكناس عليك بسبب سخط الملك ففاتك الكل فهذا
حال المرائي فاي حاجة الى رضا مخلوق حقير ضعيف مهين و
هو متمكن من تحصيل رضوان رب العالمين الكافي عن الكل فاذا
ضعفت الهمة وكلت البصيرة حتى طلبت رضا مخلوق لا محالة
فسبيلك ان تجرد ارادتك وتخلص سعيك لله فان القلوب
والنواصي بيده فهو يميل اليك القلوب ويجمع لك النفوس
ويشحن من حبك الصدور وتنال من ذلك ما لا تناله بجهدك
وقصدك وان لم تفعل وقصدت بعملك رضى المخلوقين
دون سبحانه وتعالى فانه يصرف عنك القلوب وينفر عنك
النفوس ويسخط عليك الخلق جميعا فيحصل لك بهذه الامور
سخط الله وسخط الناس جميعا فيا له من خسران وحرمان
ولقد ذكر عن الحسن انه قال كان رجل يقول والله لاعبدن
الله عبادة اذكر بها فكان اول داخل في المسجد واخر خارج منه
لا يراه احد حين الصلوة الا قائما يصلي وصائما لا يفطر ويجلس
الى حلق الذكر فلبث كذا سبعة اشهر فكان لا يمر بقوم الا قالوا
فعل الله بهذا المرائي وصنع فاقبل على نفسه باللوم وقال لها
اني اراني في غير شيء لاجعلن عملي كله لله فلم يزد على عمله الذي

كان

كان يعمل قبل ذلك الا انه تغيرت نيته الى الخير فكان بعد
ذلك يمر بالناس فيقولون رحم الله فلانا الآن قد اقبل
على الخير ثم قرأ الحسن ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا وقال يحبهم ويحببهم الى المؤمنين
وقد صدق القائل يا مبتغي الحمد والثواب بعمل يبتغي
الحلالا قد خيب الله ذا رياء وابطل السعي والكلالا من
كان يرجو لقاء رب اخلص من خوفه الفعالا الخلد والنار
في يديه فانه يعطيك النوالا والناس لا يملكون شيئا
فكيف رأيتهم ضلالا واما العجب فلنذكر فيه فصولا احدها
ان فعل العبد انما صارت له قيمة لما وقع من الله تعالى موقع
الرضا والقبول والا فترى الاجير يعمل طول النهار ويكد بدنه
والحارس يسهر طول الليل بدانقين وكذلك اصحاب
الصناعات والحرف كل واحد يعمل في الليل والنهار
فيكون قيمة ذلك دراهم معدودة فان صرفت الفعل
الى الله فصمت لله يوما قال الله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وفي الخبر اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
فهذا يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم صارت
له هذه القيمة بتأخير غدائك الى العشاء ولو قمت ليلة لله تعالى

قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا
ای من فرح نعمة ودولة
يعملون فهذا الذي قيمته دانقان او درهمان صار له كل
هذه القيمة والقدر بل لو جعلت لله ساعة تصلي فيها
ركعتين خفيفتين بل نفسا قلت لا اله الا الله قال الله تعالى
ومن يعمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون
الجنة يرزقون فيها بغير حساب فهذه ساعة من انفاسك
التي لا قيمة لها عند اهل الدنيا ولا عندك فكم تضيعها في لا شيء
وكم تمر عليك بلا فائدة صار لها كل هذا القدر الكبير لما ان
انه وقع مرضيا لله تعالى فعظم قدره وكثر قيمته بفضله فحق اذا
للعاقل ان يرى حقارة عمله وقلة مقداره من حيث هو وان
لا يرى الا منة الله تعالى عليه فيما شرف من قدر عمله واعظم من اجره
وان يحذر على فعله من ان يقع على وجه لا يصلح له ولا يقع منه
موقع الرضى فتذهب عنه القيمة التي حصلت له ويعود الى
ما كان في الاصل من الثمن الحقير من دراهم او دوانق او دانق
واحقر واخس من ذلك ومثاله ان العنقود من العنب
والاضبارات من الريحان يكون قيمته في السوق دانقا فاذا
اهداه واحد الى الملك دستجة فوقع منه موضع الرضا فيهب
له على ذلك الف دينار لما وقع من الملك موقع الرضا فصار
ما قيمته حبة بالف دينار فاذا لم يرضه الملك ورده عليه رجع

الى قيمة

الى قيمته الخسيسة من حبة او دانق فكذلك ما نحن فيه فتنبه
وابصر منة الله وحسن فعاله عما تنسبه عند الله والاصل
الثاني ما تعلم ان الملك في الدنيا اذا اجرى على احد جراية
من طعام او كسوة او دراهم او دنانير معدودة فانية فانه
يستخدمه بضروب الخدمة اناء الليل والنهار مع ما في ذلك
من الذل والصغار ويقوم على راسه حتى تخدر رجلاه ويسعى
بين يديه اذا ركب وربما يحتاج ان يكون على بابه طول
النهار حارسا وربما يبدو له عدو فيحتاج ان يقاتل عدوه
فيبذل روحه التي لا خلف عنها لاجله كل هذه الخدمة والكلفة
والخطر والضرر لاجل تلك المنفعة النكدة الحقيرة مع انها
بالحقيقة من الله تعالى وانما هو بمنزلة سبب في ذلك فربك
الذي خلقك ولم تك شيئا ثم رباك واحسن اليك التربية
ثم انعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة في دينك ونفسك
ودنياك ما لا يبلغ كنهها فهمك ووهمك قال الله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها ثم انك تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعايب
والآفات ومع ما وعد عليهما في المستقبل من حسن الثواب
وضروب الكرامات حتى تستعظم ذلك وتعجب به فليس هذا
من شان عاقل اذا نظرت فهذه هذه الاصل الثالث ان الملك
الذي من شانه ان يخدمه الملوك والامراء ويقوم على راسه

للسادات والعظماء ويتولى خدمة الاشراف والحكماء ويطلب
مدحته العقلاء والعلماء ويمشي بين يديه الاكابر والرؤساء
اذا اذن لسوقي او قروي بمقتضى رأفة له ورحمة وعناية
له في بابه حتى زاحم اولئك الملوك والسادات والاكابر
والافاضل في خدمته ومدحته ويجعل له مقاما في حضرته معلوما
وينظر الى خدمته بعين الرضا وان كانت مشوشة معيوبة
اليس يقال له لقد كثرت على هذا الحقير المنة من الملك وعظمت
عنايته به فان اخذ هذا الحقير يمن على الملك بتلك الخدمة المعيوبة
ويستعظم ذلك ويعجب به الا يقال انه ذلك لسفيه جدا او مجنون
لا يعقل شيئا ولما تقرر هذا فان الهنا سبحانه هو الملك الملك
يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء
الا يسبح بحمده وهو المعبود الذي يسجد له من في السموات والارض
طوعا وكرها فمن الخدم على بابه جبرائيل الامين وميكائيل واسرافيل
وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون والروحانيون وسائر
الملائكة المقربين الذين لا يحصي عددهم الا الله رب العالمين
في منازلهم الرفيعة وانفسهم الطاهرة وعباداتهم العظيمة ثم من
الذين هم خدمة على بابه ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى و
محمد خير العالمين مع سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله
عليهم اجمعين في مراتبهم المنيفة ومناقبهم العزيزة الشريفة ومقاماتهم

الكريمة

الكريمة وعباداتهم الجليلة الخطيرة ثم من العلماء الائمة الابرار
والزهاد الاخيار في مراتبهم الفاخرة وابدانهم النقية الطاهرة
وعباداتهم الكثيرة الخالصة المتظاهرة واذل الخدم على
بابه ملوك الدنيا وجبابرتها يخرون له على الاذقان ساجدين
ويعفرون الوجوه في التراب خاضعين ويرفعون حوائجهم
اليه باكين ضارعين ويعترفون له بالعبودية والنقص
عانين ساجدين صاغرين حتى ربما ينظر اليهم نظرة ويقضي
لهم بفضله حاجة ويتجاوز عنهم بكرمه زلة فمع هذه العظمة
والاجلال والملك والكمال قد اذن لك في حضرته
وعبوديته وانت الذي لو استاذنت على رئيس بلدك فربما
لا ياذن لك وان كلمت امير ناحيتك فربما لا يكلمك وان
سجدت لسلطان بلادك بالارض فربما لا يلتفت اليك وقد
اذن لك جل جلاله حتى تعبده وتثني عليه وتخاطبه بل
تدل عليه بالمسئلة وتباسطه تستقضيه حاجتك وتستكفيه
مهماتك ثم انه يرضى بركعتين في معاينهما بل يعد من الثواب
عليهما ما لا يخطر بقلب بشر وانت مع ذلك تعجب بهاتين
الركعتين وتستكثر ذلك وتستعظم ولا ترى منة الله تعالى عليك
في ذلك فما اسواك من عبد وما اجهلك من انسان والله تعالى
المستعان واليه المشتكى من هذه النفس الجاهلة فعليه التكلان فهذه

هذه فصل وعلى وجه آخر الملك العظيم إذا أذن بإدخال
الهدايا عليه فيدخل بحضرته الأمراء والكبراء والرؤساء
والنبلاء والأغنياء بأنواع الهدايا من الجواهر الثمينة والذخائر
النفيسة والأموال الجليلة فإن جاء بقال بباقة بقل أو
ذو بسلة عنب يساوي دانقاً أو حبة فيدخل في حضرة
ويزاحم أولئك الأكابر والأغنياء بهداياهم الكثيرة الشريفة
وهذا الملك يقبل من هذا الحقير هديته وينظر إليه بنظر القبول
والرضى ويأمر له بالنفس خلعة وكرامة ألا يكون ذلك منه غاية
الفضل والكرم فإن أخذ هذا الحقير يمتن بذلك على الملك
ويعجب به ويستعظمه وينسى ذكر منة الملك ألا يقال إن هذا
مجنون مضطرب العقل أو سفيه سيء الأدب عظيم الجهل فالآن
إنك إذا أقمت ليلة وصليت ركعتان فإذا فرغت فتفكر
كم قام لله سبحانه وتعالى في هذه الليلة من الخدم في أقطار الأرض
برها وبحرها وجبالها وبلادها من أصناف المستقيمين والصديقين
والخائفين والمشتاقين والمجتهدين والعابدين والزاهدين و
المتضرعين وكم حضرت في هذه الساعة بباب الله سبحانه من
عبادة صافية وخدمة خالصة عن النفس خاشعة وألسن
طاهرة وعيون باكية وقلوب عامرة وصدور نقية وصلوات
إن كنت بذلت المجهود في تحسينها وإحكامها وإخلاصها فلا

نكاد

نكاد تصلح لحضرة هذا الملك العظيم ولا تتبين في جنب
تلك العبادات التي تعرض هنالك كيف وقد كانت منك
عن قلب غافل مختلط بأنواع العيوب وبدن نجس بأقذار
الذنوب ولسان متلطخ بأنواع المعصية والفضول وكيف
تصلح هذا أن يحمل إلى تلك الحضرة وكيف تستأهل أن يهدى
إلى رب العزة قال شيخنا رحمه الله انظر أيها الغافل هل وجدت
صلوة قط من صلواتك إلى السماء كأنه قد بعثتها إلى بيوت
الأغنياء وكان أبو بكر الوراق رحمه الله يقول ما فرغت قط
من صلوة إلا استحييت حين فرغت منها أشد من حياء امرأة حين
فرغت من الزنا ثم إن الرب الكريم سبحانه بمحض فضله وكرمه
عظم قدرها بين الركعتين ووعد عليهما من جزيل الثواب ما وعد
فأنت عبده وفي خزانته عملت ما عملت بتوفيقه وتيسيره
ثم مع ذلك تعجب به وتنسى منة الله تعالى عليك هذا والله عجب
العجب لا يكاد يذهب مثله إلا من جاهل لا فكر له وعن غافل لا
ذهن له أو قلب ميت جاف لا خير فيه فهذه نسأل الله حسن
الكفاية بمنه وفضله فصل ثم أقول بعد هذه الجملة تيقظ من
رقدتك أيها الرجل في هذه العقبة وإلا كنت من الخاسرين
فإن هذه العقبة أشد وأشق وأمر وآخر عقبة استقبلتك
في هذه الطريق إذ إليها تنتهي ثمرة كل ما مضى من العقبات فإن

سلمت غنمت وربحت وان كانت الاخرى فقد ضاع السعي
كله وخاب الامل وبطل العمر ثم ان كله انه قد اجتمع في هذه
العقبة ههنا ثلثة امور الاول ان الامر دقيق جدا والغبن شديد
والخطر عظيم اما دقة الامر فان مجاري الريا والعجب في الاعمال
دقيقة خفية بالغاية فلا يكاد يتنبه لذلك الا الكل نحرير في امر الدين
بصير يقظان القلب متحرز وانى يطلع عليه الجاهل اللعوب
والغافل النؤم ولقد سمعت عن بعض علمائنا بنيسابور يحكي
ان عطا السلمي رحمه الله نسج ثوبا فاحكمه وحسنه جدا ثم حمله الى
السوق فوضعه فاسترخصه البزاز فقال ان فيه عيوبا كيت
وكيت فاخذه عطا وجلس يبكي بكاء شديدا فندم الرجل على
ذلك وجعل يعتذر اليه ويبذل له في ثمنه ما يريد فقال له
عطا ليس ذلك ما تظن اني انا عامل في هذه الصناعات
وقد اجتهدت في احكام هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى
لا يوجد فيه عيب فلما عرض على البصير بعيوبه ظهر فيه عيوبا
كنت عنها غافلا فكيف اعمالنا هذه اذا عرضت غدا الى
رب العالمين كم يبدو فيها من العيوب والنقصان التي
نحن اليوم عنها غافلون وعن بعض الصالحين رحمه الله
انه قال كنت ليلة في وقت السحر في غرفة بباب داري اقرأ
سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرايت شخصا نزل من السماء

والعلم صحيح

بيده

بيده صحيفة فنشرها بين يدي واذا فيها سورة طه واذا
تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فاني
رايت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا فقلت والله لقد
قرات هذه الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا اراها اثبتت
فقال الشخص صدقت قد قراتها وكتبناها الا انا قد سمعنا
مناديا ينادي من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها
قال فبكيت في منامي فقلت لم فعلتم ذلك فقال مر رجل
فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها فهذه هذه اما شدة
الغبن فلان الريا والعجب آفة عظيمة تقع في لحظة فربما يفسد
عليك عبادة سبعين سنة وحكي ان رجلا اضاف سفيان الثوري
رحمه الله واصحابه فقال لاهله هاتوا الطبق لا الذي اتيت به في
الحجة الاولى بل الذي اتيت به في الحجة الثانية فنظر اليه سفيان
وقال مسكين قد افسد عليه بهذا حجتيه ووجه آخر في الغبن
ان اقل طاعة سلمت من هذا الريا والعجب يكون لها عند الله تعالى
من القيمة ما لا نهاية له واكثر طاعة اذا اصابتها هذه الآفة
بقيت لا قيمة لها الا ان يتداركها الله تعالى على ما روي عن علي
رضي الله عنه انه قال لا يقل عمل لله البتة وكيف يقل عمل مقبول
وسئل النخعي عن عمل كذا وكذا ما ثوابه قال اذا قبل لا يحصى ثوابه
وعن وهب قال فيمن قبلكم رجل عبد الله تعالى سبعين سنة صائما

يقطع من سبب الى سبب فطلب من الله حاجة فلم تقض فاقبل
على نفسه وقال من قبلك اوتيت ولو كان عندك خير قضيت
حاجتك فانزل الله ملكا فقال يا ابن ادم ساعتك التي
ازدريت فيها نفسك خير من عبادتك التي مضت قلت
فلينظر العاقل الى هذا الكلام اليس من الغبن ان واحدا يكدح
ويتعب سبعين سنة واخر يتفكر ساعة واحدة فيكون فكره
ساعة افضل من سبعين سنة وخيرا اليس من الغبن العظيم انك
متمكن في ساعة خير من سبعين سنة وتترك ذلك من غير حاجة
بلى انه لاعظم الغبن وان اغفاله لاشد خسرانا وان الخصلة
التي لها هذه القيمة والخطر يجب ان يحذر منه ويجتنب ولمثل
هذا المعنى انما وقع نظر اولي الابصار من العباد في مثل هذه
الدقايق واهتموا بمثل هذه الاسرار بمعرفتها اولا ثم رعايتها
والتحفظ عنها ثانيا ولم تغنهم كثرة الاعمال الظاهرة وقالوا
الشان في الصفوة لا في الكثرة وقالوا جوهرة واحدة خير
من الف خرزة واما الذين قل علمهم وقل في هذا الباب نظرهم
جهلوا المعاني واغفلوا ما في القلوب من العيوب واشتغلوا
باتعاب النفوس في الركوع والسجود والامساك من الطعام
والشراب ونحوه فهمتهم العدد والكثرة ولم ينظروا الى ما فيها
من المخ والصفوة وما يغني عدد الجوز ولا لب فيه وما ينفع

رفع

رفع السقوف ولم تحكم مبانيها وما يعقل هذه الدقايق
الا العالمون بالله المكاشفون والله ولي التوفيق والهداية
بفضله واما عظم الخطر فمن وجوه احدها ملك لا نهاية لجلاله
وعظمته وله عليك نعم لا تعد ولا تحصى وبدن معيوب بعيوب
خفية مؤوف بافات كثيرة وامر مخوف ان وقع لك ذلل
مع تسارع النفس اليه فتحتاج ان تستخرج عملا صافيا سالما من
بدن معيوب ونفس مياله الى الشر امارة بالسوء على وجه
يصلح لرب العالمين في جلاله وعظمته وكثرة اياديه ومننه
ويقع منه موقع الرضا والقبول والا فيفوتك الربح العظيم
الذي لا تسمح النفس بفوته بل ربما تصيبك مصيبة لا طاقة
لك بها وهذا والله شان عظيم وخطب جسيم اما جلال الملك
وعظمته بحيث ان الملائكة المقربين الابرار قائمون له بالخدمة
اناء الليل والنهار حتى ان منهم من هو منذ خلقه الله تعالى في قيام
ومنهم من هو في ركوع ومنهم من هو في سجود ومنهم من هو في تسبيح
وتهليل فلا يتم القائم قيامه ولا الراكع ركوعه ولا الساجد سجوده
ولا المسبح تسبيحه ما دام به صوته الى نفخة الصور ثم لو فرغوا من
هذه الخدمة العظيمة نادوا بجمعهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك
وهذا سيد المرسلين وخير العالمين اعلم الخلق وافضلهم محمد صلى
الله عليه وسلم يقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على

نفسك يقول انا لا اقدر اثني عليك ثنا انت له اهل فضلا عن
ان اعبدك كما انت له اهل وهو الذي يقول ليس احد يدخل
الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان
يتغمدني برحمته واما النعم والايادي فكما قال الله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها وعلى ما روي انه يحشر الناس على ثلثة
دواوين ديوان الحسنات وديوان السيئات وديوان النعم
فيقابل الحسنات بالنعم ولا يؤتى بحسنة الا اوتي بنعمة حتى تنفد
الحسنات وتبقى السيئات والذنوب فلله فيها المشية واما
عيوب النفس وآفاتها فقد قدمناها في بابها والامر المخوف انه
العبد يكدح ويدأب سبعين سنة غافلا عن عيوبه وآفاته فربما
لا يكون واحد منها مقبولا وربما يتعب اعواما فيفسد بساعة
واحدة واعظم خطرا من ذلك كله انه ربما ينظر الله سبحانه الى
العبد وهو يرائي الناس بعبادته وخدمته وجعل ظاهره لله
وقلبه وباطنه للخلق فيطرده طردا لا مرد له والعياذ بالله و
لقد سمعت بعض العلما يحكي عن الحسن البصري رحمه الله انه
رؤي في المنام بعد موته فسئل عن حاله فقال اقامني الله تعالى
بين يديه وقال يا حسن اتذكر يوم كنت تصلي في المسجد اذ رمقك
الناس بابصارهم فزدت حسنا لصلوتك فلولا ان اول
صلوتك لي خالصا لطردتك اليوم عن بابي ولقطعتك عني مرة

واحدة

واحدة ولما كان الامر في الجملة فيه من الدقة والصعوبة الى
حد عظيم نظر اولوا الابصار فيه فخافوا على انفسهم حتى
ان منهم من لا يلتفت الى جميع ما يظهر للناس من اعماله حتى
حكي رابعة انها قالت ما ظهر من اعمالي لا اعده شيئا وقال
آخر اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك وآخر يقول ان امكنك
ان تجعل لك خبيئا من الخير فافعل ولقد حكي انه قيل لرابعة
بم ترجين اكثر ما ترجين فقالت بيأسي من جل عملي وحكي انه
اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار فقال مالك اما طاعة
او النار فقال محمد بن واسع اما رحمة الله او النار فقال مالك
ما احوجني الى معلم مثلك وعن ابي يزيد البسطامي رحمه الله انه
قال كابدت العبادة ثلثين سنة فرأيت قائلا يقول لي يا
ابا يزيد خزائنه مملوة من العبادة ان اردت الوصول اليه
فعليك بالذلة والاحتقار وسمعت الاستاد ابا الحسن رحمه الله
يحكي عن الاستاد ابي الفضيل رحمه الله انه كان يقول انني اعلم
ان ما اعمله من الطاعات غير مقبولة عند الله تعالى فقيل له
في ذلك فاجاب انني اعلم ما يحتاج اليه الفعل حتى يكون مقبولا
واعلم اني لست اقوم بذلك فعلمت انها غير مقبولة فقيل له
فلم تفعلها قال عسى ان يصلحني الله تعالى يوما فتكون النفس
متعودة لفعل الخير فلا احتاج الى ان اعودها ذلك من الرأس

لعدم

وهذه حال هؤلاء الاعلام وذوي المجاهدات والاقدام فاطلب لنفسك صحبة مع غيرهم ۰ ووقع الاياس وخابت الامال ۰ هيهات تدرك بالقوافي سادة ۰ كدوا النفوس وساعدوا الاقبال ۰ ثم رأيت ان اثبت ههنا الخبر المأثور عن الصادق المصدق صلوات الله عليه وسلامه وقد ذكرنا في غير كتاب روى عن ابن المبارك عن رجل انه قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظته وذكرته في كل يوم من شدته ودقته قال نعم ثم بكى طويلا ثم قال واشوقاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى لقائه ثم قال بينما انا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ركب واردفني ثم سرنا فرفع بصره الى السماء وقال الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما يشاء يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين قال احدثك بحديث ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته انقطعت حجتك عند الله عز وجل يا معاذ ان الله خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات لكل سماء ملكا وجعل على كل باب من ابواب السماء ملكا بوابا على قدر الباب وجلالته فتصعد الحفظة بعمل العبد وله نور وشعاع كالشمس حتى اذا بلغ سماء الدنيا والحفظة تستكثر عمله وتزكيه فاذا انتهى الى الباب قال الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من يغتاب

الناس

الناس يتجاوزني الى غيري ثم تجيء الحفظة من الغد معهم عمل صالح له نور تستكثره الحفظة وتزكيه حتى انتهوا به الى السماء الثانية قال الملك البواب قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه اراد به عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري فتلعنه الملائكة حتى يمسي وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجا فيه صدقة وصيام وكثير من البر فتستكثره الحفظة وتزكيه فاذا انتهوا الى السماء الثالثة قال الملك البواب قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك صاحب الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما تزهر النجوم والكواكب الدري له دوي وتسبيح بصوم وصلوة وحج وعمرة فاذا انتهوا الى السماء الرابعة قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا الملك صاحب الاعجاب امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب فيه وتصعد الحفظة بعمل العبد يزف كما تزف العروس الى اهلها حتى اذا انتهوا الى السماء الخامسة بذلك العمل الحسن من جهاد وحج له ضوء كضوء الشمس فيقول الملك انا الملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد سخط ما رضي الله امرني ربي ان

لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وتصعد الملائكة بعمل العبد
بوضوء تام وصلوة كثيرة وصيام وحج وعمرة فيتجاوزونه
به الى السماء السادسة فيقول الملك الموكل بالباب انا صاحب
الرحمة قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لم يرحم
قط انسانا وانا اصيب عبد شمتت به امرني ربي ان لا ادع عمله
يتجاوزني الى غيري وتصعد الملائكة بعمل العبد بنفقة كثيرة و
صوم وصلوة وجهادا وورع له صوت كصوت الرعد وضوء واجتهادا
كضوء البرق فاذا انتهوا الى السماء السابعة فيقول الملك الموكل
انا صاحب الذكر ان صاحب هذا العمل اراد به الذكر في المجالس
والرفعة عند القراء والجاه عند الكبراء امرني ربي ان لا ادع
عمله يتجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء
ولا يقبل الله عز وجل عمل المرائي وتصعد الحفظة بعمل العبد من
صلوة وزكوة وحج وصيام وعمرة وخلق حسن وصمت
وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى تقطع الحجب
كلها الى الله سبحانه فيقفون بين يدي الرب جل جلاله ويشهدون
له بالعمل الصالح المخلص فيقول الله انتم الحفظة على عمل عبدي
وانا الرقيب على ما في نفسه انه لم يردني بهذا العمل ولا اخلصه
لي وانا اعلم بما اراد بعمله عليه لعنتي غر الادميين وغركم ولم يغرني
وانا علام الغيوب المطلع على ما في القلوب لا يخفى علي

خافية

خافية ولا تعزب عني عازبة علمي بما كان كعلمي بما لم يكن
وعلمي بما مضى كعلمي بما بقي وعلمي بالاولين كعلمي بالاخرين
اعلم السر واخفى فكيف يغرني عبدي بعمله انما يغر المخلوقين
الذين لا يعلمون وانا علام الغيوب عليه لعنتي ويقول الملائكة
السبعة والثلاثة الالاف المشيعون يا ربنا عليه لعنتك
ولعنتنا فيقول اهل السماء عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين
ثم بكى معاذ رضي الله عنه وانتحب انتحابا شديدا وقال
يا رسول الله كيف النجاة مما ذكرت فقال يا معاذ اقتد
بنبيك في اليقين قلت انت يا رسول الله وانا معاذ بن جبل
كيف لي بالنجاة والخلاص قال نعم يا معاذ ان كان في عملك
تقصير فاقطع لسانك عن الوقيعة في الناس وعن اخوانك
من حملة القران خاصة وليردك عن الوقيعة في الناس
ما تعلمه من عيب نفسك ولا تزك نفسك بذم اخوانك
ولا ترفع نفسك بوضع اخوانك ولا تراء بعملك كي تعرف
في الناس ولا تدخل في الدنيا دخولا ينسيك امر الاخرة و
لا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك
خيرات الدنيا والاخرة ولا تفحش في مجلسك حتى يحذروك
من سوء خلقك ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب
جهنم قوله تعالى والناشطات نشطا قال تنشط اللحم عن العظم قلت

النحيب رفع الصوت بالبكاء وقد
نحب بالكسر نحيبا والانتحاب
مثله منه الصحاح

يا رسول الله من يطيق بهذه الخصال قال يا معاذ ان الذي وصفت
لك ليسير على من يسره الله تعالى عليه وانما يكفيك من ذلك ان
تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك فاذا
انت قد سلمت قال خالد بن معدان وكان معاذ لا يكثر من تلاوة
القران كما يكثر من تلاوة هذا الحديث وذكره في مجالسه فلما سمعت
ايها الرجل هذا الحديث العظيم نباؤه الكريم خطره الاليم اثره الذي
تطير له القلوب وتحير له العقول وتضيق عن حمله الصدور وتجزع
من هوله النفوس فاعتصم بمولاك رب العالمين والزم الباب
والتضرع والابتهال والبكاء اناء الليل واطراف النهار مع المتضرعين
المبتهلين فانه لا نجاة من هذا الامر الا برحمته ولا نجاة ولا سلامة
من هذا البحر الا بنظره وعنايته فتنبه من رقدة الغافلين واعقل الامر
حقه وجاهد نفسك في هذه العقبة المخوفة لعلك لا تهلك مع
الهالكين والمستعان بالله تعالى على كل حال فانه خير معين وهو تعالى
ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **فصل** وجملة
الامر انك اذا احسنت النظر ورايت قدر طاعة الله تعالى ورايت
عجز الخلق وضعفهم وجهلهم فلا تلتفت اليهم بقلبك وكن زاهدا
في ثنائهم ومدحتهم وتعظيمهم الذي لا فائدة تحته فلا تريد بطاعتك
شيئا من ذلك ورايت خسة الدنيا وحقارتها وسرعة زوالها
فلا تريدها ايضا بطاعتك من الله تعالى وتقول يا نفس انت ترب

العالمين

العالمين وشكره واعزازه خير ام ثناء المخلوقين العاجزين الجاهلين
الذين لا يعرفون قدر عملك بالحقيقة وما تخلصت فيه وما بلغت
حقك فيما عملت وتخلصت بل ربما يفضلون عليك من
هو دونك حالا بالف درجة ويضيعونك في احوج الاوقات
اليهم ويشنؤونك وان لم يفعلوا ذلك فما عسى ان يكون
بايديهم والى ماذا تبلغ قدرتهم ثم هم في قبضة الله تعالى يصرفهم
كيف يشاء والى ما يشاء فاعقلي ايتها النفس ولا تضيعي
طاعتك العزيزة بهم ولا يفوتك ثناء من ثناؤه كل فخر وعطاء من
عطاؤه كل ذخر ولقد صدق القائل سهر العيون لغير وجهك
باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع وقل يا نفس اجنة الخلد
خير ام لطخة من حطام الدنيا وحطامها النكد الفاني وانت متمكنة
من ان تحصلي بطاعتك هذا النعيم المقيم فلا تكوني خسيسة الهمة
ردية الارادة دنية الافعال اما ترين الحمام اذا كان سماويا
كيف تعلو قيمته ويزداد قدره فارفعي بهمتك كلها الى السماء
وجردي قلبك لله تعالى الواحد الذي بيده الامر كله ولا تضيعي
ما ظفرت به من طاعتك بلا شيء وكذلك اذا احسنت التامل
ورايت ايادي الله تعالى ومننه العظام عليك في هذه الطاعة
بان امكنك منها واعطاك الالة اولا ثم ازاح العوائق حتى
تفرغت لهذه الطاعة ثانيا ثم خصك بالتوفيق والتاييد

ويسرها عليك وزينها في قلبك حتى عملتها ثانيا ثم مع جلاله
وعظمته واستغنائه عنك وعن طاعتك وكثرة نعمه عليك
اعد لك على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل والثواب العظيم الذي
لا تستحقه رأسا ثم شكرك على ذلك واثنى عليك واحبك
بذلك حاشا هذه كلها بفضله العظيم لا غير والا فبأي استحقاق
لك واي قدر لعملك الحقير المعيوب فاذكري ايتها النفس منة
ربك الكريم الرحيم سبحانه فيما احسن اليك في هذه الطاعة واستحي
من ان تلتفتي الى عمل بل الفضل والمنة لله تعالى علينا بكل حال ولا يكون
لك شغل بعد هذه الطاعة الا التضرع والابتهال الى الله سبحانه
بان يتقبلها اما تسمعين قول خليله ابراهيم عليه السلام لما فرغ
من خدمته في بناء بيته كيف ابتهل اليه في ان يتفضل عليه بالقبول
فقال ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم فلما فرغ من دعائه
قال ربنا وتقبل دعائي فلئن منّ عليك بقبول هذه البضاعة
المزجاة فلقد اكمل المنة واعظم النعمة ويا لك من سعادة ودولة
وعز ورفعة وكم تزين لذلك من خلعة ونعمة وذخر وكرامة و
ان تكن الاخرى فيا لك من خسران وغبن وحرمان فاهتمي و
اشتغلي بهذا الشان فاذا واظبت على مثل هذا وكررته على قلبك
عند الفراغ من طاعتك واستعنت بالله تعالى صرفك عن الالتفات
الى الخلق والنفس وشغلك عن المرائات والاعجاب بعونك

على محض

على محض الاخلاص لله تعالى في الطاعات والتمسك بذكر
منة الله تعالى عليك في جميع الحالات ان يحصل لك فيما ارجو
ارجي طاعات طاهرة لا عيب فيها وخيرات خالصة لا شوب
فيها وعبادات مقبولة لا نقص فيها يعتورها بل مثل هذه
الطاعة وان حصلت في العمر مثلا مرة واحدة لا غير فانها
بالحقيقة لكثيرة لعمري انها وان قل عددها فلقد كثر معناها
وعظم قدرها وكثر نفعها وطاب عقباها وان التوفيق لمثلها
عزيزة والفضل به لله تعالى على العبد لكثير واي هدية اجل من
هدية يقبلها رب العالمين واي سعي اكرم من سعي يشكره
ويثني عليه رب العالمين واي بضاعة اعز من بضاعة اختارها
ورضيها رب العالمين فتأمل ايها المسكين واياك ان تكون
من المغبونين واذا جرى الامر على هذه الجملة كنت من المخلصين
لله تعالى الخالصين الذاكرين لمنته المرضيين وكنت قد خلفت
هذه العقبة المخوفة وسلمت من آفاتها وسبقت بخيراتها
وثمراتها فائزا على الابد بكراماتها وسعاداتها والله سبحانه
ولي التوفيق والعصمة بمنه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
العقبة السابعة وهي عقبة الحمد والشكر ثم عليك وفقك
الله واياك بحسن توفيقه بعد قطع هذه العقبات والظفر بالمقصود
من العبادة السالمة من الآفات بالحمد والشكر لله تعالى على هذه النعمة

العقبة السابعة

العظيمة والمنة الكريمة وانما يلزمك ذلك لامرين احدهما الدوام
النعمة والثاني لحصول الزيادة واما دوام النعمة فلان الشكر
قيد النعم به تدوم وتبقى وبتركه تزول وتحول قال الله تعالى ان
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال جل من قائل
فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
يصنعون وقال سبحانه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم
وقال صلى الله عليه وسلم ان للنعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها
بالشكر واما حصول الزيادة فلما كان الشكر هو قيد النعمة فهو
ثمن الزيادة قال الله سبحانه لئن شكرتم لازيدنكم والذين اهتدوا
زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال السيد الحكيم
اذا راى العبد قد قام بحق نعمة يمن عليه باخرى ويراه اهلا لها
والا فيقطع ذلك النعمة عنه ثم النعم قسمان دنيوية ودينية فالدنياوية
ضربان نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع ان اعطاك المصالح والمنافع
وهي ضربان الخلقة السوية في سلامتها وعافيتها والملاذ الشهية
من المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها من فوائدها ونعمة الدفع
ان صرف عنك المفاسد والمضار وهي ضربان احدهما في النفس
بان سلمك من زمانتها وسائر آفاتها وعللها والثاني في دفع ما يلحقك
به من ضرر من انواع البوائق او يقصدك بسوء من انس او جن او سباع
او هوام ونحوها واما النعم الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة

فنعمة

فنعمة التوفيق ان وفقك اولا للاسلام ثم للسنة ثم للطاعة
ونعمة العصمة ان عصمك اولا عن الكفر والشرك ثم عن البدعة
والضلالة ثم سائر المعاصي وتفصيل ذلك لا يحصيه الا السيد
العالم الذي انعم عليك كما قال عز وجل وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وان دوام هذه النعمة كلها بعد ما تم بها عليك والزيادة
عليها من كل باب منها ما لا يبلغه وهمك كلها متعلق بشيء واحد
وهو الشكر والحمد لله تعالى وان خصلة يكون لها هذه القيمة ويكون
فيها كل هذه الفائدة لحقيق ان يتمسك بها من غير اغفال واهمال فانه
جوهر ثمين وكيميا عزيز والله ولي التوفيق والهداية بفضله ومنه
ورحمته فان قيل فما حقيقة الحمد والشكر وما معناهما وحكمهما فاعلم
ان العلماء فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل بان الحمد من اشكال
التسبيح والتهليل ويكون من مساعي الظاهرة والشكر من اشكال
الصبر والتفويض فيكون من مساعي الباطنة ولان الشكر يقابل
الكفران والحمد يقابل اللوم ولان الحمد اعم واكثر والشكر اخص
واقل قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور فثبت انهما
معنيان متميزان ثم الحمد هو الثناء على احد بالفعل الحسن وهذا
مقتضى كلام شيخنا رحمه الله واما الشكر فتكلموا في معناه واكثروا
فعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح
لرب الخلائق في السر والعلانية والى نحوه ذهب بعض مشايخنا

فقال الشكر هو اداء الطاعة في الظاهر والباطن ثم رجع الى
انه اجتناب المعاصي ظاهرا وباطنا وقال غيره الشكر هو الاحتراس
عن اختيار معاصي الله عز وجل بتحرس على قلبك ولسانك واركانك
حتى لا تعصي الله عز وجل بشيء من هذه الثلثة بوجه من الوجوه والفرق
بين قوله وبين قول الشيخ الاول انه جعل الاحتراس معنى مثبتا
زائدا على الاجتناب عن المعاصي واما الاجتناب عن المعاصي
ما هو الا ان لا يفعل المعصية عند دواعيها ولا يكون في نفسه
معنا محصلا يكون العبد به مشتغلا وعن الكفران معتصما وقال
شيخنا رحمه الله ان الشكر تعظيم المنعم على مقابلة نعمه على حد
يمنعه عن جفاء المنعم وكفرانه ولو قلت تعظيم المحسن على مقابلة
احسانه ليصح ان يكون من الله تعالى الشكر للعبد المحسن وفيه تفاصيل
قد شرحناها في كتاب احياء علوم الدين وغيره ولكن التحصيل ان
الشكر من العبد تعظيم يمنع من جفاء من احسن اليه وذلك بتذكر
احسانه وحسن حال الشاكر في شكره وقبح حال الكافر في كفرانه
قلت ان اقل ما يستوجبه المنعم بنعمته ان لا يتوصل بها الى معصيته
وما اقبح حال من جعل نعمة المنعم سلاحا على عصيانه فعلى العبد
اذا من فرض الشكر في حقيقته ان يكون له من تعظيم الله سبحانه ما
يحول بينه وبين معاصيه على حسب تذكر نعمه فاذا اتى بذلك
فقد اتى بما هو الاصل فيه ثم يقابل ذلك بجد في الطاعة وجهد

في القيام

في القيام بالخدمة اذ هو من حقوق النعمة فلا بد من الاحتراس
عن المعصية وبالله التوفيق فان قلت فما موضع الشكر فاعلم
ان موضع النعم دينية ودنيا ونبه على اقدارها واما الشدائد
والمصائب في الدنيا في نفس او اهل او مال فتكلموا في ذلك
هل يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم العبد الشكر عليها
من حيث هي وانما يجب فيها الصبر واما الشكر فهو على النعمة
لا غير وقالوا ولا شدة الا وفي جنبها نعم الله تعالى فيلزم الشكر
على تلك النعم المقترنة بها دون نفس الشدة وتلك النعم ما قاله
ابن عمر رضي الله عنه ما ابتليت ببلية الا كان لله تعالى علي فيها
اربع نعم اذ لم تكن في ديني واذ لم تكن اعظم منها واذ لم احرم الرضى
واذ رجوت الثواب عليها وقد قيل ايضا من تلك النعم ان تلك
الشدة زائلة غير دائمة وانها من الله عز وجل دون غير الله تعالى
وان كانت بسبب مخلوق فانها لك عليه لا له فاذا يلزم العبد
الشكر على النعم المقترنة بالشدة وقال آخرون وهو الاولى عند
شيخنا رحمه الله ان شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها
لان تلك الشدائد نعم بالحقيقة بدليل انها تعرض العبد لمنافع
عظيمة ومثوبات جزيلة واعواض كريمة في العاقبة تتلاشى
في جنبها مشقة هذه الشدائد واي نعمة تكون اكثر من هذه ومثال
ذلك ان يسقيك دواء كريها مر المذاق شديدا او يفصدك او يحجمك

عليك صح

لعلة عظيمة مخوفة الخطر فيؤدي ذلك الى صحة النفس وسلامة
البدن وصفوة العيش فيكون ايلامه اياك بمرارة الدواء
او جراحة الفصد والحجامة نعمة بالغة بالحقيقة ومنة ظاهرة وان
كان في صورته مكروها تنفر عنه الطبع وتستوحش منه النفس
وانت تحمد الذي تولى منك هذا بل تحسن اليه ما امكنك وكذلك
حكم هذه الشدائد اما ترى النبي صلى الله عليه وسلم كيف حمد الله
وشكره على الشدائد بشكره على المسار حيث قال الحمد لله على
ما ساء وسر اما ترى كيف يقول جل جلاله وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما سماه الله خيرا فهو
اكثر مما يبلغه وهمك ويؤكد هذا القول ان النعمة ليست خيرا
عن اللذة وما تشتهيه النفس بمقتضى الطبع انما هو ما يزيد
في رفعة الدرجة ولذلك تسمى نعمة في معنى الزيادة واذا كانت
الشدة مما يصير سببا في زيادة شرف العبد ورفعة الدرجة
فتكون نعما بالحقيقة وان كانت تعد في الشدائد والمحن
بظاهرها فاعلم ذلك موفقا فان قلت فالشاكر افضل ام الصابر
فاعلم انه قد قيل ان الشاكر افضل بدليل قوله تعالى وقليل من
عبادي الشكور وجعلهم اخص الخواص وقال في نوح عليه السلام انه
كان عبدا شكورا وقال في ابراهيم عليه السلام شاكرا لانعمه ولانه
في منزلة الانعام والعافية ولذلك قيل لان انعم فاشكر احب

الى منزلة

الى من ان ابتلى واصبر وقيل بل الصابر افضل لانه اعظم مشقة
فيكون اعظم ثوابا وارفع منزلة قال الله تعالى انا وجدناه صابرا
نعم العبد وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب و
قال الله تعالى والله يحب الصابرين قلت ان الشاكر
بالحقيقة لا يكون الا صابرا والصابر بالحقيقة لا يكون الا
شاكرا لان الشاكر في دار المحنة لا يخلو من محنة يصبر عليها لا محالة
ولا يجزع فان الشكر تعظيم المنعم على حد يمنع من عصيانه والجزع
عصيان والصابر لا يخلو من نعمة لما ذكرنا ان الشدائد نعم
بالحقيقة على المعنى المقدم فانه شكر بالحقيقة اذ صبر لانه
حبس نفسه عن الجزع تعظيما لله وهذا هو الشكر بعينه اذ
هو تعظيم يمنع من العصيان ولان الشاكر يمنع نفسه من الكفران
فصبر عن المعصية وحمل نفسه على الشكر وصبر على الطاعة
فصار صابرا على الحقيقة والصابر عظم الله تعالى حتى منعه
تعظيمه من الجزع فيما اصابه وحمله على الصبر فقد شكر الله تعالى
فصار شاكرا بالحقيقة ولان حبس النفس عن الكفران مع
قصد النفس لها شدة يصبر عليها الشاكر وتوفيق الصبر
والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر فاحدهما لا ينفك عن الآخر
ولان البصيرة الباعثة عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة
في قول بعض علمائنا من هذه الوجوه فلما ان احدهما لا ينفك

عن الآخر فاعرف هذه الجملة وبالله التوفيق **فصل** فعليك
أيها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة اليسيرة المؤنة
الكثيرة الجدوى الوفيرة العنصر العظيمة القدر وتأمل أصلين
أحدهما أن النعمة إنما تعطى من يعرف قدرها وإنما يعرف
قدرها الشاكر ودليل ما قلناه قوله سبحانه في الحكاية عن الكفار
والرد عليهم أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم
بالشاكرين ظنّ أولئك الجهال أن النعمة العظيمة والمنة الكريمة
إنما تعطى من يكون أكثرهم مالاً وأشرفهم حسباً ونسباً فقالوا
ما بال هؤلاء الفقراء من عمكم من العبيد والأحرار أعطوا هذه النعمة
العظيمة من عمكم دوننا فقالوا على طريق الاستكبار ومجرى الاستهزاء
أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا فأجابهم الله بهذه النكتة الزاهرة
فقال أليس الله بأعلم بالشاكرين تقدير الكلام أن السيد الكريم
إنما يعطي نعمته من يعرف قدرها وإنما يعرف قدرها من أقبل بنفسه
وقلبه واختارها على غيرها ولا يعبأ بما تحمل من أعباء المؤنة في
تحصيلها ثم لا يزال قائماً بالباب يؤدي شكرها وكان في علمه
السابق أن هؤلاء الضعفاء يعرفون هذه النعمة ويقومون
بشكرها فكانوا أولى بهذه النعمة منكم فلا اعتبار بغناكم ولا ثروتكم
ولا جاهكم في الدنيا ولا حشمتكم ولا نسبكم في الإنسان ولا حسبكم
إنما تحسبون النعمة كلها الدنيا وحطامها والحسب والنسب وعلوه

المعطى الكريمة مح

لا الدين

لا الدين والحق ومعرفته وإنما تعظمون ذلك وتفاخرون به
أما تعلمون أنكم لا تكادون تقبلون هذا الدين والعلم والحق
الآن منّة علي من أتاكم به وذلك لاستحقاركم ذلك وقلة
مبالاتكم به وترى هؤلاء الضعفاء يقتلون أنفسهم على ذلك
ويبذلون مهجهم فيه ولا يبالون بما فاتهم ومن عاداهم مع ذلك
لتعلموا أنهم هم الذين عرفوا قدر هذه النعمة ورسخ في قلوبهم
تعظيمها وهان عليهم فوت كل شيء دونها وطاب لهم احتمال
كل شدة يستغرقون فيها جميع العمر في شكره فلذلك استأهلوا هذه
النعمة الكريمة والمنة في سابق علمنا وخصصناهم بها دونكم
وهذه هذه ثم أقول وكذلك كل فريق من الناس خصّهم الله تعالى
بنعمة من نعم الدين علم أو عمل فإنك تجدهم بالحقيقة أعرف الناس
بقدرها وأشدهم تعظيماً لها وأجدّهم في طلبها وتحصيلها وأعظمهم
في إكرامها وأقومهم بشكرها والذين حرمهم ذلك فلقلة احتفالهم
وقلة تعظيمهم لحقها بعد القدر السابق فلو كان تعظيم العلم والعبادة
في قلوب السوقة والعامة مثل ما هو في قلوب العلماء المتعبدين
لما آثروا سوقهم عليه وهان عليهم تركه ألا ترى أن فقيهاً إذا
ظفر بتعلم مسألة كانت ملتبسة عليه كيف يرتاح قلبه ويعظم
سروره ويجل موقعها من قلبه حتى أنه ربما لو وجد ألف ألف
دينار ما كان يعدل ذلك وربما يهمه أمر مسألة في باب الدين

ويتفكر فيها سنة بل عشرا بل عشرين واكثر ولا يستكثر ذلك
ولا يمل حتى ربما رزقه الله تعالى فهم ذلك فيعده اكبر منة واعظم
نعمة ويرى نفسه بذلك اغنى كل غني واشرف كل شريف
بل ربما يتبين مثل هذه المسئلة لسوقي او متعلم كسلان يرى من
نفسه انه مثله في الرغبة والعلم والمحبة له فلا يستمع اليه حقه و
ربما ان طال عليه الكلام يمل ويسام وان تبين ذلك له فلا يعده
كبير امر وكذلك المنيب الى الله تعالى كم يجتهد ويدأب بالرياضة
وصيانة النفس من الشهوات واللذات والجام الاركان
في الحركات والسكنات عسى ان يتم الله تعالى له ركعتين في
ادب وطهارة وكم يتضرع الى الله تعالى عسى ان يرزقه ساعة
مناجاة بصفوة وحلاوة فلئن ظفر بذلك في شهر مرة بل
في سنة مرة بل في العمر كله مرة عد ذلك اكبر منة واعظم نعمة
فكم يسر وكم يشكر الله ولا يكترث بما قاساه من المشقات و
كابد من الليالي وهجر من اللذات فيها ثم ترى الذي يزعم انه
راغب في العبادة يحب ان يحصل له منها شيئا لو احتاج احدهم
في تحصيل مثل هذه العبادة الصافية الى ما فيه من نقصان
لقمة من عشائهم وترك كلمة لا تغنيهم او دفع نوم ساعة عن
اعينهم فلا تسمح انفسهم بذلك ولا تطيب قلوبهم وان اتفق
لهم في النادر حصول عبادة في صفوة فلا يعدونها خطيرا امر

لا يقدمون

لا يقدمون فيه كثير شكر وانما يعظم سرورهم ويكثر بالظاهر
حمدهم اذا حصل لهم درهم او استقامت لهم كسوة او طابت
لهم مرقة او طابت لهم في سلامة البدن رقدة ويقولون
عند ذلك الحمد لله هذا من فضل الله فاني يساوي هؤلاء الغافلون
العاجزون اولئك السعداء المجدين المجتهدين ولذلك صار هؤلاء
الساكنين عن هذا الخير محرومين واولئك المؤيدون به ظافرين
فائزين ولذلك قسم الله احكم الحاكمين سبحانه وهو اعلم بالعالمين
وهذا تفصيل قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فتفهم وراجعه
واعلم انك لن تحرم قط خيرا او انت تتمناه الا من قبل نفسك
فابذل مجهودك لتعرف قدر نعمة الله تعالى وتعظمها حق تعظيمها
فتكون اهلا لها ولاعطائها ثم يمن عليك بابقائها كما من عليك
بابتدائها على ما نذكره في الاصل الثاني **الاصل الثاني** ان النعمة
انما تسلب ممن لا يعرف قدرها والذي لا يعرف قدرها الكفور
الذي كفرها ولا يؤدي شكرها ودليل ذلك قوله تعالى واتل عليهم
نبا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من
الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه الاية تقدير هذا الكلام
انا انعمنا على هذا العبد بالنعم العظام والايادي الجسام في باب
الدين مما مكناه بذلك من تحصيل الرتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة
على بابنا فيصير رفيعا عندنا عظيم القدر كبير الجاه ولكنه جهل قدر

انه الرؤف الرحيم

نعمتنا فمال الى الدنيا الخبيثة المحقرة واثر شهوة نفسه الدنية
الردية ولم يعلم ان الدنيا كلها لا تزن عند الله عند ادنى نعمة
من نعم الدين جناح بعوضة وكان في ذلك بمنزلة الكلب الذي
لا يعرف الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف من الحقارة انما الكرامة
كلها عنده في كسرة يطعم او عراق مائدة يرمى اليه سوا تقعده على
سرير ملك او تقيمه في التراب والقذر بين يديك نعمته وكرامته
ونعمته كلها في ذلك فهذا العبد السوء اذ جهل قدر نعمتنا ولم يعرف
قدر ما اتيناه من كرامتنا فكلت بصيرته وسا في مقام القربة ادبه
بالالتفات الى غيرنا والاشتغال عن ذكر نعمتنا بدنيا حقيرة ولذة
خسيسة فنظرنا اليه نظر السياسة واحضرناه ميدان العدل وامرنا
فيه بحكم الجبروت فسلبناه جميع خلعنا وكرامتنا ونزعنا عن قلبه
موافقتنا فانسلخ عاريا من جميع ما اتيناه من فضلنا فصار كلبا طريدا
وشيطانا رجيما نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه انه بنا
منان رؤف رحيم ثم اقنع بمثال ملك يكرم عبدا له فخلع عليه خاصة
ثيابه ويقربه منه ويجلسه فوق سائر حجابه وخدامه وامره بملازمة
بابه ثم امر ان يبنى له في موضع اخر القصور وتوضع له الاسرة وتنصب
له الموايد وتزين له الجواري ويقام له الغلمان حتى اذا رجع من الخدمة
اجلس هنالك ملكا مخدوما مكرما وما بين حال خدمته الى ملكه
وولايته الا ساعة من نهار او اقل فان ابصر هذا العبد بجانب باب

الملك

الملك سايسا للدواب يأكل رغيفا او كلبا يمضغ عظما فيشتغل
عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله عليه ولا يلتفت الى ماله
من الخلع والكرامة فيسعى الى ذلك السايس ويمد يده ويسأله
كسرة من رغيفه او يزاحم الكلب على عظمه ويغبطهما ويعظم ما
هما فيه اليس الملك اذا نظر اليه على مثل هذه الحالة يقول ان هذا
سفيه لم يعرف حق كرامتنا ولم يقدر قدر اعزازنا اياه بخلعنا و
التقريب الى حضرتنا مع ما صرفنا اليه من عنايتنا وامرنا ان يرجم
وضرب الايادي ما هذا الا ساقط الهمة عظيم الجهل قليل التميز
اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا فهذا حال العالم اذا مال الى الدنيا
والعابد اذا اتبع الهوى فبعد ما اكرم الله تعالى بعبادته ومعرفة اياته
وشريعته واحكامه ثم لم يعرف قدر ذلك فيصير الى حقير شي عند الله
عز وجل واهونه عنده فيرغب فيه ويحرص عليه ويكون اعظم في قلبه
واحب اليه من جميع ما اعطى من تلك النعم الوفيرة من العلم والعبادة
والحكم والحقايق وكذلك من خصه الله تعالى بانواع توفيقه وعصمته
وزينه بانوار خدمته وعبادته ويديم اليه النظر بالرحمة في اكثر
اوقاته ويباهي به ملائكته فاعطاه على بابه القيادة والوجاهة
واحله محل الشفاعة وانزله منزلة الاعزة صار بحيث لو دعاه
اجابه ولباه ولو ساله اعطاه واغناه ولو شفع في عالم لشفعه
فيهم وارضاه ولو اقسم عليه لابره واوفاه ولو خطر بباله شي

لاعطاه قبل ان يسأله ثم كانت هذه حاله ثم لم يعرف
قدر هذه النعم ولم ينظر الى قدر هذه المنزلة فيعدل عن ذلك الى شهوة
نفس ردية لا حياء لها او لعقة من الدنيا الدنية التي لا بقاء لها
ولم ينظر الى تلك الكرامات والخلع والهدايا والمنن والعطايا
ثم ما وعد واعد له في الآخرة من الثواب العظيم والنعيم المقيم فما
احقرها من نفس وما اشقاه من عبد وما اعظم خطره لو علم وما اخس
صنيعه لو فهم نسأل الله الباري الرحيم ان يصلحنا بعظيم فضله وسعة
رحمته انه ارحم الراحمين فعليك ايها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف
قدر نعم الله تعالى عليك واذا انعم عليك بنعمة الدين فاياك ان
يلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك منك لا يكون الا لضرب
من التهاون بما اولاك ربك من نعم الدين اما تسمع قوله تعالى لسيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الآية تقريره
ان كل من اوتي القرآن العظيم حق له ان لا ينظر الى الدنيا
الحقيرة نظرة باستحلاء فضلا عن ان يكون له فيها رغبة وليلزم
الشكر على ذلك فانها الكرامة التي حرص خليله ابراهيم صلوات
الله عليه ان يمن بها على ابيه فلم يفعل وحرص حبيبه المصطفى
صلى الله عليه وسلم ان يمن بها على عمه ابي طالب فلم يفعل واما حطام
الدنيا فانه يعطيه على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق وجاهل

وفاسق

وفاسق الذين هم اهون خلقه عليه حتى غرقوا فيه ويصرفه عن
كل نبي وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم اعز خلقه عليه
حتى انهم لا يكادون يصيبون كسرة ولا خرقة ويمن عليهم
بان لا يلطخهم بقذرها حتى قال عز من قائل لموسى عليه السلام
ولو شئت ان ازينكما بزينة يعلم فرعون حين يراها ان مقدرته
تعجز عنها لفعلت ولكني ازوي عنكما الدنيا وارغب بكما عنه و
كذلك افعل باوليائي واني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي
الشفيق ابله عن مبارك الغرة واني لاجنبهم سلوتها وعيشها
وليس ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا حظهم من كرامتي
وقال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الآية فانظر الفرق
بين الامرين ان كنت مبصرا وقل الحمد لله الذي من علينا من
اوليائه واصفيائه وصرف عنا فتنة اعدائه ولتحض بالشكر
الاوفر والحمد الاكبر المنة الكبرى والنعمة العظمى التي هي الاسلام
فانها الاولى والاخرى بان لا تفتر ليلك ونهارك عن شكرها
فان كنت عاجزا عن عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة انك
لو خلقت من اول الدنيا واخذت في شكر الاسلام من اول
الوقت الى الابد لما كنت تقوم بذلك ولما قضيت بعض
الحق لما هناك من الفوز العظيم قلت واعلم ان الموضع لا يحتمل

ذكر ما يبلغه علمي من قدر هذه النعمة ولو امليت فيه الف الف
ورقة لكان مبلغ علمي فوق ذلك مع اعترافي بان ما اعلمه
في جنب ما لا اعلمه كنقطة في بحار الدنيا باسرها اما تسمع و
قوله تعالى لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان الى ان قال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما وقال للقوم بل الله يمن عليكم للايمان اما تسمع
قوله صلى الله عليه وسلم وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على الاسلام
فقال انك لتحمد الله على نعمة عظيمة ولما قدم البشير على يعقوب
عليه السلام قال على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال
الان تمت النعمة وقيل ما من كلمة احب الى الله تعالى ولا ابلغ
عنده في الشكر من ان يقول العبد الحمد لله الذي انعم علينا وهدانا
للاسلام واياك ان تغفل عن الشكر وتغتر بما انت عليه في
الحال من الاسلام والمعرفة والتوفيق والعصمة فان مع ذلك
لا موضع للامن والغفلة فان الامور بالعواقب وكان سفيان
الثوري رحمه الله يقول ما امن احد على دينه الا سلب وكان
شيخنا رحمه الله يقول اذا سمعت بحال الكفار وخلودهم في
النار فلا تامن على نفسك فان الامر على الخطر ولا تدري ماذا
يكون من العاقبة وماذا سبق لك في حكم الغيب ولا تغتر
بصفاء الاوقات فان تحتها غوامض الآفات وقال بعضهم

يامعشر

يا معشر المغترين بالعصم ان تحتها انواع النقم زين الله ابليس
بانواع عصمته وهو عنده في حقائق لعنته وزين بلعم بانوار
ولايته وهو عنده في حقائق عداوته وعن علي رضي الله عنه عداوته
كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مغبون بحسن القول فيه
وكم من مغرور بالستر عليه وقيل لذي النون ما اقصى ما يخدع به
العبد قال بالالطاف والكرامات كذلك قال الله سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر احسنت
ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر وسالمتك
الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر فاعلم
انك كلما صرت اقرب فامرك اصعب واخوف والمعاملة
اشد وادق والخطر عليك اعظم فان الشيء كلما كان ابلغ علوا
اذا انقلب كان اصعب وقوعا كما قيل ما طار طير فارتفع
الا كما طار وقع فاذا لا سبيل الى الامن واغفال الشكر وترك
الابتهال في الحفظ بحال وكان ابراهيم بن ادهم يقول كيف تامن
وابراهيم الخليل عليه السلام يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
ويوسف الصديق عليه السلام يقول توفني مسلما وكان سفيان
الثوري لا يزال يقول اللهم سلم سلم كانه في سفينة يخشى الغرق
وبلغنا عن محمد بن يوسف رحمه الله انه قال تاملت سفيان الثوري
ليلة فبكى الليل كلها فقلت بكاؤك هذا على الذنوب فقال

تبنا وقال الذنوب اهون على الله من هذا وانما اخشى ان يسلبنى
الاسلام والعياذ بالله وسمعت انا بعض العارفين يقول ان
بعض الانبيا سأل الله تعالى عن امر بلعم وطرده بعد تلك الايات
والكرامات فقال الله تعالى لم يشكرنى يوما من الايام على ما اعطيته
ولو شكرنى على ذلك مرة لما سلبته فتيقظ ايها الرجل واحفظ
ركن الشكر جدا جدا واحمد الله على منته فى الدين اعلاها الاسلام
والمعرفة وادناها مثلا توفيق تسبيح او عصمة عن كلمة لا تعنيك
عسى ان يتم نعمه عليك ولا يبتليك بمرارة الزوال فان امر
الامور واصعبها الاهانة بعد الاكرام والطرد بعد التقريب
والفراق بعد الوصال والله تعالى الماجد الكريم الرؤف الرحيم فصل
وجملة الامر انك اذا احسنت فى منن الله تعالى العظام عليك
واياديه الكرام الجسام لديك التى لا يحصرها قلبك ولا يحيط بها
وهمك حتى قطعت هذه العقبات الصعاب فوجدت العلوم
والبصائر وتطهرت من الاوزار والكبائر وسبقت العوائق
ودفعت العوارض وظفرت بالبواعث وسلمت من
القوادح فكم حصل لك فيها من خصلة شريفة ورتبة منيفة
اولها التبصير والتعريف واخرها التقريب والتشريف
فتامل فيها بمقدار عقلك وتوفيقك واشكر الله تعالى
جل جلاله على قدر طاقتك بان تشغل لسانك بحمده وثنائه

ونملا

وتملأ قلبك بعظمته ويبلغك مبلغا يحول بينك وبين عصيانه
ويبعثك على الخدمة له بما امكنك او بسعة طاقتك معترفا
بالقصور من حق انعامه واحسانه وكلما اغفلت شكره
او فترت او زللت عاودت واجتهدت وتضرعت
اليه وتوسلت وقلت يا الله يا مولاى كما بدأت بالاحسان
بفضلك من غير استحقاق فاتممه بفضلك ايضا من غير استحقاق
وتنادى به بندا الاولياء الذين وجدوا تاج هدايته وذاقوا
حلاوة موقفه فخافوا على انفسهم حرقة الطرد والاهانة ووحشة
البعد والضلالة ومرارة العزل والازالة وتضرعوا بالباب
مستغيثين ومدوا اليه الاكف مبتهلين ونادوا فى الخلوات
مستصرخين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا
من لدنك رحمة انك انت الوهاب قلت انا نقول والله
اعلم انا وجدنا منك نعمة فطمعنا فى اخرى لانك انت الجواد
الوهاب فكما وهبت لنا من نعمة الانعام فى الابتدا فهب لنا
رحمة الاتمام فى الانتهاء اما تسمع ويحك ان اول دعا علمه رب
العالمين عباده المسلمين الذين اصطفاهم من بين خلقه هذا
الدعا قوله اهدنا الصراط المستقيم اى ثبتنا عليه وادمه لنا
هكذا نتضرع اليه فان الخطر عظيم وقيل ان الحكماء نظروا فوجدوا
مصائب العالم ومحنها الى خمس المرض فى الغربة والفقر فى

الشيب والموت في الشباب والعمى بعد البصر والنكرة بعد
المعرفة وأحسن من ذلك قول من قال: لكل شيء إذا فارقته
عوض ۔ وليس لله إن فارقت من عوض ۔ ولغيره يقول: إذا
أبقت الدنيا على المرء دينه ۔ فما فاته منها فليس بضائر
وكذلك في كل نعمة أنعم بها عليك وتأييد أيدك به في
قطع عقبة من العقبات ليثبت عليك ما أعطاك ويزيدك
فوق ما تريد وتتمنى فإذا فعلت ذلك كنت قد خلفت
هذه العقبة الخطرة وظفرت بالكنزين الكريمين الوزيرين
اللذين هما الاستقامة والاستزادة فيدوم لك النعم الموجودة
التي أعطاكها فلا تخشى زوالها ويزيدك من النعم المفقودة التي
لم تعط بعد ما لا تحسن أن تسألها وتتمناها فلا تخشى فواتها و
كنت ح من العارفين العلماء بالدين التائبين الطاهرين في
الدنيا المتجردين للخدمة القاهرين للشيطان المتقين حق التقوى
بالقلب والأركان القاصرين الأمل الناصحين الخاشعين المتواضعين
المتوكلين المفوضين الراضين الصابرين الخائفين الراجين المخلصين
الذاكرين المنة الشاكرين لأنعم سيدك رب العالمين ثم
تصير بعد ذلك من المستقيمين المكرمين الصديقين فتأمل هذا
الكلام والله تعالى ولي التوفيق فإن قلت إذا كان الأمر
كذلك لقد قل من الناس العابد لهذا المعبود والواصل إلى هذا

تودح

المقصود

المقصود ومن الذي يقوى على هذه المؤن وتحصيل هذه
الشرائط فاعلم أن الله تعالى كذلك يقول وقليل من
عبادي الشكور ولكن أكثر الناس لا يشكرون لا يعقلون
لا يعلمون ثم إن ذلك يسير على من يسره الله تعالى عليه وعلى العبد
الاجتهاد وعلى الله سبحانه الهداية قال الله سبحانه والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإذا كان العبد الضعيف
يقوم بما قام عليه فما ظنك بربك القدير الغني الكريم الرحيم
فإن قلت فالعمر قصير وهذه عقبات طويلة شديدة فكيف
يبقى العمر حتى تكمل هذه الشرائط وتقطع هذه العقبات فلعمري
إن العقبات طويلة والشرائط فيها شديدة ولكن إذا
أراد الله تعالى أن يجتبي عبده قصر عليه طويلها وهون عليه شديدها
حتى يقول بعد قطعها ما أقرب هذا الطريق وأقصرها وما أهونه
هذا الأمر وأيسره وفي مثل ذلك قلت أنا عند وقوفي
على هذه الغاية علم المحجة واضح لمريده وأرى القلوب عن
المحجة في عمى ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة ولقد
عجبت لمن نجا حتى إن منهم من يقطع هذه العقبات في سبعين
سنة ومنهم من يقطعها في عشرين سنة ومنهم من يقطعها في
عشر سنين ومنهم من يحصل له في سنة ومنهم من يقطعها في
شهر بل في جمعة بل في ساعة حتى إن منهم من يحصل له في لحظة

بتوفيق خاص من الله تعالى وعناية سابقة اما تذكر اصحاب
الكهف كان مدتهم خطرة حيث رأوا التغير في وجه ملكهم
دقيانوس فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها الاية حصلت لهم المعرفة وابصروا ما في هذه الطريق
من الحقائق وقطعوا هذه الطريق فصاروا مفوضين متوكلين
مستقيمين اذ قالوا فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته
ويهيئ لكم من امركم مرفقا وكل ذلك انما حصلت لهم في
مقدار ساعة او لحظة اما تذكر سحرة فرعون ما كان مدتهم
الا لحظة حيث رأوا معجزة موسى عليه السلام فقالوا آمنا برب
العالمين رب موسى وهارون فابصروا الطريق وقطعوه حقه
فصاروا من ساعة الى ساعة بل اقل من العارفين بالله تعالى
الراضين بقضائه الصابرين على بلائه الشاكرين لآلائه
المشتاقين الى لقائه فنادوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون
ولقد حكينا ان ابراهيم بن ادهم رحمه الله كان على ما كان
عليه من امر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد هذه الطريق فلم يكن
الا مقدار سيره من بلخ الى مرو الروذ حتى صار بحيث اشار
الى رجل سقط من القنطرة في الماء الكثير هناك ان قف
فوقف الرجل مكانه في الهوى فتخلص وان رابعة البصرية
كانت امة كبيرة يطاف بها في سوق البصرة ولا يرغب

فيها احد

فيها احد لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم
فاعتقها فاختارت هذه الطريق واقبلت على العبادة
فما تمت لها سنة حتى زارها زهاد البصرة وقراؤها وعلماؤها
لعظم منزلتها واما الذي لم تسبق له العناية ولم تعامل بالفضل
فيوكل الى نفسه فربما يبقى في شعب من عقبة واحدة سبعين
سنة ولا يقطعها وكم يصيح ويصرخ ما اظلم هذه الطريق و
اشكله واعسر هذا الامر واعضله فان الشان كله الى اصل
وجد وذلك تقدير العزيز العليم العدل الحكيم فان قلت
لم اختص هذا بالتوفيق الخاص وحرم هذا وكلاهما مشتركان
في ربقة العبودية فعند هذا السؤال ينادي من سرادق الجلال
ان الزم الادب واعرف سر الربوبية وحقيقة
العبودية فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قلت انا
ومثال هذه الطريق في الدنيا الصراط في الآخرة في عقباتها
ومسافاتها ومقاطعها واختلاف احوال الخلائق فيها فمنهم
من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف
وآخر كالفرس الجواد وآخر كالطائر وآخر يمشي وآخر يزحف
حتى يصير فحمة وآخر يسمع حسيسها وآخر يؤخذ بالكلاليب فيطرح
في جهنم وكذلك حال هذه الطريق مع سالكها في الدنيا فهما صراطان
صراط الدنيا وصراط الآخرة فصراط الآخرة للانفس يرى اهوالها

اهل الابصار وصراط الدنيا للقلوب يرى احوالها ذو البصائر
والالباب وانما اختلف الاحوال للسالكين في الاخرة لاختلاف
احوالهم في الدنيا فتأمل ذلك حقه فهذه هذه وبالله التوفيق
فصل ثم اعلم ما هو التحقيق في هذا الباب وهو انه ليس هذا
الطريق في طوله وقصره مثل المسافات الكائنة التي تسلكها
الانفس فتقطعها باقدام فيقع قطعها على حسب قوة الانفس
وضعفها انما هو طريق روحاني تسلكه القلوب فتقطعه بالافكار
على حسب العقايد والبصائر اصله نور سماوي ولطف الهي يقع
في قلوب العبد فينظر به نظرة فيرى بها امر الدارين بالحقيقة ثم
هذا النور ربما يطلبه العبد مائة سنة فلا يجده ولا اثرا منه وذلك
لخطائه في الطلب وتقصيره في الاجتهاد وجهله بطريق ذلك
واخر يجده في خمسين واخر يجده في عشرين واخر في يوم واخر في ساعة
او لحظة بعناية رب العزة وهو تعالى ولي الهداية ولكن العبد
مأمور بالاجتهاد فعليه بما امر والامر مقسوم مقدور والرب حكم
عدل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت فما اعظم هذا الخطر
واشد هذا الامر وما اكثر ما يحتاج اليه هذا العبد الضعيف فكل
هذا العمل والجهد وتحصيل هذه الشرائط لماذا فاقول لعمري انك
لصادق في قولك ان الامر شديد والخطر عظيم ولذلك قال الله تعالى
لقد خلقنا الانسان في كبد وقال الله تعالى انا عرضنا الامانة على

السموات

السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ولذلك قال سيد
المرسلين صلوات الله عليه وسلامه لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا
ولضحكتم قليلا وما روي ان المنادي ينادي من السماء ليت
الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ولذلك
يقول السلف رضي الله عنهم فعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
انه قال وددت اني كنت خضرا تأكلني الدواب مخافة
العذاب وعن عمر رضي الله عنه انه سمع انسانا يقرأ هل اتى
على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ليتها
تمت وقال ابو عبيدة رضي الله عنه اني وددت اني كبش
لاهلي فيستعرقون لحمي ويحسون مرقي ولم اخلق وعن وهب بن
منبه رضي الله عنه انه قال خلق ابن ادم احمق ولولا حمقه
ما هنأه عيش وعن الفضيل رحمه الله اني لا اغبط ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا اليس هولاء يعاينون القيمة
انما اغبط من لم يخلق وعن عطاء السلمي رحمه الله لو ان نارا
اوقدت فقيل من القى نفسه فيها صار لا شيء لخشيت ان
اموت من الفرح قبل ان اصل الى النار فالامر اذا ايها الرجل
شديد كما تقول بل اشد واعظم مما تظن وتتوهم ولكنه امر سبق
في العلم القديم وتقدير اجراه العزيز العليم ولا حيلة للعبد الا بذل

لضحكتم قليلا و

والانبياء صح

المجهود في العبودية والاعتصام بحبل الله وايماء الى انه تعالى عسى
ان يرحمه فيسلمه بفضله واما قولك كل هذا لماذا فهذا الكلام يدل
منك على غفلة عظيمة بل الصواب ان تقول كل هذا في جنب
ما يطلبه العبد الضعيف لماذا اتدري ما يطلب العبد الضعيف
اقل ما يطلبه على الكلي شيئان احدهما السلامة في الدارين والثاني
الملك في الدارين اما السلامة فان الدنيا وفتنها وغوائلها بحيث
لم تسلم منها الملائكة المقربون وقد سمعت حديث هاروت
وماروت حتى روي انه اذا عرج بروح العبد الى السما تقول ملائكة
السموات متعجبين كيف نجا هذا من دار فسد فيها خيارنا وان
الآخرة في اهوالها وشدايدها بحيث يصرخ فيها الانبياء والرسل
نفسي نفسي لا اسئلك اليوم الا نفسي حتى روي انه لو كان للرجل
عمل سبعين نبيا لظن انه لا ينجو ومن اراد ان يسلم من فتن
هذه فيخرج منها بالاسلام سالما لا تصيبه فتنة ومن اهوال هذه
فيدخل الجنة سالما لا يصيبه نكبة ايكون ذلك امرا هينا واما الملك
والكرامة فان الملك نفاذ التصرف والمشية فاذا ذلك بالحقيقة
في الدنيا لاولياء الله وصفيائه الراضين بقضائه البر والبحر
والارض لهم قدم والحجر والمدر لهم ذهب وفضة والانس والجن
والبهايم والطيور لهم مسخرون لا يشاؤن شيئا الا وهي كاين لانهم
لا يشاؤن الا ما شاء الله وما شاء الله كان ولا يهابون احدا من

في الدنيا صح

واحد صح

الخلق

من الخلق ويهابهم كل الخلق ولا يجدون احدا الا الله تعالى
ويجدهم كل من دون الله واين لملوك الدنيا بعشر معشار
هذه الرتبة بل هم اقل واذل واما ملك الآخرة فيقول الله
تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا واعظم بما يقول
فيه رب العزة انه ملك كبير وانت تعلم ان الدنيا باسرها
قليلة وان بقاءها من اولها الى اخرها القليل ونصيب احدنا
من هذا القليل قليل ثم الواحد منا قد يبذل ماله وروحه حتى
ربما يظفر بقدر قليل من هذا القليل في بقاء قليل وان حصل له
ذلك فيعذر بل يغبط ولا يستكثر ما بذل فيه من المال والنفس
نحو ما ذكر امرؤ القيس حيث يقول بكى صاحبي لما راى الدرب
دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا فقلت له لا تبك عينك
انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا فكيف حال من يطلب
الملك الكبير في دار النعيم الخالد المقيم ايستكثر مع ذلك ان
يصلي ركعتين لله تعالى او ينفق درهمين او يسهر ليلتين كلا
بل لو كان له الف الف نفس والف الف روح والف
الف عمر كل عمر مثل عمر الدنيا واكثر فيبذل ذلك كله في هذا
المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا ولئن ظفر بعده بما طلب
كان ذلك غنما عظيما وفضلا من الذي اعطاه كثيرا فتنبه ايها
المسكين من رقدة الغافلين ثم اني تاملت ما يعطيه الله سبحانه

العبد اذا اطاعه ولزم خدمته وسلك هذا الطريق عمره فوجد لها
على الجملة اربعين كرامة وخلعة عشرين منها في الدنيا وعشرين
منها في العقبى اما التي في الدنيا فالاولى ان يذكره الله سبحانه
ويثني عليه واكرم بعبد ان يكون رب العالمين في ذكره
وثنائه والثانية ان يشكره جل جلاله ويعظمه ولو شكرك
مخلوق ضعيف مثلك وعظمك لتشرفت به فكيف بالله
الاولين والاخرين والثالثة ان يحبه ولو احبك رئيس محلة
او امير بلدة لافتخرت بذلك وانتفعت به في مواطن عزيزة
فكيف بمحبة رب العالمين والرابعة ان يكون له وكيلا يدبر
اموره والخامسة ان يكون لرزقه كفيلا يوجه اليه من حال الى حال
من غير تعب او وبال والسادسة ان يكون له نصيرا يكفيه
على كل عدو ويدفع عنه كل قاصد بسوء والسابعة ان يكون
له انيسا لا يستوحش بحال ولا يخاف التغيير والاستبدال والثامنة
عز النفس فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا واهلها بل لا يرضى ان يخدمه
ملوك الدنيا وجبابرتها والتاسعة رفع الهمة فيترفع عن التلطخ
بقاذير الدنيا واهلها ولا يلتفت الى زخارفها وملاهيها
يرفع الى حال الرجال الالباء عن ملاعب الصبيان والنسوان
والعاشرة غناء القلب فيكون اغنى من كل غني في الدنيا لا يزال
طيب النفس فسيح الصدر لا يزعجه جدب ولا يهمه عدم

والاحدى

والاحدى عشر نور القلب فيهتدي بنور قلبه الى علوم واسرار
وحكم لا يهتدي الى بعضها غيره الا بجهد جهيد وعمر مديد والثانية
عشر شرح الصدر فلا يضيق ذرعا بشيء من محن الدنيا و
مصائبها ومكارهها ومئون الناس ومكايدهم الثالثة عشر
المهابة والموقع في النفوس بحرمه الاخيار والاشرار ويهابه
كل فرعون وجبار الرابعة عشر المحبة في القلوب يجعل له
الرحمن ودا فترى القلوب كلها مجبولة على حبه والنفوس
كلها مطبوعة على تعظيمه واكرامه والخامسة عشر البركة العامة
في كل شيء من كلام او نفس او فعل او ثوب او مكان حتى يتبرك
بتراب وطئه وبمكان جلس فيه يوما وبانسان صحبه حينا
والسادسة عشر تسخير الارض من البر والبحر حتى ان شاء سار
في الهوى او مشى على الماء او قطع وليجة الارض باقل من ساعة وجه ٦
والسابعة عشر تسخير الحيوان من الوحوش والسباع والهوام و
غيرها فتجيبه الوحوش وتبصبص له الاسود والثامنة عشر
ملك مفاتيح الارض فحيث ما يضرب يده فله كنز ان اراد
وحيث ما يضرب برجله فله عين ان احتاج واين ما نزل
فله مائدة تحضره ان قصد التاسعة عشر القيادة والوجاهة
على باب رب العزة فيبتغي الخلق الوسيلة الى الله تعالى بخدمته
ويستنجح الحاجات من الله تعالى بوجاهته وبركاته والعشرون له

اجابة الدعوة من الله تعالى ولا يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه
ولا يشفع لاحد الا شفع ولو اقسم على الله لابرّه بما شاء
حتى ان منهم من لو اشار الى جبل لزال ولا يحتاج الى السؤال
باللسان ولو خطر بباله شيء لحضره ولا يحتاج الى الاشارة
باليد فهذه كرامات في الدنيا **واما التي في العقبى** فالحادي
والعشرون ان يهون الله تعالى اولا عليه سكرات الموت
وهي التي وجلت قلوب الانبياء صلوات الله تعالى عليهم منها
حتى سألوا الله تعالى ان يهونها عليهم حتى ان منهم تكون الموت
عنده مثل شربة الماء الزلال لظمآن قال عز وجل الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين والثانية والعشرون التثبيت على المعرفة
والايمان وهو الذي منه الخوف والفزع وعليه كل البكاء
والجزع قال عز من قائل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة والثالثة والعشرون ارسال الروح والرحمة صح
والريحان بالبشرى والامان قوله تعالى الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون فلا يخاف مما يقدم عليه
في العقبى ولا يحزن على ما خلفه في الدنيا والرابعة والعشرون
الخلود في الجنان والخامسة والعشرون المباهاة في السر لروحه
على ملائكة السموات بالاكرام والالطاف والانعام ولبدنه في
العلانية بتعظيم جنازته والمزاحمة على الصلوة عليه والمبادرة الى

تجهيزه

تجهيزه يرجون بذلك اكثر ثواب الله تعالى ويعدونه اعظم غنم
السادسة والعشرون الامان من فتنة سؤال القبر وتلقين فيا لها نعمة صح
الصواب فيأمن من ذلك الهول السابعة والعشرون توسيع
القبر وتنويره فيكون في روضة من رياض الجنة الى يوم القيمة
والثامنة والعشرون ايناس روحه ونسمته واكرامها فتجعل
في اجواف طير خضر مع الاخوان الصالحين فرحين مستبشرين
بما آتاهم الله من فضله التاسعة والعشرون الحشر في النور والكرامة
من حلل وتاج وبراق والثلثون بياض الوجوه لنوره قال الله تعالى
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال الله تعالى وجوه يومئذ
مسفرة ضاحكة مستبشرة والحادي والثلثون الامن من اهوال
القيمة قال الله تعالى امن يأتي آمنا يوم القيمة الثانية والثلثون
يسير الحساب ومنهم من لا يحاسب اصلا الثالثة والثلثون الكتاب
باليمين ومنهم من لا يعطى الكتاب رأسا والرابعة والثلثون ثقل الميزان
ومنهم من لا يوقف للوزن اصلا الخامسة والثلثون ورود الحوض
على النبي صلى الله عليه وسلم فيشرب منه شربة لا يظمأ بعدها ابدا
السادسة والثلثون جواز الصراط والنجاة من النار حتى ان منهم
من لا يسمع حسيسها وتخمد له النار السابعة والثلثون الشفاعة في
عرصة القيمة نحو شفاعة الانبياء والرسل والثامنة والثلثون
ملك الابد في الجنة التاسعة والثلثون الرضوان الاكبر والاربعون

لقاء رب العالمين اله الاولين والاخرين بلا كيف جل جلاله
ثم اقول انما عددت ذلك على حسب فهمي ومبلغ علمي في قصوره
ونقصه ومع ذلك فقد اجملت واوجزت واجملت وذكرت
من الاصول والجمل ولو فصلت بعض ذلك لما احتمله الكتاب الا ترى
اني جعلت ملك الابد خلعة واحدة ولو فصلتها لا تنفعت على
اربعين خلعة من انواع الحور والقصور واللباس وغير ذلك
ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل لا يحيط بها الا عالم الغيب والشهادة
الذي هو خالقها ومالكها واي مطمع لنا في معرفة ذلك وربنا
سبحانه وتعالى يقول فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
ثم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول على عينها ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان المفسر
يقول في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ان هذه
هي الكلمات التي يقول الله تعالى لاهل الجنة باللطف والاكرام
ومن يكون حاله هذه فاني يبلغ جزءا من الف جزء منه وهم
بشر ويحيط به علم مخلوق كلا بل تقاعدت الهمم وتقاصرت
دونه العقول وحق ان يكون ذلك كذلك وهو عطاء الرب العليم
على مقتضى الفضل العظيم وحسب الجواد الكريم الا فليعمل العاملون
وليبذل المجتهدون جهدهم لهذا المطلوب العظيم وليعلموا ان ذلك
كله لاقل قليل في جنب ما هم اليه يحتاجون واياه يطلبون وله

ينوصون

ينوصون وليعلموا ان العبد لا بد له في الجملة من اربعة العلم
والعمل والاخلاص والخوف فيعلم اولا الطريق والا فهو اعمى
ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص العمل والا فهو مغبون ثم
لا يزال يخاف ويحذر من الافات الى ان يجد الامان والا فهو
مغرور ولقد صدق ذو النون رحمه الله حيث قال الخلق كلهم
موتى الا العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملون والعاملون كلهم
مغترون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم قلت انا والعجب
كل العجب من اربعة احدها من عاقل غير عالم اما يهتم لمعرفة ما بين
يديه اما يتوقف ما هو مطلع بعد الموت عليه بالنظر في هذه الدلايل
والعبر والاستماع الى هذه الايات والنذر والانزعاج لهذه الخواطر
والهواجس في النفس قال الله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شيء وقال الله تعالى الا يظن اولئك
انهم مبعوثون ليوم عظيم والثاني من عالم غير عامل اما يتذكر ما يعلم
يقينا مما بين يديه من الاهوال العظام والعقبات الصعاب
وهذا هو النبأ العظيم الذي انتم عنه معرضون والثالث من عامل
غير مخلص الا يتأمل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والرابع من مخلص غير خائف
اما ينظر الى معاملاته جل جلاله مع اصفيائه وخدمه الدالة بينه
وبين خلقه حتى يقول لاكرم الخلق صلوات الله عليه وسلامه

ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك الاية ونحوها حتى كان يقول
صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود واخواتها وجملة الامر وتفصيله
ما قاله رب العالمين في اربع ايات من الكتاب العزيز قوله عز
وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ثم قال
جل اسمه ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير
بما تعملون ثم قال جل من قائل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
ثم اجمل الكل فقال فهو اصدق القائلين ومن جاهد فانما يجاهد
لنفسه ان الله لغني عن العالمين ونحن نستغفر الله رب العالمين
من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم ونستغفره من اقوالنا التي لا توافق
اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من العلم بدين الله تعالى
مع التقصير فيه ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى التصنع والتزين به
في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه ونسأله ان
يجعلنا واياكم معشر الاخوان بما علمناه عاملين ولوجهه مريدين
وان لا يجعله وبالا علينا وان يضعه في ميزان الصالحات اذا
ردت اعمالنا الينا انه جواد كريم فهذا ما اردنا ان نذكره في شرح
كيفية سلوك طريق الاخرة وقد وفقنا بالمقصود وصلى الله على
خير مولود وعالم افضل معبود محمد النبي صلى الله عليه وسلم تسليما
وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم تم الكتاب
بعون الله الملك الوهاب على يد العبد الفقير عبد الله المحتاج الى رحمة

ربه

بحث العاقلة

ربه القدير في اواسط صفر الخير لسنة خمس وثمانين والف
من هجرة من له العز والشرف عفا الله
له ولوالديه واحسن اليهما واليه

امين
يا ايها الناظر لهذا الكتاب ❁ فاقرا للكاتب فاتحة الكتاب

لو كانت الدنيا تدوم لواحد
لكان رسول الله فيها مخلدا

٣